

الرسائل الجامعية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بغداد
كلية التربية / ابن رشد
قسم التأريخ

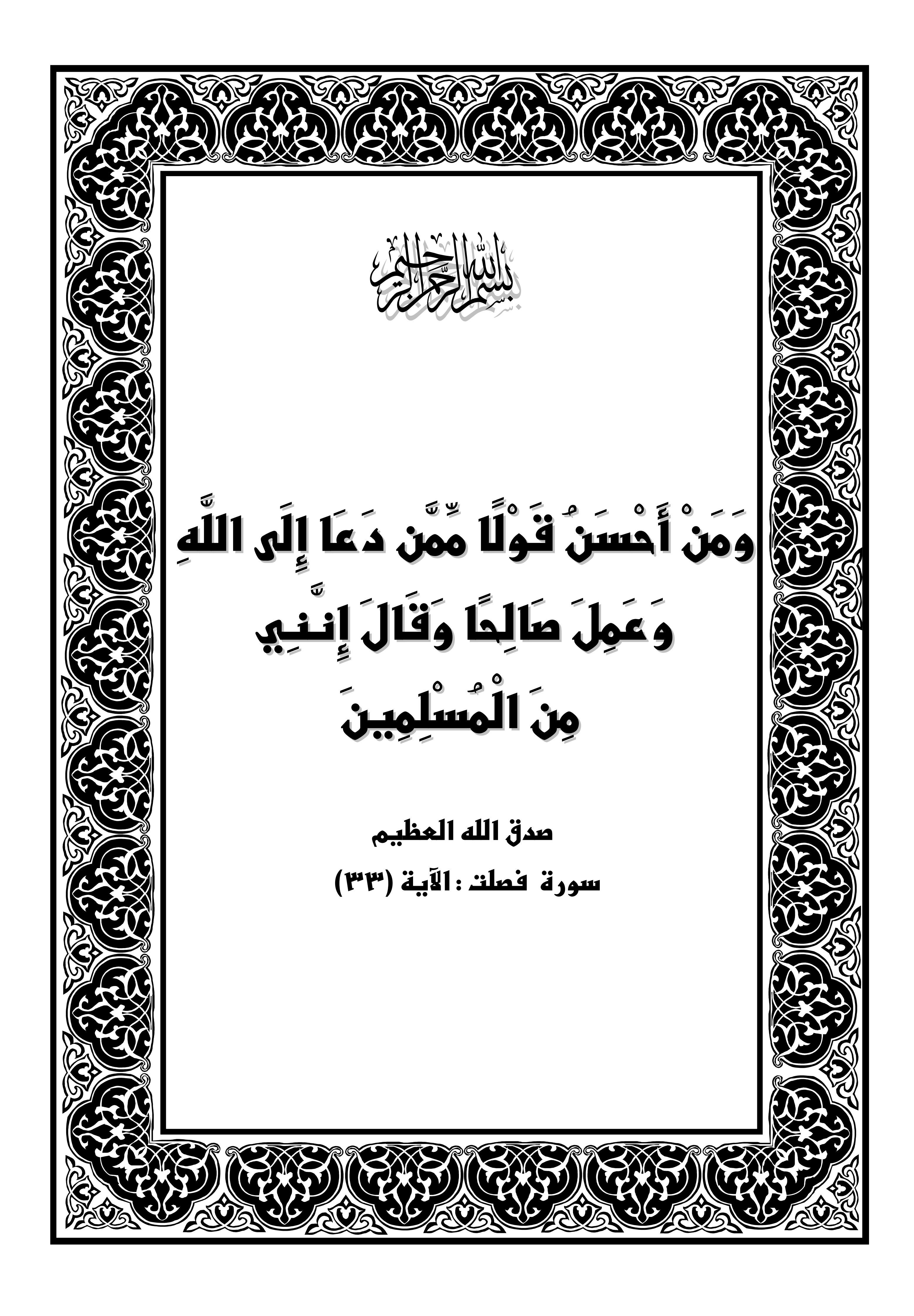
النظام المالي في مصر
خلال العصر الفاطمي
٣٥٨-٥٦٧ هـ /٩٦٩-١١٧١م

اطروحة تقدم بها
ثامر لفته حسن الساعدي

إلى مجلس كلية التربية ـ ابن رشد ـ جامعة بغداد
وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه فلسفة
في التاريخ الإسلامي

بإشراف
الأستاذ الدكتور
عبد الرزاق علي الانباري

١٤٢٧هجرية ٢٠٠٧ميلادية



وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ
وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي
مِنَ الْمُسْلِمِينَ

صدق الله العظيم

سورة فصلت : الآية (٣٣)

إقرار المشرف

أشهد أن إعداد هذه الأطروحة الموسومة بـ ((**النظام المالي في مصر خلال العصر الفاطمي ٣٥٨- ٥٦٧ هـ /٩٦٩- ١١٧١م**)) من الطالب **(ثامر لفتة حسن الساعدي)** كان بإشرافي في قسم التاريخ – كلية التربية /ابن رشد – جامعة بغداد وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الدكتوراه فلسفة في التاريخ الإسلامي.

الأستاذ الدكتور

عبد الرزاق علي عمران الأنباري

المشرف

/ / ٢٠٠٧

توصية رئيس القسم :

بناءً على التوصيات المتوافرة أرشح هذه الرسالة للمناقشة .

الأستاذ الدكتور

فلاح حسن الأسدي

رئيس قسم التأريخ

/ / ٢٠٠٧

إقرار لجنة المناقشة

نشهد أننا أعضاء لجنة المناقشة ، أننا أطلعنا على أطروحة (الدكتوراه) الموسومة بـ ((**النظام المالي في مصر خلال العصر الفاطمي ٣٥٨- ٥٦٧ هـ /٩٦٩-١١٧١م**)) ، وبعد مناقشة الطالب **(ثامر لفته حسن الساعدي)** في محتوياتها وفيما له علاقة بموضوعها وجدنا أنها جديرة بنيل درجة (الدكتوراه) فلسفة في التأريخ الإسلامي وبدرجة (**امتياز**) .

التوقيع :
الاسم :أ.د. عبد الحسين مهدي الرحيم
عضــواً

التوقيع :
الاسم :أ.د. غانم هاشم السلطاني
عضــواً

التوقيع :
الاسم :أ.م.د. شيماء سالم عبد الصاحب
عضــواً

التوقيع :
الاسم :أ.م.د. ناجي حسن
عضــواً

التوقيع :
الاسم :أ.د. عبد الرزاق الأنباري
عضــواً ومشرفاً

التوقيع :
الاسم :أ.د. خاشع عيادة المعاضيدي
رئيس اللجنة

مصادقة مجلس الكلية :

صادق مجلس كلية التربية / ابن رشد – جامعة بغداد على قرار لجنة المناقشة.

أ.د. عبد الأمير دكسن

عميد كلية التربية / ابن رشد

/ /٢٠٠٧



الإهـــــداء

إلى .. والدي العزيز أطال الله عمره ...

إلى .. أمي الحنون التي زرعت ثم بعينها الثمر يانعاً ...

إلى .. أخواني الذين أراد الله سبحانه وتعالى تحقيق ما أرادوا تحقيقه بفضله تعالى .

إلى .. زوجتي وأم أولادي ...

أهدي هذا الجهد المتواضع



الباحث



شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين ،ومن دعا بدعوته وسار على منواله الى يوم الدين وبعد ..

فإنه يسرني وأنا انهي هذه المرحلة العلمية أن أشكر الأستاذ الدكتور عبد الرزاق علي الانباري الذي لازمي مدة إشرافه على هذه الرسالة مع متابعته وتوجيهاته القيمة التي جعلت هذا الجهد يرى النور

وأشكر الاستاذ الدكتور عبد الحسين مهدي آل الرحيم لما ابدى لي من مساعدة وتوجيه .

وأشكر السيد رئيس قسم التاريخ الأستاذ الدكتور فلاح حسن الأسدي.

ولا أنسى شكر أساتذتي الفضلاء الذين قدموا لي عون ومشوره ،لاسيما الاستاذ الدكتور المرحوم حسين علي الداقوقي ، والسيد العميد الأستاذ الدكتور عبد الأمير دكسن والأستاذ الدكتور خاشع المعاضيدي والأستاذ الدكتور خالد الجنابي.

وأشكر كل من مد لي يد العون من جميع زملائي الاعزاء او العاملين في المكتبات كافة لما قدموه من تسهيل في الحصول على المصادر والمراجع ، ولاسيما مكتبة كلية التربية.

ولا يفوتني شكر أُسرتي واخوتي الذين كانوا خير عون لي في مشواري الطويل مع تشجيعهم المستمر .

دليل الرسالة

ج	جزء
ق	قسم
ص	صفحة
ط	طبعة
م . س	المصدر السابق : ويستعمل هذا الرمز للإشارة إلى المصدر أو المرجع تقدم ويفصل بينهما مصدر أو مرجع آخر .
م . ن	وتعني المصدر أو المرجع نفسه إذا جاء مباشرة بالحاشية .
لا . ت	لا يوجد تاريخ للطبع (المصدر أو المرجع)
المصدر أو المرجع الأجنبي	OP.Cit

المحتويات

المقدمة:

شهد المجتمع الإسلامي حقبات من الصراع السياسي الذي أرهق الأمة العربية الإسلامية، بيد أن هذا الصراع لا يمكن أن نفهمه من غير أن ندرك عمق التحولات الاقتصادية التي عاشها المجتمع.

وإذا أردنا أن نكتب أحداثاً تاريخية مبنية على أسس وقواعد هادفة، علينا أن نمتلك رؤية اقتصادية تحليلية، ومن ذلك نفهم أن الدول العربية الإسلامية وعلى مّر العصور الإسلامية آلت إلى التدهور من خلال توافر أسباب عديدة سياسية منها واقتصادية ولكي نفهم عمق تطور النشاط الاقتصادي للدولة علينا فهم النظام المالي لها.

وهذه الظاهرة التاريخية المهمة هي التي دفعتني لأعطي رؤية واضحة عن النظام المالي لمصر في العهد الفاطمي، وقد تكون رؤية صائبة نتفق عليها، وقد تكون خاطئة نختلف عليها، لذلك ليس المهم كثافة المصادر أو تنوعها، بل توافر الرؤية يعد أمراً ضرورياً من غير أن ننكر أهمية المصادر في تكوين هذه الرؤية، لاسيما إذا كانت المحاولة تتسم بطابع التجديد (موضوع الدراسة) في الكثير من القضايا، عندئذ يصبح لطرح الأسئلة جدوى أكثر من البحث عن جوابٍ لها، وبالتالي يمكن أن يتحقق ذلك ضمن رؤية متكاملة لقضايا المجتمع من خلال دراسة الكيانات السياسية المختلفة في الحياة العربية.

والدولة الفاطمية في مصر (٣٥٨-٥٦٧هـ)/(٩٦٩-١١٧١م) من الكيانات السياسية المستقلة . ومنذ استقلت استقلالاً تاماً مستغلة بذلك الضعف الذي أصاب الخلافة العباسية من جهة والمكاتبات ومراسلات الأخشيديين للفاطمين بضرورة تخلصهم من حالة التردي وسوء الأوضاع في الدولة من جهة أخرى، تلك الأحداث جعلت الخلفاء الفاطميين يفكرون جدياً بالسيطرة على مصر وتكوين جبهة مترامية الأطراف تنافس الخلافة في بغداد، من خلال سيطرتها على مصر وطرق التجارة، ومن هنا تأتي أهمية الدراسة التي نحن بصدد بحثها.

تعد الدولة الفاطمية من كبرى الدول في التنظيم السياسي والإداري والمالي، حيث يعد النظام المالي رأس الهرم في الحكم فضلاً عن الأنظمة الأخرى السياسية

والإدارية والاقتصادية، فقد أتى النظام المالي في أولويات عمل الخلفاء الفاطميين الذي يعد عصب الحياة وشريانها لاسيما بعد أن أصبحت مصر أبان الحكم الفاطمي خلافة مستقلة منذ قدوم جوهر الصقلي قائد الخليفة الفاطمي المعز لدين الله مصر سنة (٣٥٨-٩٦٩هـ) وقدوم الخليفة المعز إلى مصر سنة (٣٦١هـ-٩٧١م) .

ومنذ بداية حكم الفاطميين أصبحت مصر ذات موارد مالية متعددة ومنظمة تنظيماً أنموذجياً منذ بدايتها الفتية وحتى تكامل هيكلها . وقد وضعت الأموال وما يتعلق بها منذ البداية تحت إشراف موظف واحد عرف باسم "متولي الخراج" يقوم بجباية الخراج وينظر في سائر وجوه الأموال، ولكن أخذت النظم المالية بالتوسع والتشعب بحيث أصبحت تشتمل على عدد كبير من "الدواوين" وضعت تحت إشراف صاحب "نظر الديوان" الذي كان له الإشراف العام على كل الدواوين المالية، ونتيجةً لتشعب هذه النظم المالية ظهر ديوان جديد هو "ديوان التحقيق" ليقوم بمهمة مراجعة عمل الدواوين المالية الأخرى فالنظام المالي لمصر في هذه الحقبة مرَّ بمراحل متدرجة إلى أن تكامل .

ومن هنا تأتي الدراسة التي أقدمها عن نظام الفاطميين المالي لرصد هذه الحالة وتحليلها ولإنصاف هؤلاء الذين أسسوا حضارة عريقة دامت زهاء قرنين من الزمن ذلك الإنجاز الحضاري الذي شهدته مصر على أيدي الخلفاء الفاطميين ولا زالت آثاره باقية حتى هذه الأيام ، وبعد استقلال مصر عن الدولة العباسية بدأت تلعب دورها التاريخي السياسي المستقل. فنطاق دراستي يتناول النظام المالي للدولة الفاطمية في مصر خلال الفترة التاريخية الممتدة من (٣٥٨-٥٦٧هـ)/(٩٦٩-١١٧١م).الذي كان حجر الأساس في نجاحهم وفشلهم معاً ، لم يناقش أبداً في العراق فيما اعلم ولعل ذلك يرجع إلى قلة المصادر التي يمكن الاعتماد عليها في دراسة من هذا النوع.

انتظمت دراستي هذه في مقدمة وضحت بها نطاق بحث الدراسة مع تحليل لمصادرها وقد ضمت تمهيد و أربعة فصول بالإضافة إلى ملخص الدراسة ومصاردها ومراجعها نبذة تاريخية عن تكوين ونشأة الدولة الفاطمية مع خاتمة الدراسة وأسماء المصادر والمراجع الخاصة بالدراسة.

بحثت في الفصل الأول عن أهم موارد الدولة المالية مبيناً فيه الأموال التي حصلت عليها الحكومة الفاطمية وطرائق جبايتها عن طريق الخراج والزكاة (النجوى) والجزية (الجوالي) والأحباس والخمس (المكس) ثم الرسوم الكمركية وإيرادات متحصلات دار الضرب، ومن ثم الأموال التي حصلت عليها الدولة عن طريق تأجير بعض الدكاكين، ورحب الصيارفة وكذلك الأموال التي حصلت عليها الدولة عن طريق المصادرات في حالة سخط الخليفة عن شخص ما فتصادر أمواله، وهنا نود أن نوضح أن الدولة الفاطمية لم تكن قاسية إلى حد كبير في حصولها على الأموال من الرعية، ولكن الظروف السياسية المحيطة بها، وبالمنطقة بشكل عام جعلها تعتمد نظاماً حازماً في عدم التهاون في جميع مواردها المالية .

خصصت الفصل الثاني إلى نفقات الدولة الفاطمية التي تنوعت فمنها ماكان ينفق على هيئة رواتب شهرية على كبار رجالات الدولة وموظفي الدواوين وحاشية الخليفة والجيش والبحرية والصناعات ومواكب واحتفالات وأعياد ومواسم الدولة لاسيما أول العام الهجري وشهر رمضان وغدير خم ويوم عاشوراء، وليالي الوقود والنوروز، وأنفقت الدولة مبالغ طائلة على المنشآت الدينية كبناء الجوامع كالجامع الأزهر وجامع راشدة وجامع القرافة وجامع الحاكم والجامع الأقمر، وجامع الصالح طلائع بن رزيك، فضلاً عن ترميم وبناء منشآت أخرى ولاسيما الخدمات العامة.

أمّا الفصل الثالث فقد ناقشت فيه إدارة الدولة المالية، وجهازها المركزي الإداري، فقد كان للفاطميين جهاز إداري منظم سواءً لإدارة أقاليم الدولة أو لإدارة شؤون الحكم أو إدارة النظام الإداري المالي "موضوع الدراسة" حيث أشارت المصادر إلى وجود عدد كبير من الدواوين معظمها له علاقة بالجانب المالي واختلفت اختصاصاتها ووظائفها التي نظمت شؤون البلاد، وهذا التنظيم الدقيق الذي وضع أسسه الفاطميون في مصر، بحيث اختص كل ديوان بإدارة أعماله سواءاً اختصت بالإيرادات وتحصيلها أم النفقات وأبوابها، وهذا النظام الذي استحدثوا بعض عناصره وحسنوا ماكان منها موجود قبل عهدهم.

أمّا الفصل الرابع: فقد انصب على النقد والسكة في العصر الفاطمي، والدور الذي أداه الدينار الفاطمي تجاه الدينار العباسي الذي كان وسيلة التعامل في مصر قبل الفاطميين وتناولنا دور ضرب العملة الفاطمية وأهمية النقود إذ لابد من معرفة

الوسيلة التي يكون التعامل بها سواءً في مجال دفع الأجور أو الشراء والبيع (تسيير المعاملات التجارية والمجال التجاري) أو في مجال اعتماد النقود في اجتذاب قلوب الناس لاسيما في بداية نشر مبادئ المذهب الاسماعيلي الذي أدى فيه الدعاة دوراً كبيراً ، لذلك أخذت النقود الأهمية الكبيرة حيث انتشرت النقود الفاطمية في بغداد ودمشق والنقود التذكارية، أدت النقود دوراً بارزاً حيال الأزمات المالية حيث ارتفاع العملة وانخفاضها وسياسة الفاطميين تجاهها.

اعتمدت الدراسة على مصادر عدة منها مصادر التاريخ العام والمصادر الجغرافية ومصادر الرحالة الذين زاروا مصر خلال العصر الفاطمي أو بانتهائه. وقد جاء ذكر المصادر حسب المنفعة العلمية وليس حسب الترتيب الزمني ، فقد قدمت من هو متأخر وأخرت من كان متقدم.

أمّا مصادر التاريخ العام: فكتاب "الكامل في التاريخ" لمؤلفه ابن الأثير أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني (ت٦٣٠هـ/١٢٣٨م) ويعد موسوعة إخبارية لأحداث تاريخية منذ خلق الله سبحانه وتعالى الكون إلى آخر الأحداث لسنة ٦٢٨م، الذي يعول عليه المؤرخون لاسيما المحدثين؛ لكونه ينظر إلى الأحداث نظرة الناقد والمحلل.

ويعد كتاب "مقدمة ابن خلدون" لعبد الرحمن لابن خلدون (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م) من المصادر المهمة ولا يمكن للباحث الاستغناء عنه لاسيما في موضوع الوظائف الإدارية والمؤسسات الحكومية كالقضاء والحسبة والنظام المالي والإداري.

أمّا كتاب "وفيات الأعيان" لمؤلفه ابن خلكان (٦٨١هـ/١٢٨٣م) ففيه معلومات وتراجم عن معظم الشخصيات الفاطمية التي تناولها البحث موضوع الدراسة.

ويعد كتاب "نهاية الأرب في فنون الأدب" لمؤلفه شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري (ت٧٣٢هـ/١٣٣٢م) فهو في غاية الأهمية ويعد مصدراً لايمكن للباحث الاستغناء عنه فهو يحتوي على معلومات في معظم الجوانب سواء السياسية أو الإدارية والفقهية في الدولة الفاطمية، فضلاً عن النظم المالية لاسيما تسامح الخلفاء الفاطميين، وما اتبعوه من خطوات تفيد عامة الناس.

أمّا كتاب "الإشارة إلى من نال الوزارة لمؤلفه ابن منجب الصيرفي (ت٥٤٢هـ/١١٤٨م) عد من المصادر المهمة حيث اشتمل على وزراء الدولة الفاطمية منهم من نال الوزارة لمرة واحدة ومنهم لمرتين أو ثلاث وعاصروا أكثر من

خليفة وللمؤلف كتاب آخر هو قانون ديوان الرسائل الذي يذكر فيه إدارة الدواوين في عهد الخلافة الفاطمية وطبيعة عملها ، وهناك مصادر أخرى كان لها أهمية خاصة في الدراسة منها كتاب "الولاة والقضاة" لمؤلفه الكندي أبي عمر محمد بن يوسف (ت٣٥٠هـ/٩٦٠م) وفيه معلومات عن السياسة المتبعة من قبل الولاة المسلمين مع أهل الذمة. وكتاب "المجالس والمسايرات" لمؤلفه القاضي بن النعمان (ت ٣٦٣هـ/٩٧٣م) ، وهو من المؤرخين الذين عاصروا الدولة الفاطمية وعدّ من دعاة المذهب الفاطمي وقد ضم كتابه على معلومات مباشرة من الخليفة المعز لدين الله، وقد شغل منصب القضاء في الدولة الفاطمية، وله مؤلف آخر "دعائم الإسلام" حيث ذكر فيه الحلال والحرام والقضايا الأخرى والأحكام، وتعد مؤلفاته من المصادر الموثوق بها؛ لأنها تكتب لانها تكتب الاحداث التي عاصرها.

أمّا كتاب "أخبار مصر" لمؤلفه ابن ميسر (ت٦٧٧هـ/١٢٧٨م) الذي كان نوعاً ما محايداً في كتاباته فهو يسرد معلومات عن الدولة الفاطمية السياسية والاقتصادية والإدارية والدينية على الرغم من كونه عاصر عهد الأيوبيين(٥٦٧-٦٥٣هـ/١١٧١-١٣٥٦م)والمماليك(٦٧٨-٧٨٤هـ/١٢٧٩-١٣٨٢م) . أمّا كتاب "صبح الأعشى في صناعة الإنشا" لمؤلفه القلقشندي (ت٨٢١هـ/١٤١٨م) فهو مهتم في مهنة الكتابة والمخاطبات، وقد احتوى على معلومات غزيرة ومفصلة عن عقائد، وشعائر الفاطميين وفيه معلومات عن أبواب النفقات والإيرادات التي حصلت عليها الدولة.

أمّا المقريزي (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م)، فيأتي في طليعة المؤرخين الذين كتبوا عن الفاطميين حيث امتازت كتبه بنوع من الحيادية فاحتوت على معلومات أغنت الدراسة بكثير من الأمور لاسيما كتابه "الخطط المقريزية" المعرف بـ"المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار" وفيه معلومات مستفيضة عن مصر ذاكراً المواسم والأعياد وأخبار الولاة والخلفاء، ومقياس نهر النيل ودار الضرب والمجاعات وبناء المساجد والقصور الفاطمية وبناء مدينة القاهرة، والرحب والحارات والمدن وغيرها من المعلومات، أمّا كتابه الآخر "اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا" تناول فيه أخبار الفاطميين في المغرب ومصر منذ بداية الدعوة الفاطمية وحتى نهايتها، وفيه معلومات قيمة

عن الرسوم، والمكوس التي جرت العادة بأخذها وأسقطها الخليفة الحاكم خلال حكمه (٣٨٦هـ-٤١١هـ) ، أمّا كتاب المقريزي الآخر "إغاثة الأمة بكشف الغمة" الذي سرد فيه معلومات عن المجاعات والأوبئة التي توالت على مصر، ويعد كتابه هذا من الكتب الاقتصادية التي أغنت الرسالة بالكثير من المعلومات المالية، أمّا كتابه "المقفى الكبير" الذي وضعه حسب السنين وفيه معلومات عن الوزراء الفاطميين وعن أحداث الشدة العظمى التي أصابت مصر الفاطمية.

أمّا كتاب "النقود الإسلامية" المسمى بـ"شذور العقود في ذكر النقود لمؤلفه المقريزي الذي فصل فيه نقود العرب في الجاهلية وذكر بعض الموازين والمكاييل وعرف النقد والسكة، فهو يعد من الكتب المهمة التي أغنت البحث بمعلومات هامة.

ومن المصادر الأخرى التي لاتقل أهمية في إغناء البحث بمعلومات قيمة كتاب "النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة" لمؤلفه أبي المحاسن بن تغري بردي (ت٨٧٤هـ/١٤٧٠م) حيث يعد من المؤلفات التي تناولت الحياة الاقتصادية وأيام الرخاء والشدة التي مرت بها مصر، فهو بزيارته ورحلته إلى مصر، أعطى صورة واضحة عن النظم الإدارية السائدة في الدولة الفاطمية، وكتاب "حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة" لمؤلفه السيوطي جلال الدين (ت٩١١هـ/١٥٠٥م) فيه معلومات جيدة عن الدولة الفاطمية في مصر ولاسيما أهم أعمال الخلفاء الفاطميين سواء في مجال السياسة أو المجال الاقتصادي والمالي.

ومن المصادر المهمة التي تناولها البحث كتاب "قوانين الدواوين" لمؤلفه ابن مماتي (ت٦٠٦هـ/١٢٠٩م) حيث أغنى البحث بمعلومات مهمة عن دواوين الدولة الفاطمية من حيث النشأة والإدارة التي بلا شك أدتدوراً كبيراً في التنظيم الرائع للدولة، ومن المصادر التي تناولت الحقبة الفاطمية المتأخرة كتاب "الروضتين في أخبار الدولتين" لمؤلفه أبي شامة (ت٦٦٥هـ/١٢٦٧م) حيث عالج في كتابه تاريخاً من العهد النوري سنة (٥٤٠هـ/١١٤٥م) إلى وفاة صلاح الدين سنة (٥٨٩هـ/١١٦٣م).

أمّا معلوماتنا عن النظم الاقتصادية والمالية في مصر الفاطمية فكان كتاب "المنهاج في أحكام خراج مصر" أو المنهاج في علم الخراج للمخزومي (ت٥١٢هـ/١١١٨م)، وهو شغل منصب صاحب النظر في ديوان مصر حيث

وصف فيه النظام المالي في مصر في أواخر الدولة الفاطمية وبداية الدولة الايوبية ومثل هذه المصادر على جانب كبير من الأهمية الأكاديمية؛ لأن بعضها عاصر الدولة الفاطمية وعايش نظمها المالية أعطتنا صورة واضحة لما هو الحال في المؤسسات المالية، وقد رجعنا إلى كتب الخراج في الدولة العربية الإسلامية منها: كتاب "الخراج" لأبي يوسف الأنصاري (ت١٨٢هـ/٧٩٨م) مبيناً فيه الخراج في العصر الإسلامي من ناحية شرعية وفقهية، وكتاب "الخراج" لقدامة بن جعفر (ت٣٢٨هـ/٩٣٩م) حيث يأتي ضمن تصنيف النظم الذي اعتنى البحث في دواوين الدولة الفاطمية وما تضمنته الإدارة المالية من نظام دقيق لنفقات الفاطميين، أمّا الكتاب الجغرافي المهم "صورة الأرض" لمؤلفه ابن حوقل (ت٣٦٧هـ/٩٧٧م) الذي يعد من الكتب المهمة لاسيما وان مؤلفه زار مصر وكتب عن الزراعة ورعاية الدولة الفاطمية لها.

ومن المؤلفات القيمة كتاب "التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق" لمؤلفه يحيى بن سعيد بن يحيى الانطاكي (ت٤٥٨هـ/١٠٦٥م) حيث كتب معلوماته في عهد الحاكم بأمر الله حيث استطاع ان يصور لنا السياسة التي اتبعها الفاطميون تجاه أهل الذمة، حيث صور لنا أن أهل الذمة لاقوا اضطهاداً كبيراً خلال حكم الحاكم، ومن الطبيعي ان يصور لنا هذا التصور لاسيما بعد مغادرته مصر عندما أصدر الخليفة عفواً منحه إياه سنة (٤٠٤هـ/١٠١٣م)، وعلى أثره سافر إلى الأراضي البيزنطية حيث كتب وألف وغير وأضاف معلومات جديدة.

أمّا المراجع فلا تقل أهمية عن المصادر حيث عدة من الدراسات المهمة التي كتبت عن الدولة الفاطمية، خاصة كتاب "تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسورية وبلاد العرب" لمؤلفه الدكتور حسن إبراهيم حسن، وكتاب "علم النميات" لمؤلفه الأب أنستاس الكرملي الذي توسع في معلوماته عن النقود، وكتاب "النقود العربية ماضيها وحاضرها" لمؤلفه فهمي عبد الرحمن محمد الذي أغنى البحث عن معلومات لها ارتباط واضح بالنقود لاسيما انه يوضح التحول الذي حصل في عهد الخليفة الحاكم بأمر الله عندما تحولت مصر إلى نظام المعدنين (Bimetallic System) الدينار والدرهم.

ويعد كتاب "تاريخ مصر الاجتماعي والاقتصادي" لمؤلفه أحمد صادق من المؤلفات المهمة التي تناولت الجوانب الاقتصادية وأثرها على المجتمع المصري. وكتاب "حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين" لمؤلفه راشد البراوي حيث تناول فيه جوانب عديدة منها تطرق إلى الملكية والعلاقات التجارية والجانب المالي وتطوره وسياسة الفاطميين المالية ويعد من الكتب المهمة والغنية بالمعلومات عن الفاطميين في مصر.

أمّا كتاب "الكنوز الفاطمية" لمؤلفه زكي محمد حسن الذي ذكر فيه التطور الحضاري والفن المعماري للفاطميين، وكتاب "مجموعة الوثائق الفاطمية" لمؤلفه جمال الدين الشيال يعدان من الكتب المهمة حيث ضم عدداً من الوثائق والسجلات الخاصة بالخلفاء وخاصة الوثائق الديوانية، وكذلك كتاب "الوثائق الفاطمية" لمؤلفه عبد المنعم ماجد فهو من المؤلفات التي لا غنى عنها في الدراسة والبحث.

أمّا كتاب "تاريخ الدولة الفاطمية، تفسير جديد" لمؤلفه أيمن فؤاد سيد يعد من أحدث المراجع المهمة حيث قسم دراسته إلى ثلاثة كتب في مجلد واحد مثل التاريخ السياسي (الدعوة الفاطمية) وكذلك النظم والحضارة في مصر واشتمل الثالث على الجيش والبحرية. وهناك مصادر ومراجع عديدة يمكن الرجوع اليها في قائمة الموارد لا مجال لذكرها.



التمهيد

الدولة الفاطمية (النشأة والظهور)

زخر العصر العباسي بكثير من الحركات السياسية والثورات الدينية التي كان من أثرها انتزاع كثير من بلاد الدول العباسية ، وكان لسياسة الشدة والاضطهاد التي اتبعها العباسيون تجاه العلويين الأثر في قيام دول مستقلة عن الدولة العباسية .

منذ العصر العباسي الأول ولاسيما عند ثورة الحسين بن علي بن الحسن ابن الحسن بن الحسن (السبط) بن علي بن أبي طالب ﴿ﷺ﴾ ، في خلافة الهادي العباسي (١٦٩ -١٧٠هـ/ ٧٨٥-٧٨٦م) الذي اتبع سياسة شديدة وقاسية مع العلويين [١]. عندما بلغت أخبار الثورة الخليفة الهادي الذي أمر بدوره محمد ابن سليمان بن علي لقتال أصحاب الحسين بن علي ، وكانت الحرب بينهما في فخ[٢]انتهى بمقتل الحسين بن علي .

كان من نتائج وقعة فخ أن هرب إدريس بن عبد الله أبن الحسن وأخوه يحيى ، فقصد إدريس مصر حيث تمكن من إقامة دولة الأدارسة في المغرب سنة ١٧٢هـ/٧٨٨م في حين وصل يحيى إلى بلاد الديلم[٣] .

لما قتل الخليفة العباسي هارون الرشيد (١٧٠-١٩٢هـ/ ٧٨٦-٨٠٩م) إدريس سنة (١٧٧هـ/٧٩٣م) كانت زوجته قد وضعت ولداً أسموه إدريس وبايعوه بالخلافة وإليه تنسب الأدارسة في المغرب.

وبظهور الفرق والمذاهب في العصر العباسي الأول ولاسيما بعد موت الإمام جعفر الصادق ﴿ﷺ﴾ سنة (١٤٨هـ/٧٦٥م) ، عمدت فرقة الإسماعيلية[٤] التي

---

[١] الطبري، محمد بن جرير (ت٣١٠ هـ/٦٢٣م) تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، ط٤ ، دار المعارف، القاهرة ، ١٩٧٧ م ،ج٤ ، ص٣٩ ؛ الرحيم ، عبد الحسين مهدي ، العصر العباسي الأول (المؤهلات والانجازات) دار الكتب الوطنية ، بنغازي ، ليبيا ، ٢٠٠٢م ، ص٣٥٢ – ٣٥٤

[٢] فخ ، موضع يقع على ستة أميال من مكة . ينظر : المسعودي ، أبي الحسن علي بن الحسين بن علي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة ، ١٩٦٧ م ، ج٢ ، ص٢٥٨ .

[٣] الرحيم ، العصر العباسي الأول ، ص٣٥٤ .

[٤] الإسماعيلية : فرقة من فرق الشيعة تقول بإمامة إسماعيل بن جعفر الصادق (ﷺ) بعد أبيه ولا تعترف بإمامة ابنه الأصغر موسى الكاظم ﷺ . للمزيد ينظر : الرازي : أحمد بن حمدان

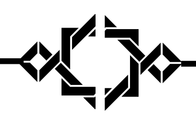
جعلت الإمامة في إسماعيل بن جعفر الصادق ثم في ابنه محمد ابن إسماعيل ثم الأئمة من بنيه ومنهم الخلفاء الفاطميين[١] ، الذين أقاموا دولتهم في أفريقيا (المغرب الأدنى)[٢] أولاً في سنة (٢٩٦هـ /٩٠٨م) ، ثم نقلوا دولتهم إلى مصر[٣] في سنة (٣٥٨هـ/٩٦٨م) ، وظلوا يحكمونها إلى سنة (٥٦٧هـ/١١٧١م).

(ت٢٧٥هـ/٨٨٨م) ، الزينة في الكلمات الإسلامية ، تحقيق عبد الله سلوم السامرائي، بغداد ١٣٩٢هـ /١٩٧٢م ، ج٣ ، ص٢٧٨-٢٨٩ ؛ النوبختي : أبو محمد الحسن بن موسى (ت٢٨٢هـ/٨٩٥م) فرق الشيعة ، تصحيح ريزر ، اسطنوبل ، ١٩٢١م ، ص ٣٧- ٥٨ ؛ القرطبي : عريب بن سعد (ت ٣٨٠هـ /٩٩٠م) صلة تأريخ الطبري ، مطبعة الاستقامة ، ١٩٣٩م، ص٣٦ ؛ الشهرستاني: أو الفتح محمد عبد الكريم (ت ٥٤٨ هـ/١١٥٣م) الملل والنحل ، تحقيق محمد سعيد الكيلالي ، القاهرة ، ١٣١٧هـ/١٨٠٢م، ج١، ص١٩٢ ؛ الأعظمي : محمد حسن ، عبقرية الفاطميين (أضواء على الفكر والتأريخ الفاطمي) نشر مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٦٠م ، ص١٤ ؛ الشيرازي : محمد الموسوي ، الفرقة الناجية ، تعريب وتحقيق فاضل الفراتي، ط٢ ، دار الأمين للطباعة والنشر والتوزيع ، لبنان ، بيروت ، ١٤٢٥هـ /٢٠٠٤م ، ج٢، ص٧٤٤ – ٧٤٥؛لويس ، برنارد:أصول الإسماعيلية ، ترجمة خليل أحمد جلو وآخرون، دار الكتاب العربي ، مصر ، ١٩٤٧، ص١٣٤ .

[١] الأشعري : أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت : ٣٢٨ هـ /٩٣٩م) ، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، ط٢ ، القاهرة ، ص٥ ؛ الكتبي : محمد شاكر (ت : ٧٦٤هـ /١٣٦٢م) عيون التواريخ، تحقيق فيصل السامر، بغداد ، دار الرشيد ، ١٩٨٠م ، ص٢١٥ ؛ القلقشندي : أبو العباس أحمد بن علي (ت : ٨٢١هـ/١٤١٨م) مآثر الأناقة في معالم الخلافة ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، الكويت ، ١٩٤٦ م ، ج٢، ص٢٤٨ ؛ الشيال ، جمال الدين ، تاريخ مصر الإسلامية ، دار المعارف ، مصر ، ط٢، ١٩٦٧ م ، ج١، ص١٨٨ .

[٢] ابن الأثير: محمد عبد الكريم عبد الواحد الشيباني (ت : ٦٣٠هـ /١٢٣٨م) الكامل في التأريخ ، دار الكتاب العربي ، لا ت ، ج٦ ، ص٢٢٩ ؛ الداوداري : أبو بكر بن عبد الله بن أيبك (ت : ٧٣٦هـ /١٣٣٥م) كنز الدرر وجامع الغرر (المسمى الدره المضية في اخبار الدولة الفاطمية) ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، القاهرة ، ١٩٦٦م ، ج٦، ص١١٣ ؛ محمد : سوادي عبد ، دراسات في تاريخ المغرب في القرن الثالث الهجري حتى القرن العاشر الهجري ، بغداد ، ١٩٨٩م ، ص٢٠٦ .

[٣] مصر :من أشهر أقطار الدنيا وأقدمها ذكراً في التاريخ وأبعدها عهداً بالمدنية والعلم. موضعها من الكرة الأرضية في الشمال الشرقي من أفريقيا وهي عبارة عن وادٍ ضيق بين سلسلتي جبال العرب من جهة الشرق وليبيا من جهة الغرب . ينظر : الحموي ، ياقوت ، معجم البلدان ، ج٥، ص١٣٧ ؛ وجدي ، محمد فريد ، دائرة معارف القرن العشرين، دار الفكر ، مج٩، ص١٥ ؛ العروسي ، حسين جلال ، الموسوعة العربية الميسرة ، دار النهضة، لبنان ، بيروت، ١٩٨٧، ص١٢٦ .



أما الفرقة الثانية ، فقد جعلت الإمامة في أبنه موسى الكاظم ﴿عليه السلام﴾ التي تعرف بـ ((الإمامية الأثني عشرية))[1]

– من الواضح أن –أئمة الإسماعيلية عمدوا إلى نشر دعوتهم في الخفاء بعيداً عن مركز الدولة العباسية[2] ، وكانوا يعهدون في التنظيم إلى كبار الدعاة الذين أطلق عليهم نواب الأئمة[3] الذين من خلالهم ينشر المذهب الإسماعيلي في أرجاء

---

[1] العاملي : محسن عبد الكريم الأمين (ت : ١٣٧١هـ /١٩٥٠ م) أعيان الشيعة ، تحقيق وإخراج حسن الأمين ، دار التعارف للمطبوعات ، ط١ ، لا ت ، ج ١، ص٤٦ ؛ مغنية : محمد جواد ، الشيعة في الميزان ، مؤسسة دار الكتاب الإسلامية ، ط١ ، ٢٠٠٥م، ص٥٤٨ .

[2] ابن حزم الإندلسي : أبي محمد القاسم سعيد (ت : ٤٥٦ هـ / ١٠٦٣ م) ، جمهرة أنساب العرب ، تحقيق وتعليق ليفي بروفنسال ، دار المعارف ن مصر ، ١٣٦٨هـ /١٩٤٨م ، ص٥٤ ؛ العلوي : نجم الدين أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن محمد العمري ، (ت: ٤٥٩هـ/ ١٠٦٦م) المجدي في أنساب الطالبين ، تحقيق د. أحمد المهدوي الدامغاني ، مطبعة سيد الشهداء ، قم ، ١٤٠٩هـ /١٩٨٨م ، ص٩٩- ١٠٠ ؛ فخر الدين الرازي: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن القريشي (ت :) ، الشجرة المباركة في أنساب الطالبية ، تحقيق مهدي الرجائي، قم ، ١٤١٩هـ /١٩٨٨م، ص١١٥- ١١٩ ؛ لويس، برنارد: اصول الإسماعيلية، ص١٣٤ ؛ العبادي ، أحمد المختار، في التاريخ العباسي والفاطمي ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، لا ت ، ص٢٢٨ ؛ الليثي : سميره مختار ، جهاد الشيعة في العصر العباسي الأول، دار الدجيل ، لبنان ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٧٨م ، ص٢٣٦ ؛ بروكلمان ، كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية ، ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، دار الملايين للطباعة والنشر، بيروت ، لبنان، ١٩٧٧ م ، ص٢٤٩ .

[3] الأئمة المستورون : نظرية الإمام المستور أو الإمام المستقر ونظرية الإمام المستودع ، هو إمام يتمتع بالإمامة في حياته ويورثها إلى أبنائه من بعده ، أما الإمام المستودع هو إمام يتمتع بالإمامة في حياته ولا يورثها لأبنائه ، والأئمة المستورون عن الإسماعيلية هم : محمد المكتوم ثم جعفر المصدق ثم محمد الحبيب ثم عبيد الله المهدي . للمزيد ينظر : النعمان : القاضي أبو حنيفة محمد بن حيون (ت: ٣٦٣هـ /٩٧٣م) المجالس والمسايرات ، تحقيق الحبيب الفقي وآخرين ، المطبعة الرستمية ، تونس ، ١٩٧٨ م ، ص٤٠٢ –٤١٠ ؛ افتتاح الدعوة ، تحقيق وداد القاضي ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧٠م ، ص١٤٩ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٦، ص١٢٩ ؛ الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج٤، ص٣٩ ؛ المقريزي : تقي الدين أحمد بن علي (ت : ٨٤٥هـ /١٩٠٩م) اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، تحقيق جمال الدين الشيال، لجنة احياء التراث الإسلامي ، القاهرة ، ١٩٦٧م ، ج١، ص٥٠.

العالم الإسلامي ومن أشهر نواب الأئمة عبيد الله[1] بن ميمون القداح[2]. الذي وضع دعامة المذهب الإسماعيلي حتى اعتقد أنه هو محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ﴿ عليه السلام ﴾ الذي وصف أنه كان عالماً بجميع الشرائع والسنن والمذاهب[3] .

بعد نجاح عبيد الله ميمون القداح في نشر الدعوة الإسماعيلية من جهة واستقلال دولة الأغالبة من جهة أخرى ، باتت الخلافة العباسية تغمرها الضعف

---

(1) عبيد الله : هو أبو محمد عبيد الله بن محمد الحبيب بن جعفر المصدق بن محمد المكتوم بن إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر ... (رضي الله عنهم) جد الخلفاء الفاطميين . للمزيد ينظر : ابن ظافر ، جمال الدين علي (ت : ٦٢٣ هت /١٢٢٥م) أخبار الدول المنقطعة ، تحقيق أندرية فريه ، المعهد الفرنسي، القاهرة ، ١٩٧٢م ، ص٦– ١٣ ؛ ابن حماد : أبو عبد الله محمد بن علي الصنهاجي (ت : ٦٢٦ هـ/١٢٢٨م) أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، تحقيق جلول محمد البدوي ، الجزائر ، لا ت ، ص١٧ –٢٩ ؛ ابن الأبار : محمد بن أبي بكر القضاعي (ت : ٦٥٨هـ / ١٢٥٩م) الحلة السيراء ، تحقيق حسين مؤنس ، القاهرة ، لا ت ، ج٢ ، ص١٩٠ ؛ زامباور : أدوردفون، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، أخرجه زكي محمد حسن بك وأحمد محمود ، مطبعة جامعة فؤاد الأول ، مصر ١٩٥١م ، ج١ ، ص١٤٤ .

(2) ميمون القداح : هوميمون بن غيلان بن بيدر بن مهران من الأحواز كان ذكياً بارعاً مثقفاً بثقافة عصره وعالماً عارفاً بكثير من الشرائع والسنن تظاهر بالتشيع وكان يدعو لمحمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ، أما القداح هو بارى القداح أي النبال لأقداح النار وهو أيضاً من يستخرج ماء العين المتورمة والقداح لقب لميمون عند الإسماعييلة لأنه قادح الحق وموري نور الحكمة فضلاً عن كون ميمون كان يطبب العين ويستخرج منها الماء عند تورمها. للمزيد ينظر : النعمان ، المجالس والمسايرات، ص٤١١؛ الحمادي اليماني : محمد بن مالك بن أبي الفضل (من فقهاء القرن الخامس الهجري / العاشر الميلادي) كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة ، تعليق محمد زاهد الكوثري ، نشر وتصحيح عزت العطار ، مطبعة الأنوار ، القاهرة ،١٩٣٩م ، ص١٦–٢٠ ؛ المقريزي ، الخطط المقريزية المسماة المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، منشورات دار أحياء العلوم ، مطبعة الساحل الجنوبي ، لبنان ، الشياح ، لا ت ، ج٢ ، ص٣٤٨ ؛ لويس ، = =برناند أصول الإسماعيلية ، ص١٣٤ ؛ محمد أمين : وسن سمين: الحياة السياسية في الحجاز خلال العصر الفاطمي (٣٥٨–٥٦٧هـ /٩٦٨–١١٧١م)، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية التربية / ابن الرشد ، ٢٠٠٦م ، ص٤ ؛ الطيار : هيفاء ، عاصم محمد ، مدينة القاهرة ، خلال عصر الخلافة الفاطمية (٣٥٨–٥٦٧هـ /٩٦٨–١١٧١م) دراسة في النظم السياسية والمعالم الحضارية ، أطروحة دكتوراه غير منشوره ، الجامعة المستنصرية ، المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية ، ٢٠٠٥م ، ص٩ .

(3) الحمادي ، كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة ، ص٥ .

والإنحلال سيما عندما ظهرت جهود الإمامية بعد وفاة الإمام الحادي عشر عند الإمامية الحسن العسكري ﴿عليه السلام﴾ سنة (٢٦٠هـ/٨٧٣م) وضيق العباسيون الخناق على العلويين ، مما جعل فرقة الإسماعيلية إلى ضرورة إيجاد مكان أكثر أمناً لنشر دعوتهم واتخذوا من المغرب مركزاً لهم في شمال افريقية[١] .

استطاع الفاطميون من تأسيس دولة لهم في المغرب حتى أصبحوا السلطان المطلق في جميع الجهات الواقعة إلى الغرب من مدينة القيروان[٢] .

ولن أسهب في الحديث على نشوء الدعوة الفاطمية وظهور الدولة وأساليب التنظيم المذهبي ،فهذه مسألة بعيدة عن صلب الدراسة التي تنصب على الدولة لا على الدعوة، والدولة في مصر وطبيعة النظام المالي لها تحديداً ، ومن أراد التوسع في الدعوة الفاطمية وتكوينها عليه مراجعة المصادر الآتية[*] .

---

[١] ابن عذاري : أبو محمد بن محمد (ت : القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي) : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق ج س . كولان وليفي بروفنسال ، بيروت ، لا ت ، ج١ ، ص٢١٩ – ٢٢٥ ، المقريزي ، الخطط ، ج٢ ، ص٣٤٨ ؛ لويس : برنارد ، أصول الإسماعيلية ، ص٧٨؛ عنان : محمد عبد الله : الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية ، القاهرة ، ١٣٧٩ هـ/١٩٥٩م، ص٦٦ ؛ سالم ، السيد عبد العزيز : المغرب الكبير ، الدار القومية ، الإسكندرية ، ١٩٦٦م ، ج٢، ص٤٦٥ – ٥٠٤ .

[٢] القلقشندي ، مآثر الأنافة في معالم الخلافة ، ج٢ ، ص٢٤٩ ؛ حسن ، حسن إبراهيم ، تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسوريا وبلاد العرب ، ط٣ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٤ م ، ص٥٠ – ٥١ ؛ سرور ، محمد جمال الدين ، الدولة الفاطمية في مصر ، سياستها ومظاهر الحضارة في عهدها ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٦٥ ، ص٢٠ ؛ياقوت،= =الحموي ، شهاب الدين بن عبد الله (ت : ٦٢٦ هـ/١٢٢٨م) معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٥٣ م، ج٤، ص٤٢٠؛ محمد : سوادي عبد ، دراسات في تأريخ المغرب العربي ، ص٢٠٦ .

[*] ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٦ ؛ المقريزي ، الأتعاظ ، ج١ ، الدواداري ، كنز الدرر ، ج٦ ؛ النعمان ، الأفتتاح ، والمجالس والمسايرات، دعائم الإسلام ، التأويل الباطن ، الهمة في اتباع أدب الأئمة ؛ النيسابوري ، استتار الإمام ؛ الجوذري ، سيرة الأستاذ جوذر ، ؛ اليماني ، محمد وكتابه سير الحاجب جعفر بن علي وخروج المهدي من سلمية ووصوله إلى سجلماسه؛ ابن ظافر ، أخبار الدول المنقطعة ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ؛ القمي ، المقالات والفرق ؛ الشهرستاني ، الملل والنحل وغيرها من المصادر.

على الرغم من أن الدولة الفاطمية تدين بظهورها لأبي عبيد الله فإن عبيد الله المهدي[1] لم يلبث أن عمل على التخلص منه[2] .

لم تقتصر مجهودات عبيد الله على توطيد سلطان خلافته بل رأى أن يبني حاضره له تتوسط دولته ليتخذها حصناً ومقراً للدعوة الإسماعيلية ، فوقع اختياره على مكان جنوب القيروان سماها المهدية[3]. وانتقل البهاسنة (٣٠٨هـ/٩٢٠م) ، أما لقبه بالمهدي فهو لقب الشرف ومعناها الذي هُدِيَ إلى الطريق المستقيم[4].

---

[1] عبيد الله المهدي ابن الإمام رضي الدين عبد الله ، ولد سنة ٢٥٩هـ في مدينة سليمة ، وتسلم الأمة بعد وفاة أبيه عام ٢٣٩هـ ، حسب النص المعترف به عند الإسماعيلية. ينظر : ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين أحمد محمد بن أبي بكر (ت : ٦٨١هـ/١٢٨٢م) ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق أحسان عباس ، بيروت ، دار صادر ، ١٩٧٧ م ، ج٢ ، ص٣٢٤ .

[2] الشيرازي : المؤيد في الدين هبة الله (ت : ٤٧٠هـ / ١٠٧٧م) المجالس المؤيدية (المئة الأولى) تلخيص حاتم بن إبراهيم الحميري اليمني ، تحقيق محمد عبد القادر عبد الناصر، دار الثقافة، القاهرة ، ١٩٨٤ م ، ص١١٨ ؛ ابن كثير: أبو الفدا ، إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت : ٧٧٤هـ / ١٣٧٢ م) البداية والنهاية، تحقيق أحمد أبو ملحم وآخرين، ط٣ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٧م ، ج٢، ص٣-٤ ؛ أدريس : عماد الدين (ت : ٨٧٢ هـ /١٤٦٧م) عيون الأخبار وفنون الآثار في فضائل الأئمة الأطهار ، تحقيق مصطفى غالب، دار الأندلس ، بيروت ، لا ت ، ص٦٣؛ العبادي : في التأريخ العباسي والفاطمي ، ص٢٢٤ ؛ فلوتن : فان ، السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمية ، ترجمه من الفرنسية حسن إبراهيم حسن ومحمد زكي ، ط٢، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ، ١٩٦٥م ، ص٧٨ .

[3] المهدية : نسبة إلى المهدي مؤسس هذه المدينة بأفريقية وهي على ساحل بحر الروم فيها سور عظيم أختط خوفاً من خارج يخرج عليه . للمزيد ينظر : البكري ، أمير عبد الله بن عبد العزيز (ت : ٤٧٨هـ / ١٠٩٧م) كتاب المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، ط٢، باريس ، ١٩٨١م ، ص٢٩- ٣١ ،ياقوت ، معجم البلدان ، ج٥ ، ص٢٣٠ ؛ الرفاعي ، أبو المعالي محمد سراج الدين (ت : ٨٨٥هـ/١٤٨٠م) صحاح الأخبار في نسب السادة الفاطميين الأخيار ، مطبعة لجنة الأخيار ، الهند ، بومباي ، ١٣٠٦هـ/١٨٨٨م ، ص٤٧ ؛ محمد : سوادي ، دراسات في تاريخ المغرب ، ص٢٠٦ ؛ حسن ، حسن إبراهيم وطه أحمد شرف، عبيد الله إمام الشيعة الإسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية في بلاد المغرب، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ص١٤٠ – ١٤٥ .

[4] أدريس ، عماد الدين ، تاريخ الخلفاء الفاطميين في المغرب ، تحقيق محمد اليعلاوي ، دار المغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٨٥م، ص١١٢ ؛ شلبي : أحمد ، موسوعة التأريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٦٩ ، ص١٠٨ .

بعد وفاة عبيد الله المهدي سنة (٣٢٢هـ/٩٣٣م) ، كانت بلاد المغرب تتطلب جهود أبنه أبي القاسم الذي آلت إليه الخلافة ولقب بالقائم بأمر بالله[1] . استطاع الخليفة القائم بأمر الله أن يخمد ما يمكن من ثورات الخوارج في مدة خلافته ، وعندما توفي سنة (٣٣٤هـ/٩٤٥م) عهد لأبنه إسماعيل الذي تلقب بـ المنصور[2]

---

[1] القائم بأمر الله : هو أبو القاسم محمد بن المهدي عبيد الله ، مولده بسلمية سنة ٢٧٨هـ/٨٩١م دخل المغرب مع أبيه فبويع عند موت أبيه سنة ٣٢٢هـ/٩٣٣م وهو ثاني الخلفاء الفاطميين في المغرب ، أمتد حكمه من سنة ٣٢٢-٣٣٤هـ/٩٣٤-٩٤٥م . ينظر: ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٨ ، ص٢٨٤ ؛ أبو الفدا ، الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل (ت٧٣٢هـت/ ١٣٣١م) المختصر في أخبار البشر ، دار الكتاب اللبناني ، لا ت ، ج٢، ص٨٨ ؛ ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد (ت : ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م) تاريخ ابن خلدون المسمى العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، لبنان ، بيروت ، ١٩٧١م ، ج٢، ص٢٤٠ ؛ الصفدي : صلاح الدين بن أيبك (ت : ٧٦٤هـ /١٣٤٥م) ، الوافي بالوفيات ، اعتناء وداد القاضي وسي درينغ ، نشر فرانزشتا يلر بقيسيادن ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ، ج٤، ص٤ ؛ المقريزي ، الخطط ، ج١، ص٣٥١؛ أبو المحاسن ، جمال الدين يوسف بن تغري بردي (ت٨٧٥هـ/١١٦٩م) النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٢٩م، ج٣ ، ص٢٨٧ ، وسوف أرمز له باسم ٠ابن تغري بردي) ؛ ابن العماد الحنبلي ، أبو الفتح عبد الحي بن أحمد بن محمد= =(ت ١٠٨٩ هـ ١٦٧٨م) شذرات الذهب في اخبار من ذهب، المكتبة التجارية ، بيروت ، لا ت، ج٢ ، ص٣٣٧ ؛ سرور ، الدولة الفاطمية في مصر ، ص٢٧-٢٨ .

[2] المنصور بالله : هو إسماعيل بن محمد بن عبيد الله المهدي أبو طاهر المنصور بنصر الله ثالث الخلفاء الفاطمين بالمغرب ، ولد بالقيروان ، قام في الأمر في المهدية بأفريقية بعد وفاة أبيه القائم بأمر الله سنة ٣٣٤ هـ /٩٤٥م ، وبويع بعد أن فرغ من حرب يزيد بن النكار (مخلد بن كيداد) فبنى مدينةبالقرب من القيروان سماها المنصورية ونقل إليها حاشية وجنده ، كان حازما خطيباً بليغاً، تسلم مقاليد الأمر وثورة مخلد في أشد غيلاتها ، فقمع الأولى بقتل مخلد وبقي للأخرى بنفس العزم ، توفي بالمنصورية ودفن بالمهدية . للمزيد ينظر : ابن الجوزي : أبو الفرج عبد الرحمن ابن علي بن محمد القرشي البغدادي (ت٥٩٧هـ/١٢٠١م) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، القاهرة ، ١٣٤٠هـ /١٩٢٠م ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٩ ، ص٤١٧ ؛ الكتبي : محمد بن شاكر (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م) ، فوات الوفيات ، تحقيق أحسان عباس ، دار صادر ،بيروت ، ١٩٧٣ م، ج١١، ص٢٣٧ ؛ ابن خلدون ، العبر ، ج٣، ص٤٤٧ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج٤ ، ص١٦ ؛ السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن (ت : ٩١١ هـ /١٥٠٥م) تاريخ الخلفاء ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، العراق ، بغداد ، مكتبة الشرق ، الجديدة ، لا ت ، ص٤١٧ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ،

الذي وجه عنايته للقضاء على الخوارج في ذلك الوقت ، وبعد وفاته سنة (٣٤١هـ/٩٥٢م) تقلد الخلافة أبنه المعز لدين الله[١] الذي تمكن من اخضاع الخارجين لطاعته بعد أن أو كل المهام إلى قائد جنده جوهر الصقلي[٢].

ج٢ ، ص١٢٣ – ١٣٥ ؛ الزركلي : خير الدين (ت ٦٨٢ هـ/١٢٨٣م) الإعلام ، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء العرب والمستعربين والمستشرقين ، ط٤ن دار العلم للملايين ، بيروت – ١٩٧٩م ، ص٣٢٢ .

[١] المعز لدين الله : أبو تميم معد بن المنصور بن القائم بن المهدي بن عبيد الله رابع الخلفاء الفاطمين ولد بالمهدية سنة ٣١٩هـ/٩٥٢م ، ملك مصر سنة ٣٥٨هـ/٩٦٨م، وانتقل إليها سنة ٣٦٢هـ/٩٧٢م ، توفي سنة ٣٦٥هـ/٩٧٥م ، سار في نواحي أفريقية يمهد ملكه ، استطاع أن يذلل الخارجين عليه ، واستعمل مماليكه على المدن واستخدم الجند وأنفق الأموال وجهز مملوكه القائد جوهر الجيوش . للمزيد ينظر : ابن الجوزي . المنتظم ، ج٧ ، ص٨٢ ؛ ابن ظافر ، أخبار الدول المنقطعة ، ص٢١–٣٣ ؛ ابن حماد : أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، ص٤٨–٥٠ ؛ ابن الأبار ، الحلة السيراء، ج٢، ص٣٩١–٣٩٢ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ،ج٤، ص٣١٢ ؛ اليافعي ، أبو محمد عبد الله بن أسعد بن سليمان (ت٧٦٨هـ/١٣٦٦م) مرآة الجنان وعبر اليقضان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ،

=لبنان، بيروت ، ١٩٧٠م ،ج٢، ص٣٨٣–٣٨٥ ؛ السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص٦٤٨؛ العصامي: عبد الملك بن حسين بن عبد الملك المكي (ت١٠٤٤هـ/١٦٣٩م) ، أخبار الأول فيمن تصرف في مصر في أرباب الدول ، مكتبة مصطفى البابي، الحلبي ، مصر ، لا ت ، ص١١ ؛ ابن الوردي : زين الدين عمر بن المظفر (ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م) ، تاريخ ابن الوردي المسمى تتمة المختصر في أخبار البشر ، المطبعة الحيدرية ،ط٢ ، النجف الأشرف، ١٩٦٩م ،ج١، ص٤١٥ ؛ المقريزي ، الخطط ، ج١، ص٣٥١ ؛ علي: إبراهيم ، مصر في العصور الوسطى من الفتح العربي إلى الفتح العثماني، مصر ، ١٣٦٧هـ/١٩٤٧م ، ص٩٥ ؛ سرور ، محمد جمال الدين : النفوذ الفاطمي في مصر والشام خلال القرنين الرابع والخامس بعد الهجرة ، ط٣، دار الفكر العربي ، بيروت ، ١٩٦٤م، ص٧٧–١٠٥م؛ ناجي ، عبد الجبار، دراسات في المدن العربية الإسلامية، مطبعة جامعة البصرة، ١٩٨٦ م، ص٢٣٢– ٢٣٩ ؛ زامباور ، أدوارد ، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة ، ص١٤٤ .

[٢] هو جوهر بن عبد الله الرومي ، أبو الحسن ، القائد ، باني مدينة القاهرة والجامع الأزهر ، كان من موالي المعز لدين الله الفاطمي ،سيرة من القيروان إلى مصر بعد موت كافور الأخشيدي ، فدخلها سنة ٣٥٨هـ/٩٦٨م وأرسل الجيوش لفتح بلاد الشام وضمها إليه ، ومكث بها حاكماً مطلقاً إلى أن قدم مولاه المعز سنة ٣٦٢هـ/٩٧٢م ، وحل المعز محلة وصار من عظماء القواد في دولته وما بعدها ، إلى أن توفي بالقاهرة ، كان كثير الأحسان شجاعاً فلم يبق بمصر شاعر إلا رثاه فكان بناؤه القاهرة سنة ٣٥٨هـ/٩٦٨م، وسماها (المنصورية) حتى قدم المعز فسماها ((القاهرة)) ، كان قد فرغ من بناء

عمل المعز على توطيد الخلافة الفاطمية في بلاد المغرب فعهد إلى جوهر الصقلي بأخضاع الثائرين على الحكم الفاطمي في هذه البلاد ، فسار سنة (٣٤٧هـ/٩٥٨م) قاصداً تاهرت[١]، وقضى على واليها ثم توجه نحو فاس[٢] ثم توجه إلى سجلماسة[٣]حتى وصل بعد ذلك إلى ساحل المحيط الأطلسي ولم تمتنع عليه سوى سبته وطنجة ، ثم رجع إلى المهدية بعد نجاحه في إقامة الدعوة على جميع منابر المغرب[٤]بعد أن استقر الأمر لهُ في البلاد، عزم التوجه إلى الشرق ، وعن إرسال جيشه لفتح مصر بعد أن كان قد استعد لذلك واتخاذه السبل الكافية لإنجاح ذلك ، وقد ساعدت سرعة تعاقب الأحداث في مصر في السنوات الأخيرة للحكم الأخشيدي مع ما صاحبها من فوضى سياسية وأزمات اقتصادية فضلاً عن

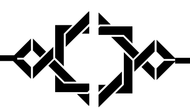
الجامع الأزهر في رمضان سنة ٣٦١هـ/٩٧١م . للمزيد ينظر : الحبال : أبو إسحاق بن سعيد بن عبد الله (ت ٤٨٢هـ/١٠٨٩م) وفيات المصريين في العهد الفاطمي ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار صادر ، القاهرة ، ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م، ص٣٣ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ،ج٥، ص١١٨ ؛ اليافعي ، مرآة الجنان ، ج٢، ص٤١١-٤١٤؛ ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، ج٣ ، ص٩٨ – ١٠٠ ؛ ابن خلدون ، العبر، ج٧ ، ص١٧ – ١٨ ؛ حسن ، علي إبراهيم ، تاريخ جوهر الصقلي ، قائد المعز لدين الله الفاطمي ، ط١ ، مصر ، ١٣٢١هـ/١٩٣٣م ، ص٢٤؛ غالب: مصطفى، اعلام الإسماعيلية ، دار اليقظة العربية ،بيروت ، ١٩٦٤م ، ص١٩٤-١٩٦ ؛ مبارك ، علي باشا ، الخطط التوفيقية الجديد لمصر ، القاهرة ومدنها وبلادها المشهورة ، المطبعة الأميرية الكبرى ،ببولاق ، مصر ، ١٣٠٤هـ ١٨٩٢م ، ج٢، ص٤٥.

[١] تاهرت : كورة ومدينة بالمغرب الأوسط تتألف من تاهرت القديمة وتاهرت الجديدة . ينظر : ابن الفقيه : أبو بكر أحمد بن محمد الهمذاني (ت٢٨٩هـ/٩٠١م) مختصر كتاب البلدان، تحقيق دي غويه ، بريل ، ليدن ، ١٨٨٩م ، ص٨٨ .

[٢] فاس : مدينة كبيرة وهي حاضرة المغرب وأجل مدنه قبل أن تختط مدينة مراكش . ينظر : ياقوت ، معجم البلدان ، ج٤، ص٢٣٠- ٢٣١ ؛ مؤلف مجهول من كتاب القرن السادس الهجري ، الاستبصار في عجائب الأمصار ، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد ، دائرة الشؤون الثقافية، بغداد ، لا ت ، ص١٨٠ – ١٨٥ ؛ حسن ، حسن إبراهيم وطه أحمد شرف ، المعز لدين الله إمام الشيعة الإسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية في مصر، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٧م ، ص٣٢- ٣٣ .

[٣] سجلماسة : مدينة على حدود المغرب الجنوبية الشرقية في منطقة تافيلالت ، اسسها المدرار بن عبد الله سنة ١٤٠هـ/٥٥٧م . ينظر : ابن حوقل : أبو القاسم محمد بن علي النصيبي (ت٣٦٧هـ/٩٧٧م) صورة الأرض ، منشورات مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٧٩م ، ص٩٠-٩٦؛ البكري، أبو عبد الله بن عبيد الله بن عبد العزيز (ت٤٨٧هـ/١٠٩٧م)، المسالك والممالك، تحقيق جمال طلبه، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٢ م ، ج٢ ، ص٣٢٢ –٣٣٨ ؛ مؤلف مجهول ، الاستبصار ، ص٢٠٠ ؛ الجنحاني ، الحبيب ، عالم المعرفة ، مجلة المجتمع الإسلامي ، الحياة الاقتصادية، العدد ٣١٩ لسنة ١٩٩٠، ص١٤١.

[٤] حسن : حسن إبراهيم وطه أحمد شرف ، المعز لدين الله ، ص٣٢- ٣٣ ؛ العقاد : عباس محمود : فاطمة الزهراء والفاطميون ، دار الهلال ، مصر ، لا ت ، ص٢٢٠ .



الدور الكبير الذي حققه الدعاة الفاطميون ، ساعدت كل تلك الظروف على تعجيل تحقيق حلم الفاطميين[١].

---

[١] سيد : ايمن فؤاد، تاريخ الدولة الفاطمية ، تفسير جديد ، الدار المصرية اللبنانية ، ط٢ ، ٢٠٠٢م ، ص١٣٦ ؛ الباشا ، حسن ، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار ، لجنة البيان العربي ، القاهرة ، ١٩٥٧م ، ص٩٥ ؛ نصر الله : محمد علي ، قيام الدولة الفاطمية وبرنامجها السياسي (مجلة البلاغ)صادرة عن الجمعية الإسلامية للخدمات الثقافية، العدد ٥، العراق ، لسنة١٩٧١ م ، ص٧١ ؛ الخربوطلي ، علي حسني، مصر العربية الإسلامية، السياسة والحضارة في مصر في العصر العربي الإسلامي منذ الفتح العربي إلى الفتح العثماني، مكتبة الأنجلو المصرية ، لا ت ، ص١١٣ ؛ ينظر : الملحق رقم (١) خارطة التوسع الفاطمي.

الفصل الأول

الموارد المالية للدولة الفاطمية في مصر

أولا- الخراج

ثانيا- الزكاة (النجوى)

ثالثا- الجزية (الجوالي)

رابعا- الأحباس

خامسا- المكوس

سادسا- المصادرات

سابعا- إيرادات ومتحصلات دار الضرب ودار العيار

ثامنا- النشاط التجاري

تاسعا- موارد مالية أخرى

أ-المعادن

ب-المتجر

جـ-المواريث الحشرية

د- الحراج

هـ- موارد العقارات

و- التنقيب عن الآثار والكنوز

ز- ضريبة البراطيل

الخراج:

ورد مصطلح الخراج في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ [١]. وقوله تعالى : ﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴾ [٢]. وقوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ ﴾ [٣].

والخراج ما يوضع من الضرائب على الأرض[٤] أو محصولاتها وهو من أقدم أنواع الضرائب، فلما بدأ المسلمون بفتح الشام ومصر والعراق وغيرها، أقروا الدواوين الخاصة بالخراج، وعندما صار الأمر إلى بني أمية عربوا الدواوين، وأول من فعل ذلك عبد الملك بن مروان سنة ٨١هـ فصارت الدواوين عربية، وكان الخلفاء هم الذين يتولون النظر في أمر الخراج[٥]. ويراقبون سير الجباية، فلما أفضى الأمر إلى الدولة العباسية وضعوا ديواناً مركزياً للخراج يشتمل على ما تحته من دواوين الخراج.

وظلت كلمة (خراج) تدل على المعنى العام نفسه في كتب الفقه، ولعل كلمة خراج اعتبرت عربية الأصل بمعنى "إخراج الأرض" ومن ثم ما أن استهل القرن الأول الهجري حتى أصبحت تدل بخاصة على الضريبة التي تجبى على الأرض المملوكة[٦].

---

[١] سورة المؤمنون، الآية ٧٢.

[٢] سورة الصافات، الآية ٦٣.

[٣] سورة البقرة، الآية ٢٢.

[٤] أبو يوسف، القاضي يعقوب بن إبراهيم (ت ١٨٢هـ/٧٩٨م)، كتاب الخراج، تحقيق إحسان عباس، طبعة خاصة بنك الكويت الصناعي، ط١، ودار الشروق، بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص٥٩؛ الأنباري ، د عبد الرزاق ن تاريخ الدولة العربية ٠العصر الراشدي الأموي) ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ، ١٩٨٥ م ، ص٥٧٠.

[٥] الريس، محمد ضياء الدين ، الخراج والنظم المالية، ط٢، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦١م، ص٤١٧.

[٦] الماوردي، أبو الحسن علي بن حبيب البصري (ت٤٥٠هـ/١٠٥٧م)، الأحكام السلطانية ، مصر القاهرة ، ١٢٩٨م ، ص١٨٣ ؛أحمد الشتنتاوي وآخرون ، دائرة المعارف الإسلامية ، مراجعة وزارة

أمّا في عهد الدولة الفاطمية فيعد الخراج أحد النظم المالية، وما أدخلته عليها من تغييرات، فقد اختلفت موارد الدولة الفاطمية وتنوعت مصادرها حيث كانت تأتي أولاً من ضريبة الأرض التي فرضت على مساحة الأرض وهي تشمل على المال الذي يجبى كل سنة على الأرض المزروعة وعلى الواجبات العينية من غلة ونخل وكروم وفواكه وأغنام ودجاج وشهد وغيرها من منتجات القرية[١].

ويشكل الخراج أهم واردات بيت مال الدولة الفاطمية فهو عماد ثروتها[٢]. وقد بدا أكثر وضوحاً في مصر منه في المغرب بعد ما جعل الخليفة الفاطمي المعز لدين الله (٣٤١-٣٦٥هـ/٩٥١-٩٧٥م) مسألة الإشراف على الشؤون المالية ليعقوب بن كلس[٣] وعسلوج بن الحسن، فاستهلا عملهما بدعوة الرعية لاستثمار الأراضي التابعة للدولة وسائر وجوه أعمالها وتهيئة مستلزمات تضمينها والضرب على أيدي المتهاونين من المالكين للأراضي والمضمنين والعمال ممن تأخروا في دفع مابقي عليهم من أموال الدولة[٤].

يذكر لنا أحد المؤرخين أنه عند مجيء الفاطميين الذين أتوا من بلاد المغرب وفتحوا مصر "جبى القائد جوهر الخراج لسنة ثمان وخمسين وثلاثمائة

المعارف، مج ٨، باب خراج ، ص٢٠٨ ؛ حميد الله محمد ، الوثائق السياسية في عهد النبي والخلافة الراشدة ، القاهرة ، ١٩٤٢م ، ص٢١٩؛ العلي، صالح ، الخراج في العراق ، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص١٤ .

[١] المقريزي، الخطط ، ج٢، ص٨٣-٨٤.

[٢] المقريزي، الخطط، ج٢، ص٨٤؛ حسن، حسن إبراهيم وطه أحمد شرف، المعز لدين الله امام الشيعة الإسماعيلية ، ص١٦٨.

[٣] يعقوب بن يوسف بن إبراهيم بن هارون بن كلس، ابو الفرج، وزيراً، من الكتاب، الحسّاب ولد ببغداد وأخرجه أبوه من الشام إلى مصر،... للمزيد ينظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٩، ص٢٧ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج٧، ص٢٧؛ ؛ الزركلي، لاعلام، ج٩، ص٢٦٧؛ ابن سعيد المغربي، ابو الحسن نور الدين علي بن محمد بن عبد الملك الغرناطي (ت ٦٨٥هـ/١٢٨٤م) النجوم الزاهرة من حلى حضرة القاهرة – وهو جزء من كتاب المغرب في حلى المغرب ، تحقيق حسين نصار ، لا ت ، ص٣٥٦.

[٤] المقريزي، اتعاظ الحنفا ، ج١، ص١٤٥.

(٣٥٨هـ/٩٦٨م) ثلاثة آلاف الف دينار وأربعمائة الف دينار ونيفاً "[١]. وفي الوقت ذاته ذكر لنا المقريزي: أنه بلغ خراج مصر في تلك السنة ثلاثة آلاف ألف دينار ومائتي الف دينار[٢]. وعلى الرغم من اختلاف الروايتين فيما جباه الفاطميون عند دخولهم مصر مباشرة، فالظاهر في الأمر مبالغة لاضطراب الأوضاع يومذاك. هذا وقد جعل الخليفة المعز لدين الله جباية الخراج قسمين، حين وضع إحداهما بيد علي بن محمد بن طباطبا وعبد الله بن عطاء، ووضع القسم الثاني بيد الحسن بن عبد الله والحسن بن أحمد الروذبادي، حيث يعمل هؤلاء جميعاً تحت إشراف يعقوب وعسلوج[٣].

كان من الطبيعي ان تلتفت الدولة الفاطمية إلى موضوع الخراج وأهميته لمالية الدولة، فتعيد ترتيب أوضاعه، وتدقيق حساباته انسجاما مع الوضع الجديد، فبعد أن بدأت الأوضاع بالاستقرار نوعاً ما، أبطل الخليفة المعز لدين الله نظام الضرائب القديم وأنشأ نظاماً جديداً لتقدير أملاك الفلاحين وذلك بتحديد الضرائب المفروضة على أراضيهم وجمعها في مكان واحد، وتشدد في جباية ما تأخر عنها.

وقد اعتنى عناية كبيرة بشؤون الفلاحين حيث اهتم من ناحية أخرى بجمع طلبات الفلاحين المتعلقة بالالتماسات من ناحية والشكاوي من ناحية أخرى، وقد تعامل مع هاتين الطريقتين بالشدة والحزم[٤].

يبدو أن حزم الفاطميين في أخذ الخراج كان له أبعد الأثر في هذه الزيادات، وكانت نتيجته أن زاد خراج مصر بمقدار كبير في المحرم من سنة ٣٦٣هـ/٩٦٩م،

---

[١] أبو المكارم ، جرجيس بن مسعود (ت ٦٠٥هـ/ ١٢٠٨م) ، تاريخ أبي صالح الأرمني (المعروف باسم كنائس واديره مصر) ، تحقيق وترجمة أيفتس (Evetts) ، طبعة أكسفورد ، ١٨٩٥م ، ص٣٠ ، وسف أرمز له ب(الأرمني) ، كنائس وأديره مصر.

[٢] اتعاظ الحنفا، ج١، ص١٤٤؛ حسن، إبرهيم حسن، وعلي إبراهيم، النظم الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٢، ص٢٦٢.

[٣] ابن ميسر، تاج الدين بن علي بن يوسف بن جلب راغب (ت٦٧٧هـ/١٢٧٨م)، أخبار مصر، تحقيق أيمن فؤاد سيد، المعهد العالي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٨١م، ص٤٥.

[٤] ابن ميسر، أخبار مصر، ج١، ص٤٦.

فكان خراج الفسطاط وحدها يتراوح بين (٥٠.٠٠٠ و ١٢٠.٠٠٠) الف دينار يومياً كما زاد خراج دمياط وتنيس والاشمونيين عن (٢٠٠.٠٠٠) الف دينار من تلك السنة وذلك كله لم تعهده مصر من قبل[(١)].

واعتمد الخلفاء الفاطميون وفي مقدمتهم الخليفة المعز لدين الله نظام البواقي الذي يلتزم بموجبه الضامن لدفع مبلغ من المال إلى الحكومة لقاء منحه جباية الخراج من المزارعين لغرض الإفادة من المبالغ المتبقية كأرباح بعد إيفائه بالتزاماته[(٢)]. وهذا الإجراء المالي يمكن عدّه من الأمور التي استحدثها الفاطميون في إدارة شؤون هذا المورد المالي المهم في مصر، واتبعوا سياسة حازمة في تحصيل الخراج من الشخص الذي لم يفِ بعهده، ويمكن ترجيح عاملين مهمينِ يحولان دون ذلك حيث اعتمدت الزراعة في مصر بشكل عام على عامل النيل وفيضان مياهه وعامل آخر هو عناية الحكومة بتوفير الإمكانات اللازمة بالزراعة[(٣)].

ويمكن ان نعزي السبب في اتخاذ الخلفاء الفاطميين الإجراءات المتشددة في جباية الخراج الرغبة في ضمان حصول الدولة الفاطمية على موارد مالية ثابتة ومضمونة من تلك الأراضي بحيث لا تتأثر بعوامل طبيعية التي قد تصيب الأراضي، ويمكن عدّه وسيلة من وسائل زيادة قوة الدولة، وزيادة مواردها المالية خاصة وهي تجابه تحديات داخلية وخارجية كالحروب وما يصاحبها من حركات تمرد تحول دون مزاولة الفلاحين والمزارعين نشاطهم ومن ثم يصعب عليهم دفع مافي ذمتهم من أية التزامات مالية للدولة[(٤)].

اعتمد الفاطميون في جباية خراجهم على خمسة أقساط، لاسيما إذا حسبت على أساس الغلة فيكون استيفاؤها في أعقاب حصول المحصول ، ويحكم العلاقة الوثيقة

---

(١) المصدر نفسه، ج١، ص٤٦.

(٢) هوبكنز، ج.ف.ب، النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى، تعريب: أمين توفيق الطيبي، الشركة الجديدة للطباعة والصحافة والنشر، تونس، ١٩٨٠، ص١١٤.

(٣) البراوي، راشد، حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين، مكتبة النهضة المصرية، مطبعة السعادة بمصر، ١٩٤٨م، ص٦٣.

(٤) البراوي، راشد، حالة مصر الاقتصادية، ص٦٣.

بين الخراج والزراعة ، كان الأداء تبعاً للسنة الشمسية في حين أن السنة الهجرية الرسمية في السنة القمرية التي تلائم الضرائب الثابتة المستقلة عن الزراعة ، فنجم عن ذلك قيام نظام معقد يعتمد ثنائية السنة المالية ، وكان العام المالي في مصر يفتتح شهر أيلول الذي يوافق انحسار فيضان النيل وبداية الموسم الزراعي[١]. وكان يجبى عيناً أي على كل صنف من أصناف الغلة مع مراعاة وفرة الغلة وسلامتها من الآفات ومقدار فيضان النيل الذي كان له الأثر في رخاء الدولة من خلال ارتفاع الايرادات التي تحصل عليها الحكومة، ونعني بذلك المقدار هو الحد اللازم[٢] لارتفاع منسوب المياه الذي اختلفت فيه آراء المؤرخين[٣]. فمنهم من يعد الحد اللازم لري الأراضي حتى لاتقحط، أربعة عشر ذراعاً[٤]، فإذا بلغ النيل ستة عشر ذراعاً[٥] كان ذلك الحد الذي يفضل عن الحاجة ويبقى عند الناس قوت سنة أخرى[٦]. في حين يرى آخر ان سبعة عشر ذراعاً هو المستوى العادي، فإذ نقص الفيضان عجز

---

[١] كاهن ، كلود ، تاريخ العرب والشعوب الإسلامية ، منذ ظهور الإسلام حتى بداية الأمبراطورية العثمانية ، نقله إلى العربية ، د. بدر الدين القاسم ، ط٣، مطبعة الحقيقة ، بيروت ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ، ص٩٢-٩٣ .

[٢] الحد اللازم: ونعني به ارتفاع منسوب المياه، بحيث لا هو منخفض جداً وهو حالة "الظمأ- أي اثنا عشر ذراعاً" وبذلك يستحيل ري جميع الأراضي الزراعية مما يؤدي إلى نقص المحصول وعجز الحكومة عن جباية الخراج. ولا في حالة الفيضان العالي "وهو الاستبحار-أي ثمانية عشر ذراعاً" ويؤدي إلى إغراق الأراضي يسبب إتلاف الزرع فيقل الكلأ والمراعي. المقريزي، الخطط، ج١، ص١٠٣-١٠٤.

[٣] البراوي، راشد، حالة مصر الاقتصادية، ص٦٣، مشرفه، مصطفى عطية، نظم الحكم في عهد الفاطميين (٣٥٨-٥٦٧هـ/٩٦٨-١١٧١م)، دار الفكر العربي، بيروت، ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م، ص١٥٩.

[٤] القضاعي، القاضي أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر الشافعي (ت٤٥٤هـ/١٠٦٢م)، عيون المعارف وفنون أخبار الخلايف، مخطوط بدار الكتب المصرية، القاهرة، تحت رقم ١٧٧٩، لا ت، حيث ولاه الفاطميون القضاء مدة من الزمن وعمل في بعض الدواوين.

[٥] المقريزي، الخطط، ج١، ص١٠٣-١٠٤.

[٦] المقريزي، المصدر نفسه ، ج١، ص١٠٣-١٠٤؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج٢، ص١٨٠.

السلطان عن الحصول على الخراج كاملاً[1] ولهذا ففي كلا الحالتين فإن البلاد مهددة بالقحط الذي يصاحبه في الكثير من الأحيان الوباء[2]. لذلك عمل المصريون على تقسيم الأرضي الزراعية إلى –حياض– يصل اليها الماء عند الفيضان بوساطة شبكة واسعة من القنوات والترع التي تسّد حتى يبلغ ارتفاع النيل حداً معيناً[3].

وكانت مساحة الأرض المزروعة حوالي مليوني من الأفدنة، وكان الخراج يختلف باختلاف المحاصيل، واذا وازنا بين غلة الفدان[4] ومقدار الضريبة المفروضة عليه، فإنه يتضح أن النسبة المئوية للضريبة إذا كان متوسط انتاج الفدان ٨–١٠ من الغلة، فإن النسبة المئوية للضريبة تكون ٣٠%إذا كان المنزرع قمحاً أو شعيراً، ويكون ٢٥%– ٦٢.٥% إذا كان المنزرع حمصاً، و١٧%–٢٥% إذا كان المنزرع لفتاً[5].

وقد أثارت المصادر الكثير من النقاش والحوار في طبيعة التحرير العربي لمصر وهل فتحت صلحاً أم عنوة[6]. وما ترتب حول استغلال الأرض، فإذا كانت مصر فتحت صلحاً فإن ذلك يعني أن الأرض تترك ملكاً لأهلها بخراج معلوم، أمّا الحالة الثانية فعندئذ تصبح الأرض غنيمة للفاتحين فتقسم عليهم أو قد يعدل على تقسيمها على المحررين ويعوضون عنها، ولما سيطر الفاطميون على مصر من خلال المراسلات والمكاتبات وعقد جوهر القائد الأمان لهم لم تكن الدولة تسيطر

---

[1] خسرو، ناصر (ت٤٨١هـ/١٠٨٩) ، سفرنامه ، نقله إل العربية يحيى الخشاب ، دار الكتاب الجديد، بيروت ، ١٩٧٠م، ص٨١–٨٢؛ ابن مماتي ، شرف الدين أبي المكارم بن أبي سعيد (ت٦٠٦هـ/١٢٠٩م)، قوانين الدواوين، ص٧٦؛ البراوي، حالة مصر الاقتصادية، ص٦٤.

[2] المقريزي، الخطط، ج١، ص١٠٨.

[3] المصدر نفسه، ج١، ص١٠٤.

[4] مساحة الفدان تساوي (٥٩٢٩)متراً مربعاً، ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص٢٥٩.

[5] المصدر نفسه ، ص٢٥٩.

[6] المقريزي، الخطط، ص٢٩٤–٢٩٥؛ السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن (ت٩١١هـ)، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، صيدا، بيروت ، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ج١، ص٤٦٩.

على أرض مصر الغالبية الزراعية من المالكين وإنما وضعت يدها على أراضي الأخشيديين الحكومية.

وقد أورد ابن مماتي ثبتاً بأنواع المحاصيل ومايجبى من كل فدان[1] بالأرادب أو بالدنانير حتى نهاية الدولة الفاطمية[2]. وقد اختلفت مبالغ الخراج من وقت لآخر ففي سنة ٣٥٨هـ/٩٦٨م بلغ مقدار الخراج ٣.٢٠٠.٠٠٠ دينار. من الواضح ان هذا المبلغ فيه نوع من المبالغة إذ من غير المعقول أن تجبي الدولة هذا المبلغ بالسنة الأولى من الفتح لأن حالات الفوضى والاضطراب الذي يسود البلاد عند الفتح لابد أن يؤدي إلى نقص الإيرادات. فضلاً عن حالة مصر عندما فتحها الفاطميين كان الناس يشكون القحط والوباء بسبب نقص النيل.

وفي سنة ٣٥٩هـ/٩٦٩م، بلغ الخراج ٣.٤٠٠.٠٠٠ دينار، وارتفع مقدار الخراج من ٣.٤٠٠.٠٠٠ دينار إلى ٧٠٠.٠٠٠.٠٠٠ دينار، وقد علل ابن حوقل ذلك أن القائد جوهر أمر برفع الضريبة العقارية على الفدان من ٣.٥ إلى (٧) دنانير، ونحن نرى ان الزيادة في مقدار الخراج لم يأتِ من رفع الضريبة إذ من غير المعقول ان يأمر القائد جوهر بزيادة الضريبة وهو وعد المصريين أن يخفف عنهم[3] في الوقت الذي كان فيه يعمل على اجتذاب قلوب الناس وعطفهم، أضف إلى ذلك أزمة القحط لازالت مستمرة، ولكن يمكن القول أن مقدار الخراج بدأ بالازدياد نتيجة الاستقرار الأمني والسياسي، وهذا ماحصل فعلاً سنة ٣٦٠هـ/٩٧٠م، حيث كان مقدار الخراج ٣.٢٠٠.٠٠٠[4] وهذا الرقم معقول إذ أن استقرار الاحوال ادى إلى ارتفاع مقدار الخراج. وقد هدأت الأمور بعد عامين من الفتح مما أوجب زيادة إيرادات الخراج بشكل واضح.

---

[1] قوانين الدواوين، ص٢٥٩-٢٧٠؛ ينظر : الملحق رقم (٢) الخاص بضريبة المحاصيل الزراعية.

[2] المقريزي، الخطط، ج١، ص٨٢-٨٣؛ طوسون، عمر، مالية مصر منذ عهد الفراعنة إلى الآن، الإسكندرية ، ١٩٣١م، ص٥٤-٥٩؛ حسن، إبراهيم حسن، تاريخ الدولة الفاطمية، ص٥٤٧.

[3] ينظر: الملحق رقم (٣) بأمان جوهر فائدة المعز لدين الله عند الفتح للمصريين.

[4] ابن تغري بدري ، النجوم الزاهرة ، ج٤، ص٤٩.

أمّا سنة ٣٦٢هـ/٩٧٢م فكان مقدار الخراج ٤.٠٠٠.٠٠٠ دينار[١] أيام متولي الخراج يعقوب بن كلس حيث انه لجأ إلى التشديد في الجباية –الراجع أن– مقدار الزيادة في هذه السنة عن سابقتها يعود إلى انه لايمثل الايرادات نفسها بل يشمل المتأخرات من السنوات السابقة حيث ان يعقوب بن كلس وعسلوج بن الحسن طالبا الناس بالبواقي[٢]. أضف إلى ذلك ان يعقوب وعسلوج أبيا أن يقبلا إلا ديناراً مغربياً وحيث كان الدينار الراضي في متناول أيدي الناس فإنهم كانوا يدفعون الخراج به ولكن الحكومة أخذته منهم بثلاثة أرباع قيمته وهذا يعود بالنفع والربح للحكومة.

وفي خلافة العزيز بالله (٣٦٥–٣٨٦هـ)/(٩٧٥–٩٩٦م) وقف المبلغ عند ٣.٣٠٠.٠٠٠ بسبب تشديد الحكومة في تحصيل الضرائب وامتاز عهد الخليفة العزيز بالله بالهدوء وعدم تعرض البلاد إلى أزمات مالية عنيفة[٣] ومن الطبيعي ان تكون الحكومة مرتاحة في جباية خراجها.

أمّا في خلافة الحاكم بأمر الله (٣٨٦–٤١١هـ)/(٩٩٦–١٠٢٠م) فقد بلغ مقدار الخراج ٣.٤٠٠.٠٠٠[٤] وهو يمثل حزم حكومته ومهابتها في نفوس الناس رغم ان الحاكم أمر بإسقاط المكوس عن الشعب.

وفي خلافة المستنصر بالله (٤٢٧–٤٨٧هـ)/١٠٣٥–١٠٩٤م) بلغ مقدار الخراج سنة (٤٦٢هـ/١٠٩٦م) ٦٠٠.٠٠٠وهذا المبلغ ضئيل جداً بالمقارنة مع السنوات السابقة بسبب الأزمة الاقتصادية والمالية التي شهدتها البلاد إذ انها دامت من عام ٤٥٧هـ إلى عام ٤٦٤ هـ أي قرابة سبع سنوات، ثم ارتفع مقدار الخراج بعد عامين من الشدة العظمى إلى ٢.٨٠٠.٠٠٠[٥].

---

[١] الارمني، كنائس واديرة مصر، ص٨٢.

[٢] هوبكنز ، النظم الإسلامية في المغرب، ص١١٤.

[٣] ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص٢٥٩–٢٧٠؛ المقريزي، الخطط، ج١، ص٨٢–٨٣.

[٤] المقريزي، الخطط، ج١، ص٨٢–٨٣ ؛ تامر ، عارف ، الحاكم بأمر الله – خليفة – وإمام ومصلح ، دار الآفاق الجديد، بيروت ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م ، ص٥٨ ؛ الخربوطلي ،علي حسني ، الدعوة الفاطمية دعوة الحق والحضارة ، بومبابي ، لا ت ، ص١٤١.

[٥] المقريزي، المصدر نفسه، ص٨٢–٨٣.

أمّا في خلافة المستعلي بالله (٤٨٧-٤٩٥هـ)/(١٠٩٤-١١٠١م) وفي زمن الوزير بدر الجمالي فقد بلغ مقدار الخراج إلى ٣.١٠٠.٠٠٠[١] وهذا المبلغ الكبير بعد ٢٣ سنة من انتهاء الشدة حيث استطاع بدر الجمالي نشر الأمن فأقبل الفلاحون على الزراعة. في حين يذكر أبو صالح الارمني[٢] رقماً آخر هو ٣.١٦١.٣٥٣ دينار قائلاً أنه يمثل حالة الايراد في أيام ابن الكمال القاضي. وبلغ متحصل الأهراء مليون أردب حيث نشطت التجارة الخارجية لمصر ايام الوزير الأفضل بن أمير الجيوش ووصلت إلى ٥.٠٠٠.٠٠٠[٣].

في عام ٥٤٠هـ/١١٤٥م ومنذ مقتل الأفضل ووزارة المأمون البطائحي تحسنت الحالة المالية حتى انه سامح الناس بما عليهم من متأخرات. وبعد العام ذاته انحطت الجباية وذلك نتيجة الاضطرابات والفتن التي لحقت بالعصر الفاطمي.

-ويمكن القول- ان المبالغ التي أوردناها تعد مقياساً للسنوات التي تمتعت فيها البلاد بالرخاء وعظمت سلطة الحكومة المركزية كما كان الحال في خلافة المعز والعزيز والحاكم وفي وزارات اليازوري وبدر الجمالي والأفضل والمأمون البطائحي ومما يدل على وفرة الاموال ماانشأه العزيز من المباني[٤].

اتبع الفاطميون في جباية الضرائب المقررة على الأراضي الزراعية نظام الإلتزام (تقبيل الأرض) وهو نظام يلتزم بموجبه الضامن بدفع مبلغ من المال إلى ولاة الأمر لقاء منحه جباية الخراج من المزارعين لغرض الاستفادة من المبالغ المتبقية كأرباح بعد إيفائه بالتزاماته[٥]، وهذا النظام اتبعته الدولة الفاطمية في وقت لاحق لتضمن

---

[١] طوسون، عمر، مالية مصر، ص٥٤-٥٩؛ حسن، حسن إبراهيم، تاريخ الدولة الفاطمية، ص٥٤٧.

[٢] الكنائس وأديرة مصر، ص١٠٨.

[٣] ابن ميسر، أخبار مصر، ص٥٩.

[٤] النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٢هـ/١٣٣٢م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، المؤسسة المصرية العامة، لا ت، ج٢٦، ص٤٩٢.

[٥] هوبكنز، النظم الإسلامية في المغرب، ص١١٤؛ الصالح، صبحي، النظم الإسلامية نشأتها وتطورها، دار العلم للملايين،ط٤، بيروت، ١٩٧٨م، ص٣٦١، حين ذكر لنا أن هذا النظام (الإلتزام) الذي يمكن أن نسميه (نظام الاقطاع) وهو على نوعين: اقطاع استقلال واقطاع تمليك.

الحصول على أموالها بعد أن يتعهد شخص بجباية الضرائب في قرية أو عدة قرى أو كور[١].ويتمم هذا العمل بطريقة المزايدة، حيث ذكر لنا المقريزي قائلاً : "إنَّ متولي خراج مصر كان يجلس في جامع عمرو بن العاص من الفسطاط في الوقت الذي تتهيأ فيه قبالة الأراضي، وقد أجمع الناس من القرى والمدن فيقوم رجل ينادي على البلاد صفقات، صفقات، وكتاب الخراج بين يدي متولي لخراج، يكتبون ماانتهى اليه مبالغ الكور والصفقات على من يتقبلها من الناس، وكانت البلاد يتقبلها متقبلوها بالأربع سنين لأجل الضمان والاستبحار... وغير ذلك، فإذا انقضى هذا الأمر خرج كل من كان تقبل أرضاً وضمها إلى ناحية فيتولى زراعتها وإصلاح جسورها وسائر وجوه أعمالها بنفسه وأهله ومن ينتدبه لذلك ويحصل ما عليه من الخراج في أبانه على أقساط ويحسب له من مبلغ قبالته وضمانه لتلك الأراضي ماينفقه على عمارة جسورها وسد ترعها وحفر خلجها بضرابة مقدرة في ديوان الخراج"[٢].

لم يكن في بادئ الأمر أن خصّ فئة على حساب فئة أخرى من الرعية في مسألة الضمان، فقد شملت مختلف فئات الشعب فمنهم من كان من أعيان الدولة مثل علي بن عمر بن العداس[٣]. فقد ضمن كورة بوصير[٤] وتقدم المعلم زوين لضمان مدينة القاهرة في عهد الخليفة الظاهر[٥]. وكانت الدولة الفاطمية جادة في استحصال مبالغ الضمان، ففي زمن الخليفة المعز لدين الله تأخر مبلغ الخراج على

---

[١] الكور : الكوره بالفتح ثم السكون، والكوره : الإبل الكثيره العظيمة : وكور أرض : ينظر : ابن رسته أبي علي أحمد بن عمر (ت٢٩٠هـ/) ، الأعلاق النفيسة، ليدن ، بريل ، ١٨٩١م، ص٣٣٠ ياقوت ، ياقوت ، معجم البلدان ، ج٤، ص٤٨٩ ؛.

[٢] المقريزي، الخطط، ج١، ص٨٢.

[٣] العداس: هو علي بن عمر أبو الحسن من وزراء الدولة الفاطمية، استوزره الخليفة العزيز بالله بعد وفاة وزيره يعقوب بن كلس سنة ٢٠٨هـ فأقام سنة. ينظر: الزركلي، الاعلام، ج٥، ص١٣١.

[٤] بوصير: قرية من قرى الفيوم بصعيد مصر. ياقوت، معجم البلدان، مج١، ص٥٠٩.

[٥] ضمن الفاطميون أموال الدولة كلها ويبدو أن الخليفة العزيز بالله (٣٦٥-٣٨٦هـ (٩٧٥-٩٩٦م) أول من سن هذه السياسة إذ لم يستوزر أحد بعد موت يعقوب بن كلس بل ضمن أموال الدولة لجماعة من المستخدمين. النويري، نهاية الأرب، ج٢٦، ص٤٩.

الضمان والمتقبلين وكان يسمى البواقي[1]، فشدد في طلبه متولي الخراج[2]، فكانت متشددة مرة وتسامح به مرة.

وكانت الدولة الفاطمية تفرض الضرائب على الأراضي الزراعية بالوجهين القبلي والبحري لصيانة الجسور والمحافظة عليها، وفيما يتعلق بصيانة الجسور والأفنية المحلية الخاصة بالقرية، فقد علمنا من المقريزي أن عبء ذلك كان واقعاً على أهل الناحية ولم يكن لهم خيار للرفض لاتصال ذلك العمل بالصالح العام، أما النفقات فيدفعها المالك أو المقطع أو متقبل الأرض ثم تخصم من المبلغ المطلوب لبيت المال، ولهذا كانت نفقات الصيانة تحسب في الكشوف التي يعدها الوكلاء[3]. وإذا كانت الأرض المؤجرة صغيرة المساحة يجوز للفلاحين أنفسهم أن يقوموا بما يختص بالجسور ثم يخصم المبلغ الذي أنفق من مجموع المستحقات الواجب دفعها لصاحب الأرض[4].

وفي خلافة الآمر بأحكام الله (٤٩٥-٥٢٤هـ)/(١١٠٢-١١٣٠م) استوزر المأمون البطائحي الوزارة بعد قتل الأفضل، وعندئذ تنازل الوزير عن المتأخرات المستحقة للدولة، وقد اتبع إجراءاً آخر، فأطال مدة القبالة إلى ٣٠ سنة بعد أن كانت ٤ سنوات أي عمل على إزالة الفوارق بين هذا النظام وبين الإقطاع العربي.

---

[1] وهو المبلغ المتبقي على الضامن في حالة دفع جزءاً مما عليه وقد وصلت البواقي في عهد الأمر إلى مبالغ ضخمة قدرت بنحو ٢.٧٠٠.٠٠٠دينار و٣.٨٠٠.٠٠٠ أردب.ينظر سعد، احمد صادق، تاريخ مصر الاجتماعي الاقتصادي (مصر الفرعونية- الهلينية- الأمبراطورية الإسلامية- الفاطمية من المغرب إلى مصر- عهد المماليك، دار ابن خلدون للطباعة،بيروت، ط١، ١٩٧٩ ، ص٢٦٩.

[2] المقريزي، اتعاظ الحنفا، ص٩٧-٩٨.

[3] المقريزي، اتعاظ الحنفا، ص٩٨؛ البراوي، راشد، حالة مصر الاقتصادية، ص١١٣.

[4] ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص١١٤.

والى جانب القبالة، والضمان هناك "الاقطاع"[١] وبالرغم من أن نظام الإقطاع لم يكن منتشراً في أول الخلافة الفاطمية وخضع لإشراف الدولة عن طريق إدارة خاصة تسمى "ديوان الاقطاع"[٢] وكان الخليفة العزيز بالله يأمر بتقدير الخراج المفروض على الأرض المقطعة دون المقطعين مما يبين استمرار ولاية الدولة المركزية على الملكية حتى في شكل الاقطياع، ثم تضاعفت الاقطاعات في أواخر العصر الفاطمي[٣]. إضافة إلى ذلك كان من حق الخليفة أن ينتزع الإقطاع العقاري من المقطع في أي وقت[٤]، دون أن يرى الفقهاء في هذا أمراً غير شرعي، وذلك

---

[١] الاقطاع: وهو أن يمنح الخليفة شخصاً من المقربين اليه حق الاستحواذ على إيراد منطقة معينة مدى الحياة. وقد يورث لذريته من بعده. حميد الله، الوثائق السياسية ، ص٢١٩؛ ابن منظور ، لسان العرب، مادة قطع ، ج١٠، ص١٤٩.

[٢] ديوان الاقطاع: وكان أحد أقسام ديوان الجيش، أعد ليختص بشؤون الاقطاعات فينظر فيما هو مقطع للأجناد، وهو جمع قطيعة وهي ما يمنحه الامام من الأرض لبعض المتميزين بفعالهم من رعيته. ابن الطوير ، أبو محمد المرتضى عبد السلام بن الحسن الفهري (ت٥١٧هـ/١١٢م)، نزهة المقلتين في أخبار الدولتين ، تحقيق ايمن فؤاد سيد ، النشرات الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٩٢م، ص٨٦؛ القلقشندي ، أبو العباس أحمد بن علي (ت٨١٢هـ/١٤١٨م) ، صبح الأعشى في كتابة الانشى ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، ١٩١٦م، ج٣، ص٤٨٩؛ المقريزي، الخطط، ج٢، ص٢٤٢؛ ماجد، عبد المنعم، نظم الفاطميين ورسومهم في مصر ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة، ١٩٥٣م ، ص١٩٣؛ سعد، احمد صادق، تاريخ مصر الاجتماعي–الاقتصادي، ص٢٦٩.

[٣] سعد، تاريخ مصر، ص٢٦٩.

[٤] كثيراً ما لجأ الخلفاء الفاطميون إلى مصادرة الإقطاعات وحلها إذا أثار المقطعون سخطاً عليهم ولا تحدثنا المصادر ان كانت الحكومة صادرت إقطاعات التمليك و الاستغلال ويظهر أنها لم تكن تراعي التمييز بين الحالتين، وفي هذا العمل اختلف رجال الفقه، فقد قال ابن منجم، الفقيه والعلامة: وفيما أفتي به ان للامام ان يخرج الاقطاع عن المقطع كما شاء وهو محمول على إذا ما أقطعه أرضاً عامر من بيت المال فأحياها ليس له إخراجه عنه لأنه صار مالكاً للرقبة، وكان رأي ابن عابدين متأخر عن أبي يوسف في عدّ المقطع بالتمليك لأي نوع من الأرض كمالكٍ لرقبتها، وفي هذه الحالة تعد مصادرتها اعتداءاً على حقوق الملكية، وبسبب ما أصاب الأهالي في أيام المستنصر بالله من قحط ووباء أن انتقلت ملكيات خاصة كثيرة إلى بيت المال لعدم وجود الورثة الشرعيين، وبذلك زادت مساحة أراضي الدولة، على حساب أراضي الامتلاك الخاص ويتبع ذلك كثرة عدد الإقطاعات التي أمر بحلها بعد ذلك الأفضل ابن امير الجيوش وزير الخليفة الآمر بأحكام الله. ينظر: أبو يوسف، الخراج، ص٣٩٠؛ المقريزي، الخطط، ج١، ص٨٣ ؛الخربوطلي : علي حسين ، العزيز بالله

لعدم وجود الورثة بسبب قلة دخل المقطعين قياساً لدخل الاقطاعات الأخرى، وقد اختلفت تقديرات المؤرخين والعاملين في مجال حقوق الملكية العامة للأراضي الزراعية بالنسبة لمساحات الأراضي الزراعية بمصر، فقد مسحت الأراضي المصرية إلى آخر الدولة الفاطمية أربع مرات، الأولى: حوالي سنة ٩٦هـ/٧١٥م على يد الوليد بن رفاعة عامل الخراج على مصر، خرج ومعه الكتاب والأعوان بالصعيد لهذا الغرض ستة أشهر حتى بلغ اسوان، وثلاثة أشهر بأسفل الأرض (الدلتا) فاحصوا من القرى أكثر من عشرة آلاف قرية ، ومن الرجال الذين يدفعون الجزية خمسة آلاف الف رجل. والثانية: أيام عبد الله بن الحبحاب في خلافة هشام بن عبد الملك سنة ١١٠هـ/٧٢٩م، حيث خرج بنفسه فمسح أرض مصر فكان عامر أرضها وعامرها مائة الف الف فدان والفدان أربعمائة قصبة، والباقي استبحر وتلف، وما يصلح للزراعة ثلاثين ألف الف فدان.

والثالثة: أيام أحمد بن المدبر في خلافة المعتز بالله العباسي حوالي سنة ٢٥٣هـ/٨٦٧م، فكان مايصلح للزراعة أربعة وعشرين ألف الف فدان والباقي مستبحر وبور من قلة الزراعة، أمّا الرابعة: فكانت في خلافة الآمر بأحكام الله الخليفة الفاطمي أيام الوزير الأفضل بن بدر سنة ٥٠١هـ/١١٠٧م[١]. وبدراسة تلك التقديرات والآراء فقد قدرت مساحة مصر في عهد المعز لدين الله بنحو ٢٨٥.٧١٤ فداناً[٢]. وقدرت في الوقت نفسه بنحو ٦٤٦.٧٤٥فداناً[٣].– يتضح لنا – أنه كانت هناك مجموعة من الاعتبارات يجب مراعاتها عند تقدير الخراج أهمها نوع الأرض ونوع المزروع وطريقة الري ولا يجب الخراج إلا إذا أوفي النيل ستة عشر ذراعاً ، فقد كان أقل حد للري دون القحط ، والبالغ أثنا عشر ذراعاً ، كما يخشى من الاستبحار ، إذا بلغ منسوب المياه ثانية عشر ذراعاً[٤].

الفاطمي (سلسلة اعلام العرب رقم ٧٣) ، وزارة الثقافة ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ١٩٦٨م، ص١٣٢ .

[١] المقريزي، الخطط، ص١١٨، ١٢٠، ١٥٩، ١٦١؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١، ص٤٧، مشرفه، مصطفى عطية، نظم الحكم بمصر في عهد الفاطميين، ص١٦٤.

[٢] حسن وعلي إبراهيم ، النظم الإسلامية، ص٣١٦.

[٣] طوسون، عمر، مالية مصر، ص٢٢٣.

[٤] المخزومي ، القاضي السعيد ثقة الثقات والرياستين أبو الحسين علي بن أبي عمرو عثمان بن يوسف (ت ٥٨٥هـ/١١٨٩م) ، المنهاج في علم خراج مصر، المعهد الفرنسي للآثار ، القاهرة، ١٩٦٧م ،

ثانيا- الزكاة:

ورد مصطلح الزكاة في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾[١]. وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾[٢].ومعنى الزكاة في الشرع اسم "للصدقة" الواجبة من المال[٣] لأن فاعلها يزكو بفعلها عند الله سبحانه وتعالى، ويصير من الطاهرين المطهرين، ويومئ إلى هذا المعنى قوله تعالى:﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[٤]. والزكاة واجبة بحكم القرآن[٥]، وقد فسرها الماوردي[٦]، ومعنى قوله سبحانه ((تطهرهم وتزكيهم بها)) أي تطهر ذنوبهم، وتزكي أعمالهم. وهي فرض فرضه الله تعالى على عباده، قائلاً : ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾[٧]. وتعد أول ضريبة إسلامية فرضت على الأغنياء والقادرين، وقد أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، أن يأخذ الزكاة من أموال الأغنياء ليردها على الفقراء بمقتضى قوله تعالى :﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[٨]. والزكاة واجبة بضرورة الدين، تماماً كالصلاة، ويخرج منكرها من الإسلام، ولذا قرنها الله سبحانه وتعالى بالصلاة في أكثر من آية في كتابه، ومن ذلك قوله تعالى ((وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين... وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة.. قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون... قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى)) ويشترط فيمن تجب عليه الزكاة، البلوغ والعقل، وان يكون المال ملكاً تاماً لصاحبه متمكناً من التصرف فيه، ويشترط على غير المسلم كما هي على المسلم، قال تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾[٩].

ص٤٧ ؛ ابن مماتي ، قوانين الدواوين ، ص٦٧ ؛ القلقشندي ، صبح الأعشى ،ج٣، ص٢٩٥ ؛ سيد ، أيمن فؤاد ، الدولة الفاطمية في مصر ، ص٥١٧-٥١٨.

[١] سورة المعارج، الآية ٢٤-٢٥.

[٢] سورة مريم، الآية ٥٥.

[٣] الصالح، صبحي، النظم الإسلامية ، ص٣٥٥.

[٤] سورة التوبة، الآية ١٠٤.

[٥] الصالح، صبحي، النظم الإسلامية، ص٣٥٥.

[٦]الأحكام السلطانية، ص٩٨-١٠١.

[٧] سورة المعارج، الآية ٢٤.

[٨] سورة التوبة، الآية ١٠٣.

[٩] سورة فصلت، الآية ٧.

وقد وضع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الزكاة على تسعة وعفا عما سواها، فالحنطة والشعير والتمر والزبيب والذهب والفضة، والإبل[1] والبقر والغنم وهذا يمثل المال الظاهر من وجهة نظر الفقه، أمّا الذهب والفضة وعروض التجار فهو يمثل المال الباطن، ويختص نظر والي الصدقات فقط بزكاة الأموال الظاهرة، أمّا زكاة المال الباطن فليس لوالي الصدقات نظر فيه وإنما أربابه أحق بزكاته[2].

يقضي الشرع الإسلامي ان تأخذ الزكاة من المسلم الغني بقوله عليه الصلاة والسلام (فاعلمهم ان الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم)[3]. و(أدوا زكاة أموالكم فإنها طهور لكم)[4]. و(من أدى زكاة ماله فقد ذهب عنه شره)[5].

إن الغرض من حث المسلم على الزكاة، تحقيق نوع من العدالة الاجتماعية للمستحقين، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[6].

أمّا الزكاة في الدولة الفاطمية، وهي تعد أحد النظم المالية فيها حيث لم يدخل الفاطميون أي تعديل عليها فقد نص عليها بالقرآن الكريم والسنة النبوية، حيث عدّ هذا العمل واجباً دينياً المراد به التقريب لله (عزّ وجل). وقد اختلفت الموارد المالية للزكاة، الواردة لبيت المال، باختلاف السنين، باختلاف الاوضاع المالية للناس، لكنها -على كل حال- غذت إيرادات الخزينة، كمورد مهم من الموارد المالية للدولة. ولم تذكر لنا المصادر على مدى حكم الفاطميين لأكثر من قرنين من الزمان المبالغ

---

[1] ابن سيده ، أبي الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي (ت٤٥٨هـ) المخصص، دار الفكر ، لا.ت ، السفر السابع ، ص١٣٤.

[2] الماوردي، الأحكام السلطانية، ص٩٨-١٠١.

[3] أبو يوسف، الخراج، ص٥٩، النعمان، القاضي ، أبو حنيفة بن أبي عبد الله بن منصور بن أحمد بن حيون (ت٣٦٣هـ/٩٧٤م). كتاب الهمة في آداب الائمة، تحقيق كامل حسين، ١٩٤٧م، ص٣٢؛.

[4] النعمان، كتاب الهمة، ص٣٢.

[5] القاضي، المصدر نفسه، ص٣٢.

[6] سورة التوبة، الآية ٦٠.

المتحصلة من الزكاة ولكن هناك إشارة في نهاية الدولة الفاطمية حيث كان أول من جبى الزكاة بمصر سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م وزير الخليفة العاضد آخر الخلفاء الفاطميين[١].

وحدد ابن مماتي في جدول جامع ماتجب فيه الزكاة ومصارفها وما لم تجب فيه[٢]، مع ملاحظة أن تقسيم الزكاة منصوص عليه وليس للائمة اجتهاد فيه[٣].

اعتاد الناس بدفع الزكاة ومبالغها إلى المستفيدين منها مباشرة دون تدخل الدولة أو وساطتها في ذلك إلا أن المقريزي يذكر لنا أن صلاح الدين وزير الخليفة الفاطمي العاضد، أصدر سجلاً بعد وفاة الخليفة أمر فيه أن تدفع الزكاة على الوجه الشرعي المأمور به من الله (عز وجل)[٤].

وهناك ما يعرف بالفطرة (النجوى) التي كان على الدعاة الإسماعيليين أن يدفعوها للحكومة الفاطمية عن طريق الداعي أو نقبائه، ومبلغها ثلاثة دراهم وثلث، فيجتمع في ذلك الشيء الكثير، يحمله الداعي إلى الخليفة بيده بينه وبين الخليفة، وأمانته في ذلك مع الله تعالى، فيفوض الخليفة منه ما يعينه لنفس ولنقبائه، وأن من بين الإسماعيلية الممولين من يحمل ثلاثة وثلاثين ديناراً وثلثي دينار على حكم النجوى وبصحبتها رقعة مكتوبة باسمه فيتميز في المحوَّل وتعود إليه وعليها خط الخليفة ((بارك الله فيك وفي مالك وولدك ودينك))[٥] فيدخر ذلك ويتفاخر به.

وقد اتخذ الفاطميون النجوى من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٦].

---

[١] المقريزي، الخطط ، ج١، ص١٧٤.

[٢] قوانين الدواوين، ص٣١٠ وص٣١٦.

[٣] الماوردي، الاحكام السلطانية، ص١٠٧.

[٤] الخطط، ج١، ص٣٩١.

[٥] ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص١١٢؛ المقريزي، الخطط، ج١، ص٣٩١.

[٦] سورة المجادلة، الآية ١٢ .

ثالثا- الجزية :

ورد مصطلح "جزية" في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[1] وقال تعالى: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[2]. والجزية تعني خراج الأرض وما يؤخذ من أهل الكتاب وهو يرجع إلى بيت المال[3].

وفي عهد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) اتفق الائمة على أن الجزية تضرب على أهل الكتاب وعلى المجوس ولا تؤخذ من عرب الجزيرة من عبدة الأوثان، إذ لا يقبل منهم إلا الإسلام[4]. واستمر العمل بهذا النظام طيلة العصر الراشدي والأموي والعباسي.

---

(١) سورة التوبة، الآية ٢٩.

(٢) سورة التوبة، الآية ١١.

(٣) أبو يوسف، الخراج، ص٥٩أحمد الشنتاوي وآخرون دائرة المعارف الإسلامية، مج٦، باب جزية، ص٤٥٤؛

(٤) أبو يوسف، الخراج، ص٥٩ ، أحمد الشنتاوي وآخرون ، المصدر نفسه ، مج٦، باب جزية، ص٤٥٤.

ويهمنا هنا دراسة (الجزية)في الدولة الفاطمية كأحد النظم المالية وموردًا مهمًا من موارد بيت المال، وقد فرضت الجزية على أهل الذمة، الأحرار البالغين دون الصبيان والنساء والرهبان والعبيد والمجانين، والشيخ الكبير والفقراء الذين لا كسب لهم، ومن مات منهم أو أسلم في خلال السنة، وقد فرضت الحكومة الفاطمية الجزية على الأفراد وفقاً لثروتهم وقد قسمت إلى ثلاث فئات، العليا ويدفع أفرادها ١/٦ ٤ أربعة دنانير وسدس الدينار والفئة الثانية الوسطى دينارين وقيراطين، والفئة الثالثة، السفلى دينار واحد وثلث وربع وحبتين، يضاف إلى كل فئة ١/٤ ٢ درهمين وربع الدرهم تدفع للموظفين القائمين بالتحصيل[1].

فرضت الجزية على اليهود والنصارى[2] والمقررة على رقابهم في كل سنة وتدفع من المشتغلين بالتجارة والصناعة في المدن، أمّا في المناطق الريفية فتدخل ضمن الخراج أي الضريبة العقارية المفروضة على الأراضي وكانت تجبى بحسب السنة الهلالية[3].

وكان يشترط فيمن تجب عليه الجزية الذكور والبلوغ والحرية[4]، وهي تسقط عند الدخول في الإسلام، وذلك لقوله تعالى: ((قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون بدين الحق من الذين أوتوا الكتاب،

---

[1] ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص٣١٧ و٣١٩؛ المقريزي، الخطط، ج١، ص١٠٨.

[2] كان في القاهرة في القرن الرابع الهجري، سبعة آلاف يهودي وبالإسكندرية ثلاثة آلاف يهودي وبمدن الدلتا نحو ثلاثة آلاف يهودي وبمدن الصعيد التجارية نحو ستة مائة يهودي. أمّا القبط بأعلى وأسفل مصر وقت الفتح الإسلامي فكانوا أكثر من ستة آلاف الف نفس وقريضتهم يومئذ اثني عشر الف الف دينار سنوياً. ينظر: المقريزي، الخطط، ج١، ص٢٢٨؛ بك، محمد كامل مرسي، الملكية العقارية في مصر وتطورها التاريخي من عهد الفراعنة إلى الآن، القاهرة، ١٩٣٦م، ص٥٨؛ مشرفه، مصطفى عطية، نظم الحكم بمصر، ص١٧١.

[3] المال الهلالي: (وهو ما يستأدى مشاهرة كأجر الأملاك المسقفة من الآدر والحوانيت والحمامات والأفران والطواحين وعداد الغنم والجهة الهوائية المضمونة والمحلولة). ينظر: المقريزي، الخطط، ج١، ص١٠٧. ويدخل في الإطار ذاته احكار البيوت وريع البساتين ومصايد السمك ومعاصر الشيرج والزيت. المقريزي، الخطط، ج١، ص١٠٧.

[4] المقريزي ، الخطط، ج١، ص١٠٧.

حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صغرون))[١] وهي تشابه بذلك فرض الزكاة على المسلمين ووجبت نظير قيام المسلمين بالدفاع عنهم وحمايتهم لأنهم لم يكونوا يدخلون مع المسلمين في حروبهم[٢].

والأصل في فرض الجزية على الذميين إيجاد التوازن في الدولة عن طريق التكافؤ، فالمسلمون والذميون في نظر الإسلام رعية لدولة واحدة، ويتمتعون بحقوق واحدة، وينتفعون بمصالح الدولة العامة بنسبة واحدة، ومن هنا فرضت الجزية على أهل الذمة في مقابل فرض الزكاة على المسلمين، وكان في الزكاة معنى تعبدي، بينما كان في الجزية معنى قانوني، ويذكر لنا أحد المؤرخين قائلاً : الجزية وزنها فعله من جزى يجزي إذا كافأ عما أسدي اليه[٣] فكأن أهل الكتاب اعطوها جزاء ما منحوا من الأمن[٤]. وكل شخص يجب عليه الجهاد فيما لو كان مسلماً تجب عليه الجزية مادام غير مسلم إتماماً لمعنى التكافؤ والتقابل[٥]. وقد أثبتت الجزية للذمي الأمن العام على نفسه وأهله وماله في المقام والسفر"[٦].

استمر العمل بأخذ الجزية من أهل الكتاب طيلة عهد الدولة الفاطمية فقد بلغت هذه الضريبة في عهد الخليفة الآمر بأحكام الله (٤٩٥-٥٢٤هـ)/(١١٠١-١١٢٩م)

---

[١] سورة التوبة، الآية ٢٩.

[٢] أبو يوسف، الخراج، ص٦٩-٧٢؛ الماوردي، الحكام السلطانية، ص١٣٩. القرطبي، عريب بن سعد (ت٣٨٠هـ)، الجامع لأحكام القرآن ، دار الفكر للطباعة ، القاهرة ، ١٩٣٠م، ج٢، ص١٠٩؛ الخضري، محمد بك، محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية الدولة العباسية ، مؤسسة المختار للتوزيع والنشر ، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٣م، ص١٦٨.

[٣] الحنبلي، أبو يعلي الفراء محمد بن الحسيني (ت٤٥٨هـ)، الأحكام السلطانية، تحقيق محمد حامد الفقي، طبعة البابي الحلبي، ١٣٥٦هـ، ١٩٣٨م، ص١٣٧.

[٤] ابن قيم الجوزية، شمس الدين عبد الله محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١هـ)، أحكام أهل الذمة، تحقيق صبحي الصالح، مطبعة دمشق، ١٣٨١هـ/١٩٦١م، ص١٥٧.

[٥] الصالح، صبحي، النظم الإسلامية، ص٣٦٤.

[٦] ابن قيم الجوزية، أحكام أهل الذمة، ص١٥٧.

عن كل نفس دينار وثلث، واحياناً ديناران[١]. ولسنا نعرف مقدار هذه الضريبة، حيث لم يذكر لنا ثبتاً بها، إلا أن هناك إشارة متأخرة، ويبدو أنها تعود إلى أيام الفاطميين، حيث بلغ إيراد الجوالي عام (٥٨٧هـ/١١٥١م) ١٣٠٠٠٠٠ دينار[٢] وان مراقب الاسواق المحتسب كان يقوم بجباية "الجوالي" وهناك ديوان خاص عرف باسم "ديوان الجوالي"[٣].

بعد أن أقر الفاطميون ديواناً لهذه الضريبة، وتعيين موظفاً لهذا الغرض لضبط إيرادات الجزية التي يدفعها أهل الكتاب، أخذت تجبى هذه الأموال بحلول الحول، أي إنها تؤدى بعد انقضاء السنة بالشهور الهلالية[٤]. فإذا أسلم الذمي أو مات أثناء الحول الزمه من يتولى الديوان بقدر ما مضّي من السنة قبل إسلامه أو وفاته وكان كتاب الديوان يرومونها مشاهرة حتى يلزموا المكلف قبل إسلامه أو وفاته[٥].

وقد حث الفقهاء من خلال الأحاديث النبوية ومجالس الفقه المتعلقة بضرورة الرفق والإنصاف في جباية الجزية من الذميين فقد شددوا على أن لايضرب أحداً منهم لحمله على دفع الجزية أو يعذب، بل تجبى منهم بروح العدل والإنصاف، على

---

(١) الارمني، كنائس وأديره مصر، ص١٢؛ ماجد، عبد المنعم، نظم الفاطميين ورسومهم في مصر، ج١، ص١١٩.

(٢) المقريزي، الخطط، ج١، ص١٠٨.

(٣) الجالية: ما يفرضه العدو على بلد مهزوم من المال والمحاصيل، وهي أيضاً بمعنى أهل الذمة، سموا بذلك لأن الخليفة عمر بن الخطاب أجلاهم عن شبه الجزيرة العربية، ثم أطلق هذا الاسم على كل من فرضت عليه الجزية من أهل الذمة والمجوس، وان لم يكن صاحبها قد جلا عن وطنه، ويقال استعمل فلان على الجالية إذ ولى أخذ الجالية منهم والعامة تطلق الجالية على نفس = =الجزية وجعلها جوالي. ينظر: أبو يوسف، الخراج، ص١٠٢؛ المقريزي، الخطط، ج١، ص١٠٨؛ ابن منظور، محمد بن مكرم المصري (ت٧٦١هـ/١٣١١م) ، لسان العرب، بولاق ، ١٩٤٩م، ج٢، ص٢٠٩؛ ربيع ، حسنين محمد : النظم المالية في مصر زمن الأيوبيين ، مطبعة جامعة القاهرة ، ١٩٦٤ ، ص٤٥ .

(٤)ابن مماتي، قوانين، ص١٣. المقريزي، الخطط، ج١، ص١٠٧؛ الماوردي، الأحكام السلطانية، ص١٢٦.

(٥) المقريزي، الخطط، ج١، ص١٠٧؛ النويري، نهاية الأرب، ص٢٤١.

أن من وضع على ذمي جزية أوجبها الله عليه أو شفع له في وضعها، فقد خان الله ورسوله وجميع المؤمنين[١].

إن الفاطميين وإن أبدوا تسامحاً مع المسيحيين واليهود إلا أنهم حرصوا كل الحرص على تحصيل هذه الضرائب منهم، وان تساهل الفاطميين وتسامحهم اشتمل على حرية العمل والنشاط الاقتصادي وممارسة الشعائر الدينية والمسائل المالية. وهذا التساهل الذي لجأ إليه الفاطميون في مصر يخالف لما زعم: ان الجزية إنما وضعت على أهل الذمة إذلالاً وإهانة لهم. لأن الشريعة الإسلامية ليست بأول واضع لها. ولأنها إنما وضعت لتعطي للمقاتلة والجند الذين نصبوا أنفسهم لحماية البلاد واستتباب الأمن والسلام للكافة، ولأن من كان من أفراد الملة يدافع عن نفسه وماله فليس عليه شيء[٢].

ولهذا فإن هذه الضريبة إنما تعد أساساً قائماً على الرضا العام واستخدمت انما وجه من وجوه المصلحة العامة، حيث انها كانت متناسبة مع أهلية كل فرد، فاعطى منها من هم في حاجة إلى العون والمساعدة.

لاشك أن مسألة جباية المبالغ المترتبة على الذميين كانت قد قسمت إلى ثلاث طبقات[٣] وهذا التقسيم راجع إلى الإجراءات التي اتخذها الوزير رضوان بن ولخش

---

[١] أبو يوسف، الخراج، ج٢، ص٢١٠؛ البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م) ، فتوح البلدان، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٦م، ص١٣٢.

[٢] النعمان، دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام على أهل بيت رسول الله عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام ، تحقيق آصفي بن علي أصغر فيضي، القاهرة، ١٩٥١م، ص٢٤٥؛ مشرفه، مصطفى عطية، نظم الحكم بمصر زمن الفاطميين، ص١٧٢.

[٣] قسم المقريزي طبقات الناس في مصر سبعة أقسام وهذه الأقسام هي "أهل الدولة، وأهل اليسار من التجار، وأولي النعمة من ذوي الرفاهية والباعة- ومتوسطي الحال من التجار ويقال لهم أصحاب البزّ- ويلحق بهم أصحاب المعايش وهم السوقة، وأهل الفلح وهم أهل الزراعات والحرث سكان القرى والريف، والفقراء -وهم جل الفقهاء وطلاب العلم، وأرباب الصنائع والأجراء أصحاب المهن ثم ذوو الحاجة والمسكنة وهم السؤال الذين ينتفعون الناس ويعيشون منهم". ينظر: المقريزي، إغاثة الأمة بكشف الغمة، ص٧٢-٧٣؛ سيد، أيمن، تاريخ الدولة الفاطمية، ص٥٥١. ولو أمعنا النظر في تقسيم المقريزي طبقات المجتمع بهذا الشكل لوجدناه في الحقيقة قياساً لمتوسط الدخل ومقداره،

٥٣٢هـ/١١٣٧م لمواجهة تسلط النصارى[١] حيث يذكر لنا ابن مماتي بالقول: بأنه كان يضاف إلى كل جزية درهمان وربع عن رسم المشدّ والمستخدمين[٢]. في حين يذكر المخزومي، أن أكثر أهل الذمة في وقته من الطبقة السفلى والغني منهم قليل[٣].

في الوقت الذي تشير بعض المصادر إلى أن أهل الذمة، سواء القبط أو اليهود قاموا بدور عظيم في تجارة مصر الداخلية، ونلاحظ ان من كان يتجر منهم في السلع المستوردة من الأسواق الشرقية أو الغربية كان كثير منهم من غير المسلمين الغرباء، الذين استقر بهم المقام في مصر، ولمع نجمهم، وازدهر نشاطهم التجاري في مصر لاسيما في العصر الفاطمي، وكان نشاط اليهود المقيمين في مصر واضحاً في هذا الميدان وكان لهم في مصر نقابة للصيرفة[٤]. وكان لليهود دور كبير في التجارة واشتغلوا بجميع أنواع التجارة، وأنهم كانوا على اتصال مباشر بالخلفاء لاشتغالهم في تجارة المجوهرات والتحف القديمة.

ظل اليهود يدفعون الرسوم إلى بيت مال الدولة، فقد دفع طبيب يهودي أربع دنانير وسدس إلى بيت المال،ودفع أبا إلياس وهو تاجر يهودي ماقيمته دينار واحد وثلثين ونصف قيراط سنة٤١٦ھ رسماً عن سنة ٤١٥هـ[٥].وعلى الرغم من ذلك فقد أبدى الخلفاء الفاطميون نحو التجار الذميين، تسامحاً عظيماً ومعاملة حسنة وصار

ينقسم إلى ثلاث (فئات) حيث يمكن عدّ أهل الدولة وأرباب التجارة وكبار موظفي الدولة (الطبقة البرجوازية (العليا))، أمّا الباعة والبقالون وبائعو ضرورات الذين ينتجون سلعة ما ويقومون بالاتجار فيها، يمكن عدهم الطبقة المتوسطة (الوسطى)، أمّا الفقراء وذوو الحاجة وأرباب الصنائع المحلية النشأة، فيمكن عدهم في الطبقة العامة.

[١] ابن ميسر، أخبار مصر، ص٦٩.

[٢] ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص٣١٩.

[٣] المخزومي ، المنهاج ، ص٣٤؛ ابن مماتي، المصدر السابق، ص٣١٩؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٤٥٨.

[٤] متز،آدم، تاريخ الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ترجمة عبد الهادي أبو ريده ، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٦م، ج٢، ص٣٧٧؛ ترتون (أ.س) : أهل الذمة في الإسلام، ترجمة د. حسن حبشي ، القاهرة ، ١٩٦٨، ص٢٧.

[٥] ترتون، أهل الذمة في مصر، ص٢٠٧؛ سيد، الدولة الفاطمية، ص٥٢٥.

لهم مكانة كبيرة عند الخلفاء حتى إن بعضهم قام بدور عظيم في سياسة البلاد، ومن التجار القبط الذين لمع أمرهم، إبراهيم بن زرعة السرياني، قدم بتجارة إلى مصر وكان واسع الثراء ذائع الصيت،"وكان بينه وبين المعز ورجال دولته جميل عظيم،لأجل بضايعه، وامتعته التي كانت تتواصل وكان يعاملهم فيها، وكان جميع أراضنه مصر يحبونه ويكرمونه"(١). وقد رفع أحد اليهود التماساً جاء فيه: "أنه كان يقوم بالجزية الواجبة عليه ومبلغها في السنة دينار واحد وثلث وربع ودرهم، ويلتمس اعفائه منها نظراً لإصابته بمرض في عينه أتلف بصره"(٢).

وان ما ذكره بعض المؤرخين(٣) عن سياسة التعسف التي كانت تتبعها الدولة الفاطمية حيال الذميين وخاصة التجار، فإنه في الحقيقة لم يكن تعسف بل هي قوانين الدولة لاسيما الدولة الفاطمية صاحبة الجذور التاريخية العريقة، فمثلاً كانت تتبع نظاماً صارماً في كل من يكذب ويغش من التجار أو أظهر خيانة فإنه يحمل على جمل ويجعل في يده جرس ويطاف به في المدينة وهو يدق الجرس وينادي: "وقد كذبت وهأنا أعاقب، وكل من يقول الكذب فجزاؤه العقاب"(٤). هذا وكما هو معروف ان التجار في العصور الإسلامية يتصفون في الغالب بالصدق والأمانة في عمليات البيع والشراء، وإن ماحصل لم يكن تعميماً وإنما حالة فريدة من نوعها قد تتكرر أو لا.

وقد أدرك الرحالة الفارسي ناصر خسرو الذي زار مصر في القرن الخامس الهجري علو ومكانة التجار اليهود وماكانوا يحضون به من شأن من الخلفاء الفاطميين، فيقول: انه كان بمصر يهودي وافر الثراء، واسع التجارة، وكان أهم ما يتجر فيه المجوهرات الثمينة، وكانت له مكانة عظيمة لدى الخليفة الحاكم بأمر الله الذي كان يعتمد عليه في شراء ما يريده من الجواهر والتحف الثمينة، ثم حدث أن

---

(١) ابن المقفع ، ساويس اسقف الاشمونيين ، سيرة الآباء البطاركة، القاهرة ، ١٩٤٨م، مج٢، ج٢، ص٩١.

(٢) سيد، أيمن، الدولة الفاطمية، ص٥٢٥.

(٣) خسرو ، سفرنامه، ص٤٨؛ البراوي، راشد، حالة مصر، ص١٨٠.

(٤)خسرو، سفرنامه ، ص٦٣-٦٤.

اعتدى عليه أحد الجند وقتلوه، وخشوا في الوقت نفسه بطش الخليفة بهم، فخرجوا إلى الميدان، وكادت تقع بالبلاد فتنة عظيمة، ثم خرج خادم القصر إلى الجند مجتمعين، وأخبرهم ان الخليفة يسألهم الطاعة، فأجابوه: "نحن عبيد مطيعون، ولكننا أذنبنا" فقال لهم: "يأمركم السلطان ان تعودوا"[١]. وبذلك بطلت الفتنة، وهدأت الأحوال، واستقرت النفوس.

رابعا- الأحباس:

الأحباس (الأموال الموقوفة) هي الأموال المرصدة على جهات البر لاتنقطع، ويصح أن تكون منفعتها لأشخاص بشروط معينة[٢]. وقد اهتم الفاطميون بالأحباس وعملوا على تنظيمها، فأقروا لها ديواناً، أطلق عليه ديوان الأحباس[٣]، وكان أول من أدخل ديوانها بمصر القاضي الليث بن سعد[٤]. وقد آثر عنه أنه اشترى بعض الأراضي التابعة لبيت المال في جهات عدة وحبسها على وجه البر، ثم أضيف إلى هذه الأراضي بعض الدور وكذلك الرباع[٥] في مدينة الفسطاط وغير ذلك من مصادر الإحسان[٦]. وكان يتولى الإشراف على الديوان "القاضي"[١] يعد منصب

---

[١] خسرو ،المصدر نفسه، ص٦٤، ٦٥.

[٢] المقريزي، الخطط، ج٢، ص٢٩٥؛ بك، أحمد أبو الفتح، المعاملات في الشريعة الإسلامية والقوانين المصرية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٢٣، ص٣٥-٣٦؛ مشرفة، مصطفى عطية، نظم الحكم بمصر ص١٧٨.

[٣] المقريزي، الخطط، ج٢، ص٢٩٦.

[٤] الليث بن سعد بن عبد الرحمن القمي، أبو الحارث (ت ١٧٥هـ)، شيخ أهل مصر في عصره، محدثاً فقيهاً، قيل فيه: "كان كبير الديار المصرية ورئيسها وأمير من بها في عصره، بحيث ان القاضي والنائب من تحت أمره ومشورته". ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى ج٣، ص٣٩٩؛ الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (ت ٤٦٣هـ)، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، لا ت، ج١٣، ص٣؛ الزركلي، ج٤، ص١١٥.

[٥] الرباع : ومثلها أجر الأملاك المسقفة من الأدر والحوانيت والحمامات والأفران وأرضية الطواحين الدائرة، وسنتها هلالية وابتداؤها من استقبال اسكانها واستخراجها مشاهرة وكذلك المراعي والمصائد والبضائع وعبور البضائع وسوق الرقيق وأنواع الصناعات كالفاخور والمذر (النبيذ). ينظر: المقريزي، الخطط، ج١، ص١٠٧؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٤٩١؛ سيد، أيمن فؤاد، تاريخ الدولة الفاطمية، ص٥١١.

[٦] القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٣٨؛ المقريزي، الخطط، ج٢، ص٢٩٤-٢٩٥.

القاضي في الدولة الفاطمية من أهم الوظائف الدينية وقد أقاموا في مصر سلطة قضائية مستقلة حيث يمثل العدالة، وقد امتلك القضاء في الدولة الفاطمية مساحات واسعة من الحرية وباستطاعته استدعاء أي فرد مهما كان منصبه حتى الخليفة نفسه، وقد ظهرت في مصر لأول مرة وظيفة كبير القضاة الآخرين (قاضي القضاة) وبذلك صارت رتبته أعلى من جميع القضاة الآخرين، وإنه ينفذ الأحكام الشرعية وفض المنازعات فهو الفصل بين الناس في الخصومات كمسائل الاوقاف والايتام والحجر وكذلك يضاف إلى القاضي مهام إضافية كالإشراف على دور الضرب والشرطة فهو يحقق الأمن واستقرار العدل وصيانة الحقوق والحريات والحرمات وبالتالي يقوم التوازن الاجتماعي، ويعد ديوان القاضي أول تنظيم للأوقاف ليس في مصر فحسب بل في كافة انحاء الدولة الإسلامية[٢].حيث يذكر المقريزي قائلاً : "فلما قدمت الدولة الفاطمية من المغرب إلى مصر بطل تحبيس البلاد وصار قاضي القضاة يتولى أمر الأحباس من الرباع واليه أمر الجوامع والمشاهد، وصار للأحباس ديوان مفرد"[٣].

إن ظهور منصب قاضي القضاة في مصر في العهد الفاطمي ظاهرة ذات أهمية خاصة في التطور التاريخي لمنصب قاضي القضاة، وهذا التطور الذي كان وثيق الصلة بالتطور السياسي للدولة الإسلامية آنذاك وبالأحداث السياسية التي أدت إلى تمزيق وحدة الخلافة العباسية وتحولها إلى دول متعددة وأقاليم مستقلة يحتفظ كل منها بقاضي للقضاة ، لذلك بعد ظهور الفاطميين في مصر اصبحت القاهرة مركز ثابت للعالم الإسلامي[٤]

---

[١] ينظر: ابن خلدون، المقدمة، ص٢٢٠؛ الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب (ت ٣٥٠هـ) كتاب الولاة وكتاب القضاة، بيروت، لبنان، ١٩٠٨م، ص٥٨٤؛ الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ٨٠ ؛ الرفاعي ، أنور ، النظم الإسلامية ، دمشق، ١٩٧٣م ، ص١٠٥ ؛ سيد ، أيمن ، الدولة الفاطمية في مصر ،ص٥٤٤ .

[٢] أمين، محمد محمد، الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر (٦٤٨-٩٢٣هـ) (١٢٥٠-١٥١٧م) دراسة وثائقية تاريخية، القاهرة، ١٩٨٠م، ص٤٨؛ سيد، أيمن فؤاد، الدولة الفاطمية في مصر، ص٥٤٤.

[٣] الخطط، ج٢، ص٢٩٤ ؛ أمين ، محمد محمد ، الأوقاف ، ص٥٤٤.

[٤] السيوطي ، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، ج٢، ص٩١ ؛ الإنباري ، عبد الرزاق علي ، منصب قاضي القضاة في الدولة العباسية منذ نشأته حتى نهاية العهد السلجوقي ، الدار العربية للموسوعات ، لبنان ، ١٩٨٧م، ص٢٤٥-٢٤٩.

وقد وجد منصب قاضي القضاة لمصالح المسلمين وتشييد قواعد الدين واثبات الحقوق الشرعية ، والعمل بالشريعة المحمدية، يسجل شهادة المعدلين وتفوض له الأمور ليعني في الشرع ومال الأيتام ومعولهم من حقوق أموالهم عليه، وكان القاضي ينظر في الكثير من الأمور كأموال الوقف.

وقد أدخل الفاطميون الكثير من التنظيمات الخاصة بالوقف(١) فقد أمر الخليفة المعز لدين الله سنة ٣٦٣هـ/٩٧٤م أن تحوّل المحصلات المالية المجباة من الممتلكات الموقوفة من مودع الحكم لبيت المال، وطلب المنتفعين بأن يظهروا الوثائق التي تدل على أحقيتهم في ريع هذه الأوقاف(٢). وكان أول من ضمن جباية الأحباس في الدولة الفاطمية هو محمد ابن القاضي أبي الطاهر محمد الذهلي، ففي النصف من شعبان سنة ٣٦٣هـ/٩٧٤م ضمن الأحباس بمقدار (١.٥٠٠.٠٠٠) الف الف وخمسمائة الف درهم في كل سنة، على أن يدفع إلى المستحقين حقوقهم ويحمل

---

(١) الوقف: يجمع على وقوف، وأوقاف، والفعل وقف، أمّا أوقف فشاذ، ومعناه لغة الحبس والمنع، تقول: وقفت على السير، أي امتنعت عنه ومعناه في الشرع نوع من العطية، يفضي بتحبيس الأصل، واطلاق المنفعة، ومعنى تحبيس الأصل المنع عن الإرث والتصرف في العين الموقوفة بالبيع أو الهبة أو الرهن أو الإجازة أو الإعارة وما إلى ذلك، أمّا تسييل المنفعة فهو صرفها على الجهة التي عينها الواقف من دون عوض. للمزيد ينظر: مغنية، محمد جواد، فقه الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) عرض واستدلال ، مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر، إيران ،٢٠٠٠م، ج٥، ص٥٤؛ الصالح، صبحي، النظم الإسلامية ، ص٣٦٩؛ حيث يورد لنا عن الأوقاف باعتبارها أحد النظم المالية في الاسلام ويقسمها إلى قسمين: الأول: أوقاف ذرية: نسبت إلى ذرية الإنسان لأنها تهدف إلى ضمان التكافل الاجتماعي لذرية الواقف وذوي قرباه مع انتهائها في جميع الصور إلى عمل من أعمال البر، أو جهة من جهات الخير كإعانة الفقراء أو طلبه العلم. أمّا القسم الثاني: الخيرية: مع ان الأوقاف كله خيرية لأن قصد الواثق الاساسي فيها عمل من اعمال الخير يريد به وجه الله ويرجو به توازن المجتمع على أفضل الوجوه، مثل الانفاق على عمارة المساجد والزوايا والمقابر واصلاح الجسور والطرقات العامة وغيرها. ينظر : ديمومبين ، موريس غ ، النظم الإسلامية ، نقله عن الفرنسية صالح الشماع وفيصل السامر ، مطبعة الزهراء ، بغداد ، بغداد ، ١٩٥٢ م، ص١٨٩ –٢٠٠ .

(٢) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج١، ص١٤٨؛ أمين، محمد محمد، الأوقاف، ص٥٢.

الباقي إلى بيت المال[١]. وبهذا أصبح للفاطميين مورداً لبيت المال من متحصلات الأحباس[٢].

ولكي يضمن الفاطميونموردا ً مالياً ثابتاً ، أوقفوا الكثير من الأراضي الزراعية وغيرها من المواضع للإنفاق منها على تعمير المساجد وفرشها والصرف على أئمتها وخدامها[٣] وهذا يؤكد التوجه الديني وتأكيده في مصر الفاطمية رغم ان هناك من يعزو إلى إنشاء ديوان الأحباس لغير الفاطميين[٤]. ولكن عبارات المقريزي التي أوردها في مواضع متعددة تجعل هذا الديوان من منشآت الدولة الفاطمية وإصلاحياتها المالية حيث يذكر لنا أنه في أيام الخلفاء الفاطميين "صار قاضي القضاة يتولى أمر الأحباس من الرباع وإليه أمر الجوامع والمشاهد وصار للأحباس ديوان مفرد"[٥].

وظل القضاة يتولون النظر في الأوقاف بحفظ أصولها واستثمارها وقبض ريعها وصرفه في الأوجه التي رصدت لها[٦]، حيث كان يعين متول للأحباس ونفقة الأيتام بالإضافة إلى القاضي، وكانت الأحباس أول الأمر في الرباع وما يجري مجراها من المباني، أمّا الأراضي فلم يكن سلف الأمة من الصحابة والتابعين يتعرضون لها[٧].

---

[١] المقريزي، الخطط، ج٢، ص٢٩٥.

[٢] المصدر نفسه، ج٢، ص٢٩٥.

[٣] سيد، أيمن فؤاد، الدولة الفاطمية في مصر، ص٥٤٥.

[٤] الكندي، الولاة والقضاة، ص٣٤٦؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج٢، ص١٠١؛ ناصر ، سفرنامه، ص١٦٠.

[٥] الكندي، الولاة والقضاة، ص٥٨٤-٥٨٧ ؛ الخطط، ج٢، ص٢٩٤؛.

[٦] كان يوجب على من يتولى قاضي القضاة في الدولة الفاطمية، ان يتصف بصفات عالية، فكان الخلفاء الفاطميون بأنفسهم يراقبون نزاهة القاضي وسلوكه. ينظر: النعمان، دعائم الاسلام، ج١، ص٤٢٢؛ خسرو ،سفرنامه، ص١٦٦؛ الكندي، الولاة والقضاة، ص٥٩٧.

[٧] خسرو ،سفر نامة، ص١١٦؛ النعمان، دعائم الإسلام ، ج١، ص٤٢٢ .

وفي أيام الخليفة الحاكم بأمر الله[*] (٣٨٦-٤١١هـ)/(٩٩٦-١٠٢٠م) قام بوقف الأراضي الزراعية وجهات بأكملها، حيث أمر في يوم الجمعة ١٨ صفر سنة ٤٠٥هـ بقراءة سجل بتحبيس ضياع هي: إطفيح وصول وطوخ وست ضياع وعدة قياسر وغيرها على القراء والفقراء والمؤذنين بالجوامع وعلى المصانع والقوام بها[١]. وكذلك نفقة المارستانات وأرزاق المستخدمين فيها وثمن الاكفان لفقراء المسلمين[٢].

كانت في مصر الفاطمية نوعان من الأحباس (الأوقاف) هي أوقاف عامة وأخرى خاصة، فأما العامة هي ماتوقفه الدولة من منشآت أو ضياع، مثلما فعل الخليفة الحاكم بأمر الله، وهناك أحباس خاصة تشتمل على المباني والضياع ويوقفها أصحابها المراد به فعل الخير[٣].

كان تنظيم الأوقاف عملاً سديداً من جانب الحكومة الفاطمية، فهو من جهة يضمن عدم التلاعب في أموالها وكفل بقاء الجهات المرصدة لهذه الأموال في حالة الصلاحية الدائمة لأداء ماخصصت له من غرض، ومن جهة أخرى كان الفائض بعد الإنفاق عليها يعد من موارد الدولة المالية.

كان المسلمون في تلك العصور، يكثرون من وقف المباني والأراضي الزراعية بدافع ديني يحركهم عامل الخير والبر والإحسان. إلا أن بعضها كان يلجأ إلى هذا العمل حتى يضمن عدم مصادرة الإيراد الناتج من هذه الأموال إذا ماتعرضوا لسخط

---

[*] ينظر الملحق رقم (٤) والخاص بسجل الوقت الذي وقف بمقتضاه الحاكم بأمر الله بعض أملاكه بمصر والقاهرة وعلى الجامع الأزهر ودار الحكمة وبعض المساجد الأخرى.

[١] المسبحي، الأمير المختار عز الملك محمد بن عبيد الله بن أحمد (ت ٤٢٠هـ) نصوص ضائعة من أخبار مصر، اعتنى بجمعها أيمن فؤاد سيد، القاهرة، ١٩٩٥م، ص٣١؛ المقريزي، الخطط، ج٢، ص٢٩٥؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص٩٦؛ عمارة، محمد ، القاهرة في العصر الفاطمي ، مجلة الطليعة ، العدد٢ ، القاهرة ، لسنة ١٩٦٩، ص٣٩.

[٢] المسبحي، نصوص ضائعة، ص٣١؛ المقريزي، الخطط، ج٢، ص٢٩٥.

[٣] المصدر نفسه ، ج٢، ص١١٠.

الخليفة.ولكي يهيئوا لأبنائهم وذويهم مورداً ثابتاً كانوا يجعلونهم حبس على ذريته[١] كثيراً من الجهات[٢].

وقد حبس أمير الجيوش بدر الجمالي وقت وزارته عدداً من النواحي عرفت بـ"الحبس الجيوش" نسبة للقبه، وكان بعضها في البر الشرقي وهي مناطق بهبت والأميرية والمنية، وبعضها في البر الغربي، جهة الجيزة وهي: سفط ونهيا ووسيم، وظلت جميع البساتين المخصصة بهذا الحبس ورثة أمير الجيوش حتى وزارة المأمون البطائحي[٣]، فلما توفي الخليفة الآمر بأحكام الله ٥٢٤هـ/١١٣٠م، واستولى أبو علي أحمد بن الأفضل (٥٢٤-٥٢٦هـ) كتيفات حفيد بدر الجمالي على السلطة أعاد جميع الحبس إلى الملاك لكون نصيبه كان في ذلك الأوفر، فلما قتل كتيفات واعيد الخليفة الحافظ إلى السلطة أمر القبض على جميع الأملاك، وحل الأحباس المختصة بأمير الجيوش لولا تدخل غلمان الأفضل عز الملك وابو الفتح يانسي الارمني الذي أصبح الاخير وزيراً للحافظ في ١٦ محرم، ٥٢٦- ٢٦ ذي القعدة ٥٢٦هـ واقنعا الحافظ بإبقائها. ولما انقرض عقب أمير الجيوش "ذريته" ولم يبق منه سوى امرأة أفتى الفقهاء بأن الحبس باطل فصار ماله يحمل إلى بيت المال لينفق في مصالح المسلمين[٤].

ومن الأدلة الأخرى على الوقف الذي يعود إلى أشخاص وليس وقف حكومي، حيث يذكر انه وصلت إلى مصر أقدم حجة وقف ويرجح أن تكون الوحيدة وترجع إلى العصر الفاطمي، هي حجة وقف الوزير الملك الصالح طلائع بن رزيك الذي أوقف في جمادي الأولى سنة ٥٥٤هـ/١١٥٩م

---

[١] المصدر نفسه، الخطط، ج٢، ص٢٩٥؛ اتعاظ الحنفا، ج٢، ص٩٦؛ سيد، أيمن فؤاد، الدولة الفاطمية، ص٥٤٥.

[٢] المقريزي، الخطط، ج١، ص١١٠.

[٣] سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن مزداد علي (ت٦٥٤هـ/١٢٥٦م). مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، تحقيق جنان الهموندي، بغداد، الدار الوطنية، ١٩٩٠م، ج١٢، ص٣٠٧؛ المقريزي، كتاب المقفى الكبير، تحقيق علي العيلاوي ، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، ١٤١١هـ/١٩٩١م ، ج٦، ص٤٧٨-٤٧٩.

[٤] ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص٣٣٦-٣٣٩؛ المقريزي، الخطط، ج١، ص١١٠.

بعض الرباع ونصف بركة الحبش[١]. وناحية بلقس الأشراف[٢]، على أن يكون النصف والثمن منها، أي خمسة عشر إلى أربعة وعشرين سهماً، على الاشراف الحسنيين المقيمين بالقاهرة المغرية ومصر خاصة، والثلث ، أي ثمانية أسهم من أربعة وعشرين سهماً على الأشراف الحسنيين والحسينيين الساكنين بمدينة رسول الله، ويمنح السهم الباقي للشريف ابن معصوم على أن يكون له أمد حياته ثم من بعده لولده وولد ولده، وان انقرضوا رجعت منافع هذا السهم إلى الأشراف الأقارب والمقيمين بالمدينة[٣].

وكان يتولى الديوان كاتبان ومعينان، وهم من أعيان المسلمين- بحكم انها معاملة دينية- وعملهما تنظيم الاستمارات ويورد وكل منهم في استمارة كل جبى له من جهات الوجهين البحري والقبلي[٤].

خامسا- المكوس:

---

[١] بركة الحبش:حوض من الاراضي الزراعية التي يغمرها ماء النيل وقت فيضانه سنوياً . كانت تقع جنوب مدينة الفسطاط بين النيل وجبل المقطم وكان الماء يصل اليها بوساطة خليج بني وائل الذي كان يستمد ماءه من النيل جنوبي الفسطاط، فكانت الأرض وقت ان يغمرها الماء تشبه (البرك) ولهذا سميت بركة، ونظراً لأن الصالح طلائع وقفها على الاشراف فقد عرفت أحياناً باسم "بركة الاشراف". ينظر: ياقوت ، معجم البلدان ، ج١، ص٤٠١؛ المقريزي، الخطط، ج٢، ص١٥٢؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٦، ص٣٨٢.وهي كذلك أرض في وهده عن الأرض واسعة طولها نحو ميل، مشرفة على نيل مصر خلف القرافة ،وفق على الاشراف ، تزرع فتكون نزهة خضره لزكاء أرضها واستقالها واشتضحهائها وريها ، وهي من أجل منتزهات مصر ، ولبست بيركة للماء وانما شبهت بها وكانت تعرف ببيركة المعافر وبركة جمير وعندها بساتين تعرف بالحبش والبركة منسوبة إليها . ياقوت ، معجم البلدان ،ج١، ص٤٠١ .

[٢] بلقس الاشراف: قرية قديمة ضمن أعمال الشرقية، يذكرها ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص١١٠؛ وهي الآن من بين قرى محافظة القليوبة شمال بهتيم وهي تابعة لمركز قليوب وكانت قبل ذلك من قرى مركز شبرا الخيمة. ينظر: رمزي، محمد: القاموس الجغرافي للبلاد المصرية، القاهرة، ١٩٤٥م، ق٢، ج١، ص٥٥.

[٣] ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص١١٤-١١٥؛ ابن الفرات: ناصر الدين محمد عبد الرحيم (ت٧٠٨هـ/١٤٠٤م) ، تاريخ ابن الفرات ، تحقيق حسن الشماع ، مطبعة حداد ، البصرة، ١٩٦٧م، ج٤، ص١٤٥؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٤٨١؛ المقريزي، الخطط، ج٢، ص٢٩٤.

[٤] المقريزي، الخطط، ج١، ص١٠٣؛ ماجد، عبد المنعم، نظم الفاطميون ، ج١، ص١٢١.

ورد مصطلح الخمس في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾(١). وهذا ما يفسر الآية الأموال التي يجب فيها الخمس سبعة. وهي غنائم دار الحرب والمعادن والكنوز والغوص (وما هو مايخرج من البحر عن طريق الغوص) والمكاسب، والأرض التي اشتراها الذمي من مسلم، والحلال المختلط بالحرام. وقد استمر العمل طيلة الدولة العربية الإسلامية، ولكن "الخمس" هنا يختلف عما هو واضح أعلاه وإنما نقصد به ما يستأدى به من تجار الروم الواردين(٢)، بمقتضى ما صولحوا عليه، ويقدر ما يستخرج منهم بقيمةماية دينار(٣). ولذلك نظام ضرائبي مستقر، وتعود اليه بالعوائد المستمرة وأوضاع مألوفة وطرائق فيما بين المباشرين له معروفة وأخذت من المستحقين فيه ضريبة(٤).

ولم تكن الضرائب المفروضة في هذا النوع ثابتة بل هناك فروق في بعض الضرائب، فهي تفرض على الأقاليم دون الثغور. وقد أورد لنا ابن مماتي نصاً يوضع فيه: "ان الحكومة الفاطمية لم تكن تعامل التجار الأجانب غير المسلمين على أساس واحد"(٥). ويمكن عدّ ذلك ارجاعه إلى أسباب سياسية واقتصادية فالحكومة كانت غالباً ما تخفض الرسوم على تجار البلاد التي تزود الحكومة الفاطمية بما يلزمها من المواد الضرورية لصناعة السفن(٦).

---

(١) سورة الانفال، الآية ٤١.

(٢) المخزومي، المنهاج في علم خراج مصر ، ص٤٥ و٤٩.

(٣) طوسون، عمر، مالية مصر، ص٣٢٤.

(٤) ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص٣٢٦؛ المقريزي، الخطط، ج١، ص١٠٩؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٤٥٩-٤٦٠.

(٥) ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص٣٢٧ ؛ مال الله ، حدير لفتة سعيد ، المعز لدين الله الفاطمي واثره في المغرب ومصر (٣٤١-٣٦٥هـ/٩٥١-٩٧٥م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الكوفة ، كلية الآداب ، ٢٠٠٥م ، ص٨٠ - ٨١.

(6) Stern, S.D., "An Original Document from the Fatimid Chancery Concerning Italian Merchants", Studi Orintalistici in Onore di Giorgio Levi Della Vida Roma, 1956, II, P.529-38.

وقد يأخذ الخمس اسماً آخر أو شكلاً مماثلاً في المعنى الذي يقصد به التجار البيزنطيين والايطاليين وخاصة الجنوبيين والبنادقة أن يدفعوا بوصفهم تجاراً أجانب غير مسلمين رسوماً كمركية مُكوساً "[١] على البضائع الواردة إلى الموانئ المصرية المطلة على البحر المتوسط، حيث عرفها المخزومي باسم "الخمس الرومي"[٢].

أراد الفاطميون أن يستثمروا إمكانات مصر الزراعية والصناعية إلى أقصى درجة ممكنة، وان يحصلوا منها مايمكن حصوله من العائدات المالية التي تلبي متطلبات الحكومة الفاطمية، وتغطي احتياجاتهم العامة والخاصة، مثلما كانوا يقومون بالجباية في شمال أفريقية[٣]. فأعادوا فرضها في مصر[٤]، وصارت تعرف بالمكوس[٥] لمواجهة النفقات الباهظة لبلاطهم الفخم سواء كانت مواكب احتفالية أو عمران وبناء.

اهتم الخليفة المعز لدين الله (٣٤١-٣٦٥هـ)/(٩٥٢-٩٧٥م) بالمكوس -كما يبدو- كونها كانت ذات مردود مالي جيد ولاسيما حين تنتعش التجارة، فقد كانت المنصورية تجبى من أحد أبوابها فقط (٢٦.٠٠٠)ستة وعشرون ألف درهم سنوياً[٦]. فضلاً عن المكوس التي تفرضها الدولة الفاطمية في مصر على التجارة الداخلة اليها

---

[١] كانت كلمة "مكس" بمعنى ضريبة الاسواق ومعروفة في العصر الجاهلي، وكلمة "مقس" اسم قرية على ساحل النيل شمال القاهرة، كانت تعرف باسم "أم أدنين" ولكن سميت بهذا الاسم لأن= ="الماكس" كان يقصدها ليستخرج المكس، وكلمة مقس "تحريف لكلمة مكس". ينظر: المقريزي، الخطط، ج٢، ص٦٢١؛ طوسون، جغرافية مصر، الهيأة العامة للكتاب ، لا ت ، ص١٩.

[٢] المنهاج، ص٤٥-٤٩؛ النعمان، المجالس والمسايرات، ص٣٣٧-٣٣٨؛
Cahen-Cl, Op.Cit., PP.63, 75.

[٣] وهي ضرائب تفرض على الاشخاص وتستأدى منهم على حكم الهلال. المقريزي، الخطط، ج٢، ص١٨.

[٤] وهو نوع من أنواع الضرائب "غير الشرعية" تفرض على الأشخاص خارج نطاق "العشر والزكاة وجزية أهل الذمة"، المقريزي، الخطط، ج٢، ص١٨؛ البراوي، راشد، حالة مصر الاقتصادية، ص٣٤٠.

[٥] البكري، ، المغرب ص٢٥؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج٥، ص١٨٠ .

[٦] البكري، المغرب، ص٢٥.

والخارجة منها عبر ثغورها في دمياط وتنيس والاسكندرية واسوان والتي بلغت نسبتها ٢٠% عشرون بالمئة من قيمتها[١].

وحينما أراد الخليفة الحاكم بأمر الله (٣٨٦-٤١١هـ)/(٩٩٦-١٠٢٠م) أن يرجع إلى أصول الإسلام الأولى في المرحلة التي أطلقت عليها اسم "زهد وعدالة الحاكم" أسقط جميع الرسوم والمكوس التي جرت العادة بأخذها، وكان فقهاء المسلمين يعتبرون كل مازاد عن الضرائب الشرعية "وهي عشر الأرض والزكاة وجزية أهل الذمة" ضرائب غير شرعية، ولذلك أبطل الوزير التقي علي بن عيسى المكس بمكة وجباية الخمور بديار ربيعة[٢]. ولهذا السبب أيضاً نجد الخليفة الحاكم بأمر الله في مصر حينما أراد ان يرجع إلى أصول الإسلام الأولى يسقط جميع المكوس والرسوم التي جرت العادة بأخذها.

وقد أقطع الحاكم ووهب جلّ الضياع والاعمال والعقارات والاملاك السلطانية[٣] وهذا إنما يؤكد حرص الحاكم على استقرار الحياة السياسية واستقرار الأوضاع طالما لها علاقة بالأوضاع المالية، فهي كفيلة بأن تدفع الدولة نحو الاستقرار بدلاً من حدوث مجاعات وأزمات وركود يضعف المجتمع. وبطبيعة الحال لم يدم الحال

---

[١] ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص٣٢٦؛ ينظر المحلق رقم (٥) الخاص برسم المكس .

[٢] مؤلف مجهول : العيون والحدائق في أخبار الحقائق ، تحقيق نبيلة عبد المنعم ن النجف الأشرف، لات، ص١٨٢؛ القرشي : عماد الدين أدريس (ت٨٧٢هـ) ، عيون الأخبار وفنون الآثار في فضائل الأئمة الأطهار ، تحقيق وتقديم د. مصطفى غالب، دار الأندلس للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧٥م ، ص١٨٢ ؛ ابن حوقل، صورة الأرض ، ص١٤٢ ويسميها ضرائب الخمر.

[٣] يناقش أحدالمؤرخين الدوافع الحقيقية التي دفعت الخليفة الحاكم بأمر الله إلغاء المكوس قائلاً : "إنه من الجائز ان نزعة التصوف التي امتاز بها الحاكم هي التي جعلته يميل إلى العودة إلى أصول الشرع، فيكتفي بجباية الضرائب الشرعية وحدها، أو أن هذا الإلغاء كان بدوافع سياسية يراد بها اجتذاب قلوب الناس، فأمر بإسقاط بعض المكوس، وكذلك فإنه هناك تفسيراً آخر لهذه المسألة ينحصر في رغبة الخليفة في تخفيف الأعباء عن الصناعة والتجارة مما كان كفيلاً أن يؤدي إلى نشاطها من جهة وانخفاض أسعار السلع من جهة أخرى، فإن صح هذا الظن كان الحاكم بأمر الله سابقاً لأوانه في الأخذ ببعض مظاهر الحرية الاقتصادية. ينظر : البراوي، راشد، حالة مصر الاقتصادية، ص٣٤٢.

طويلاً، إذ سرعان ما تغيرت الأمور عندما استولت أخت الخليفة (ست الملك) على مقاليد الأمور بعد اختفائه، فقد قبضت على جميع الاقطاعات التي أقطعها الخليفة وأعادت المكوس إلى ما كانت عليه قبل تسامح الحاكم بها[١].

من الواضح أن الدولة الفاطمية كانت كثيراً ما تلجأ إلى إلغاء المكوس أثناء الأزمات الاقتصادية تيسيراً على الناس، حيث يذكر لنا المسبحي قائلاً: "أن دواس بن يعقوب الكتامي متولي الحسبة قرأ سجلاً في شوارع مصر الفسطاط أثناء أزمة الحنطة التي مرت بها مصر عام ٤١٥هـ/١٠٢٤م، بحطيطة جميع المكوس عن سائر أصناف الغلات الواردة إلى سواحل مصر الفسطاط مما أدى إلى توافر الأخبار في الأسواق وانخفاض سعر الدقيق"[٢].

من جانب آخر –وكما أسلفنا– تعد المكوس من الضرائب غير الشرعية فهي تتنافى مع الشرع ويعزى السبب في اتخاذ هكذا خطوة في جباية الأموال وزيادتها كما يصور لنا وزير الخليفة العزيز بالله (٣٦٣-٣٨٦هـ/٩٧٤-٩٩٦م) عيسى بن نسطروس عندما تولى الوزارة سنة ٣٨٣هـ/ ٩٣٣م، أنه أحدث رسوماً ومكوساً جائرة[٣]، حيث يعزي سبب الزيادة بأتضاع الخراج بسبب الضعف الذي اعترى الدولة بسبب المنازعات بين كبار الموظفين والوزراء[٤] وهذا يعني ارتباك الحياة المالية في هذه الفترة بسبب سوء الادارة.

وهناك من يوجه أصابع الاتهام إلى الخلفاء الفاطميين بزيادة المفروض من المكوس، إذ عدد المقريزي[٥]، ثمانين نوعاً من المكوس على شيء من المصنوع والمبيع التي كانت موجودة زمنهم –والراجح أن– ما طرأ على زيادة المفروض كان

[١] المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج١، ص١٠٢؛ متز، الحضارة الاسلامية، ج٢، ص٢٠٦.

[٢] أخبار مصر، ص٧٥؛ البراوي، حالة مصر الاقتصادية، ص٣٤٠.

[٣] الأنطاكي، يحيى بن سعيد (٤٥٨هـ)، التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، مطبعة الآباء اليسوعيين، ١٩٠٩م، ص١٠٨؛ متز، الحضارة الإسلامية، ج٢، ص١٠٧؛ مشرفة، نظم الحكم بمصر زمن الفاطميين، ص١٨٤.

[٤] المقريزي، الخطط، ج١، ص١٠٤.

[٥] المصدر نفسه، ج١، ص١٠٤-١٠٥.

مقتصراً على القاهرة دون سواها من المدن الفاطمية لأنه غلب على أسواقها وتجارتها الطابع الارستقراطي، فامتلأت حوانيتها بالبضائع الراقية التي تتناسب مع الطبقة الحاكمة والمترفة، واستمرت لمدة طويلة تحتفظ بهذا الطابع، فضلاً عن ان القاهرة اغلى الأسعار بالنسبة للمنتجات والسلع التجارية.

في الوقت الذي يذكر ابن خلدون[1] في جباية الأموال وسبب قلتها وكثرتها قائلاً "إعلم ان الجباية أول الدولة تكون قليلة الوزائع كثيرة الجملة وآخر الدولة تكون كثيرة الوزائع قليلة الجملة، والسبب في ذلك ان الدولة تكون في أولها بدوية فتكون لذلك قليلة الحاجات لعدم الترف، وعوائده فيكون خراجها وانفاقها قليلاً في الجباية حينئذ وفاء بأزيد منها كثير عن حاجاتهم ثم لا تلبث أن تأخذ بدين الحضارة في الترف وعوائدها وتجري على نهج الدول السابقة قبلها فيكثر لذلك خراج أهل الدولة ويكثر خراج السلطان لاسيما كثرة بالغة بنفقته في خاصته وكثرة عطائه ولا تفي بذلك الجباية فتحتاج الدولة إلى الزيادة في الجباية لما تحتاج اليه الحامية من العطاء والسلطان من النفقة فيزيد في مقدار الوظائف والوزائع أولاً ثم يزيد الخراج والحاجات، والتدريج في عوائد الترف وفي العطاء للحامية ويدرك الدولة الهرم وتضعف عصابتها في جباية الأموال من الأعمال والقاصية فتقل الجباية وتكثر العوائد، ويكثر بكثرتها ارزاق الجند وعطاؤهم فيستحدث صاحب الدولة انواعاً يضربها على البياعات ويفرض لها قدراً معلوماً على الأثمان في الأسواق وعلى اعيان السلع في أموال المدينة وهو مع هذا مضطر لذلك بما دعاه اليه طرق الناس من كثرة العطاء في زيادة الجيوش والحامية....".

لم يكن الفاطميون يلجأون إلى فرض المكوس في بداية الأمر، وبقوا متسامحين مع أهل مصر في جباية الأموال على وفق سنن الدولة ولم تكن تقتفي الا المغارم الشرعية من الصدقات والخراج والجزية، وهي قليلة قياساً لما سبقتها من الدول إلا أن الفاطميين ضربوا المكس في أواخر عهد الدولة. وإذا ما عدنا إلى

---

[1] المقدمة، ص٢٧٩– ٢٨٠ ..

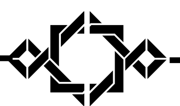
قول المقريزي نفهم من خلال عباراته أنه لم يسلم أي إنتاج أو أية مهنة أو أية حرفة من دفع المكوس، وأبدى الرحالة، والجغرافي المقدسي[١] الذي زار مصر نحو سنة ٣٧٥هـ/٩٨٥م، استغرابه من ثقل المكوس خاصةً في تنيس ودمياط وعلى ساحل النيل بالفسطاط، حيث ذكر أن الثياب الشطوية مثلاً لاتنتج إلا بعد أن يختم عليها السلطان ولا تباع إلا على يد سماسرة، وكانت تفتش المراكب عند إبحارها من الميناء كما في شطا[٢] وكانت رسوم الصناعة[٣]، والتجارة تدفع لبيت المال في القاهرة، فقد فرضت عليها مكوس في جميع مراحل تصنيعها ونقلها وبيعها[٤]. ويذكر

[١] شمس الدين أبي عبد الله محمد أحم بن أبي بكر (ت٣٧٥هـ/١٢٧٨م) ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، مطبعة لبريل ، ليدن ، ١٩٠٩م، ص٢١٣؛ مشرفة، نظم الحكم بمصر، ص١٨٥.

[٢] شطا: وهي قرية في الطريق بين مدينة تنيس ودمياط وهي على شاطئ بحيرة تنيس وسكانها من نصارى القبط، تقدر المسافة بين دمياط وشطا ثلاثة أميال يربط بينهما خليج. وهي من توابع مدينة دمياط التي ترتبط بها إدارياً . ينظر: ياقوت، معجم لبلدان، ج٤، ص٨٦؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ج١، ص١٤٦؛ أبو الفدا ، الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل (ت٧٣٢هـ) ، تقويم البلدان، باريس ، ١٨٤٠م، ص١١٩؛ اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب بن وهب (ت٢٩٢هـ)، كتاب البلدان، النجف ، ١٣٥٨هـ، ص٣٣٨؛ المقريزي، الخطط، ج١، ص٢٢٥.

[٣] عرفت مصر صناعات مهمة، إذ تعد الصناعة من أهم أعمدة الاقتصاد المصري وكانت لهذه الصناعات شهرتها العالمية مثل صناعة المنسوجات والورق والزجاج وصناعة الأخشاب وصناعة المعادن والبلور والحلى وأدوات الزينة وصناعة الزيوت والعطور. وقد ازدهرت الصناعة في العهد الفاطمي وبلغت أوج عظمتها وتقدمها، وقد تضافرت عوامل عديدة على التقدم والرقي فمنذ دخول الفاطميين إلى البلاد وهم يضعون نصب أعينهم ضرورة استثمار ثروات البلاد، وقد ساعدهم على ذلك الهدوء والاستقرار السياسي والاقتصادي الذي وفره الفاطميون ومحاولتهم التفوق على بغداد عاصمة الخلافة العباسية، ولأنه يهمنا هنا الرسوم كأحد أنظمة موارد الدولة لمالية اكتفينا بتوضيح الصناعات فقط ومن أراد التوسع ينظر: ابن حوقل، صورة الأرض، ج٤، ص١٤٦؛ المقريزي، الخطط، ج١، ص٢٢٥؛ عبد الله، صفي علي محمد، مدن مصر الصناعية في العصر الإسلامي، إلى نهاية عصر الفاطميين، سلسلة تاريخ المصريين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، رقم ١٦٩، لسنة ٢٠٠٠م، ص١١٧.

[٤] المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٢١٣.



الرحالة ناصر خسرو الذي زار مصر نحو ٤٤٠هـ/١٠٤٨م، أن عائد بيت المال من مبلغ يومياً ألف دينار مغربي[١].

لم يدم مافعله صلاح الدين بخصوص إلغاء المكوس المفروضة على التجار والمواد الأولية ولايعني ان صلاح الدين ألغى الرسوم كلها، وهذا ما يجب الأخذ به بتحفظ لأنه في الوقت نفسه كان أول من جبى الزكاة من التجار والحجاج ثم أعاد ضريبة المكس من ذوات الحصيلة المالية التي لايستهان بها وهي مكس تجارة الكارم[٢] ومكس الخمر[٣] ومكس المتجر[٤]، حيث أعادها سنة ٥٧٧هـ/١١٨١م كما جاء في حوادث سنة ٥٧٧ للمقريزي: "ان تجار الكارم وصلوا من عدن التابعة للفرع الايوبي باليمن فطلبت منهم السلطات الديوانية تأدية مكس أربع سنوات دفعة واحدة"[٥].

وبذلك يمكن القول نه مهما كانت المكوس في أيام الدولة الفاطمية كثيرة، ولكن في الوقت نفسه تشهد الدولة نشاطاً صناعياً وتجارياً كبيراً، ونرى ان هذه الضرائب وان تعددت فهي خفيفة الظل على المصريين لازدهار تلك الأنشطة.

كانت إيرادات الضرائب على الصناعات تمثل عنصراً مهماً في ميزانية الدولة الفاطمية حيث كانت رسوم الصناعة والتجارة تدفع لبيت المال في القاهرة. تعددت الصناعات في مصر زمن الفاطميين وقد فرضت الحكومة على صناعات منها صناعة النسيج[٦] وصناعة السفن[٧] وصناعة السكر والعسل[٨] وصناعة الخمور[٩]

---

[١] خسرو، سفرنامه، ص٧٩؛ ابن خلدون، المقدمة، ص٢٨٠.

[٢] خسرو، سفرنامه ، ص١١٨؛ ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص٣٢٧.

[٣] خسرو، سفرنامه، ص١١٨.

[٤] المخزومي، المنهاج، ص٤٩؛ القلقشندي، صبح، ج٣، ص٤٥٥.

[٥] المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق مصطفى محمد زيادة ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ،١٩٧٢، ج١، ص٧٢-٧٣.

[٦] المقريزي، الخطط، ج١، ص٤١٦.

[٧] المقريزي، المصدر نفسه، ج٢، ص١٩٢؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٥٢٣.

[٨] المقريزي، المصدر نفسه، ج١، ص٣٤٢.

[٩] خسرو، ناصر، سفرنامة، ص٤٩؛ المقريزي، الخطط، ج٢، ص٨٧-٨٨.

وصناعة القراطيس والورق[١] واستخراج الزيوت والصناعات القائمة عليه[٢] وصناعة المعادن[٣]، وصناعة الزجاج والبلور والخزف[٤]. فقد أخذت الحكومة رسوماً على القطن بلغت ٢٠٠٠ دينار، وبلغت رسوم الورق المجلوب للصناعة ٢٠٠ دينار ورسوم الخشب الطويل ٦٧٦ دينار[٥]. وقد بلغت رسوم سوق السكرين ٥٠ دينار ورسم دقة الديباج ٨٠ دينار وكان رسم بيوت الغزل ٣٥٠ دينار ومربعة العسل ٢٣٢ دينار ودار الكتان ٦٠ دينار[٦].

وقد ذكر المقدسي الذي زار مصر أثناء العصر الفاطمي عن الضرائب وأشار إلى طريقة تطبيق هذا النوع قائلاً: "أما الضرائب فثقيلة لاسيما في تنيس ودمياط وعلى ساحل النيل ويوجد بتنيس على زق الزيت دينار، ومثل هذا وأشباهه، ثم على شط النيل بالفسطاط قبالة هذا الموضع في كل يوم الف دينار ومثله على سائر البحر بالصعيد وساحل الاسكندرية"[٧]. ولعل كثرة الضرائب تؤدي بالنتيجة إلى ازدهار النشاط الصناعي والتجاري، فضلاً عن مسامحة الحكومة الفاطمية في بعض الأحيان عن ابطال المكوس[٨]، حيناً وتخفيفها حيناً آخر فلم تكن المكوس على وتيرة واحدة.

---

[١] الأرمني، كنائس مصر، ص٣٤، ٧٧.

[٢] المقريزي، الخطط، ج١، ص٤٦٢؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج١، ص١٥؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٥، ص١٢٥.

[٣] المقريزي، الخطط، ج١، ص٤١٣، ٤١٥.

[٤] ناصر، خسرو، سفرنامة، ص٦٠؛ زكي، محمد حسن، فنون الإسلام، ص٥٩٢.

[٥] المقريزي، إغاثة الأمة بكشف الغمة، تقديم سعيد عبد الفتاح عاشور، دار الهلال، مصر، ١٩٩٠م، ص٢١-٢٣.

[٦] المقريزي، اغاثة الامة في كشف الغمة، ج١، ص١٠٤. وقد ذكر المقريزي في مكان آخر ان الحكومة الفاطمية فرضت رسوماً على المعديات في مصر (الجسور) إلى الجهات المجاورة، فبلغت رسوم معادي جزيرة الذهب وغيرها ٣٠٠ دينار، ورسوم معدية الجسر بالجيزة ١٢٠ دينار، الخطط، ج١، ص٦٠٥.

[٧] أحسن التقاسيم، ص٢١٣.

[٨] المقريزي، الخطط، ج١، ص٢١٨؛ البراوي، راشد، حالة مصر الاقتصادية، ص٣٤١.

كــان الفــاطميون يفرضــون الرســوم (العاليــة) علــى أكبــر مراكــز إنتــاج الكماليــات (المــدن الصــناعية) مــن منســوجات فــاخرة، فقــد وجــدت مراصــد المكوس فـي الثغور[١] وهـي الاسكندرية[٢]، ودميـاط[٣]، وتنـيس[٤] ورشيد[٥]والفرما[١] والقلزم (السويس)[٢].

---

[١] القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٤٩٥؛ ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص٢٢.

[٢] الاسكندرية: ميناء يتميز بوقوعه في وسط البحر المتوسط وعلى مسافة متساوية تقريباً مع بلاد اليونان وآسيا الصغرى وسوريا، مما أهله لاجتذاب تجارة البحر وبحر إيجة والبحر الأسود فضلاً عن الحوض الشرقي للبحر المتوسط. ينظر :ياقوت، معجم البلدان،ج١، ص١٨٢ .

[٣] دمياط: هي ثغر جليل، له سوره، وبه خمسة أبواب، وعلى السور حصون تسمى المحارس، يسكنها الفقهاء والصالحون للمرابطة، وتقع على ساحل بحر الروم وهي مدينة مسورة مبنية على هضبة البحر الشامي من الجهة الشرقية، قال صلى الله عليه وآله وسلم ستفتح على أمتي مصر، ألا فالزموا المدينة البيضاء على شاطئ البحر تسمى دمياط. للمزيد ينظر: المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٢٠١-٢٠٢؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج٢، ص٢٨؛ الكندي، الولاة والقضاة، ص٧٤؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٦، ص٣٣٥؛ اليعقوبي، البلدان، ص١٢٧.

[٤] تنيس: توصف تنيس بأنها جزيرة في البحيرة التي اكتسبت منها اسمها "بحيرة تنيس" وقد كانت أعظم جزر البحيرة بالإضافة إلى كونها مدينة، ويذكر أن طول المدينة من الشمال إلى الجنوب بلغ ٣٢٢٧ ذراعاً وأن عرضها من الشرق إلى الغرب بلغ ٣٢٢٧ذراعاً، وذكر أيضاً أن تنيس مدينة يحيط بها البحر المالح وبحيرة يأتي ماؤها من النيل، وقيل إنها جزيرة صغيرة، قد بنيت كلها مدينة، وهي جزيرة ضيقة والبحر عليها كحلقة ملونة، وذكر أنها بحيرة في شمال الفرما، وتتصل ببحر الروم.. وفيها مدن كالجزائر فيها يطبق ماء البحيرة بها، ولا طريق اليها إلا في السفن ومن أجل جزرها تنيس ودمياط ودمير وديقوا وشطا وتوته.. للمزيد ينظر: ابن حوقل، صورة الأرض، ص١٤٦؛ أبو الفدا، تقويم البلدان، ص١١٩؛ اليعقوبي، كتاب البلدان، ص٣٣٧؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٢٠٣؛ خسرو، ناصر، سفرنامه، ص٣٨.

[٥] رشيد: وهو من موانئ نهر النيل اشتهر كوسيط في نقل السلع عبر نهر النيل ويقع هذا الميناء إلى جهة الغرب من نهر النيل قرب مصبه في البحر المتوسط، وهو من الموانئ التي تتمتع بأسواق مزدهرة وموارد كبيرة من حصيلة الضرائب المفروضة على السلع الواردة اليها. ينظر: ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٢٥٢؛ أبو الفدا، تقويم البلدان، ص١١٦-١١٧؛ ابن حوقل، صور الأرض، ص١٣٩.

وكانت أسوان[٣] هي الثغر الذي يدفع فيه التجار المكوس على البضائع التي يجلبونها من النوبة[٤]، أو يرسلونها اليها كما كانت عيذاب[٥] الثغر الذي تؤخذ فيه

---

[١] الفرما: أو القرماء وهي من موانئ الساحل الشمالي لمصر (ساحل بحر الروم) وكانت مجمع الطرق البرية وهي ثغر من ثغور الرباط وظلت تقوم بدورها في خدمة التجارة الخارجية حتى سنة ٥٤٥هـ حيث أحرقت ونهبت، ثم خربت على يد الوزير شاور سنة ٥٥٩هـ. للمزيد ينظر: المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١٩٥؛ المقريزي، الخطط، ج١، ص٣٤١.

[٢] القلزم (بحر القلزم): وهو من أهم الموانئ على البحر والذي أخذ اسمه من مدينة القلزم التي تقع على الطرف الشمالي لبحر القلزم، ومنه كانت تحمل سلع مصر والشام إلى الحجاز واليمن وهو ميناء لهم حيث أن التجار اليهود كانوا يأتون من بلاد الفرنج، قاصدين، فينزلون القرما، ثم يعبرون برزخ السويس إلى القلزم ومنها يركبون البحر إلى الجار ثم إلى جده ومنها إلى عدن في طريقهم إلى سواحل الهند ولهذا كانت ترسو بهذا الميناء السفن الكبيرة، وكان بمدينة القلزم دار لصناعة السفن. للمزيد ينظر: ابن حوقل، صورة الأرض، ص١٣٩؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٢١٥، حيث قدر المقدسي المسافة بين ميناء القلزم وميناء جده بـ٣٠٠ فرسخ كانت تقطعها المراكب في مدة تتراوح بين ٢٥ إلى ٦٠ يوماً حسب حالة الرياح، اليعقوبي، البلدان، ص١٩٨.

[٣] أسوان: مدينة كبيرة وهي من أكبر مدن الصعيد، وانها مجمع تجار المعادن، وهي أحد الثغور المهمة على النوبة، حيث كانت السوق الطبيعية لتجارة النوبة، وقد أدت دوراً مهماً في تجارة مصر الداخلية ؛ لكونها كانت ملتقى القوافل التجارية الآتية من السودان والصحراء الشرقية، ولأهمية طريق التجارة هذا قصص الفاطميون مبلغاً سنوياً قدره عشرة آلاف دينار لصيانة هذا الطريق يقوم بالإشراف عليه موظف عين لهذا الغرض. ينظر: ابن حوقل، صورة الارض، ج١، ص١٥٠؛ ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص٣٢٦؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٦، ص١٨٤؛ المقريزي، الخطط، ج١، ص١٠٩؛ أبو الفدا، تقويم البلدان، ص١١٣؛ خسرو، سفرنامه، ص٤٢.

[٤] النوبة: بلاد واسعة عريضة جنوبي مصر، وأهلها نصارى أهل شدة في العيش، أول بلادهم بعد أسوان، يجلبون إلى مصر فيباعون بها، طول بلادهم مع النيل ثمانون ليلة ومن مقلة إلى أسوان أول عمل مصر مسيرة أربعين ليلة. ينظر: ياقوت، معجم البلدان، مج١، ص١٩١.

[٥] عيذاب: من أعظم ثغور مصر شأناً وهي كطريق للحج والتجارة، وقيل فيها النظام الدولي مراكب الهند واليمن تحط وتقلع منها، زائداً إلى مراكب الحجاج الصادرة والواردة. وهي تعد من مدن = =مصر الصناعية حيص صنعت (الجلالب). ينظر: ابن جبير، أبو الحسن محمد بن أحمد الكناني الأندلسي(ت٦١٤هـ/١٢١٧م) ، رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك المعروف (برحلة ابن جبير) إشراف لجنة تحقيق التراث ، مكتبة الهلال ، بيروت ، ١٩١٨ ، ص٦٥-٦٦. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢، ص٤٩٢؛ المقريزي، اتعاظ، ج٣، ص٣٤٣.

الرسوم على السلع الواردة من الحبشة[1] وزنجبار[2] واليمن. ولما كانت أغلب تلك الثغور على الحدود فقد كان بمقدور التاجر أن يطوف فيها سنة كاملة ولايدفع أياً من (الرسوم الكمركية) المكس متى مادفع المكس بتلك الثغور مرة واحدة، وكان الذين يقومون بدفع ما عليهم من المستحقات، يتسلمون إيصالاً يعرف بـ"البراءة"[3]. وكانت هذه الإيصالات أو البراءات تختتم بخاتم بيضوي الشكل، يتضمن عبارة دينية، يليها اسم الجهبذ والصراف، واختلفت التعريفة الكمركية باختلاف الثغور، حيث كان يؤخذ المكس بالقلزم (السويس) عن كل حمل درهم، وتؤخذ الضرائب على المراكب الآتية من الغرب إلى الإسكندرية، كما تؤخذ الضرائب بالفرما على المراكب الآتية من الشام[4] وظلت الإسكندرية محافظة على مكانتها الخاصة القديمة لأنها أهم مراكز الجباية في مصر الشمالية في العصر الفاطمي، حيث كانت مركزاً من المراكز الأساسية في تمويل خزانة الدولة بالمكوس فيحصل بسواحلها المكوس والرسوم من السفن القادمة إليها.

وقد وصف ابن جبر الطريقة التي كانت تحصل بها تلك الرسوم فذكر أن أمناء المراكب صعدوا إلى السفينة وقاموا بتدوين عدد الركاب وأعمالهم وما يحملونه من مؤن أو تجارة وكان الغرض من هذا الحصول على الضريبة، بل إن بعض أمناء

---

(1) الحبشة: إقليم في أفريقية الشرقية، حرف اسمه الإفرنجي Abyssinia من اللفظ العربي حبش، وفيها مدن كثيرة منها قصبة النجاشي. ينظر: أحمد الشنتناوي وآخرون ، دائرة المعارف الإسلامية، مج١، ص٢٨٢–٢٨٥ مادة حبشه.

(2) زنجبار: قصبة جزيرة تحمل الاسم نفسه قبالة إفريقية على خط عرض ٦ْ جنوباً، والمدينة في الجانب الغربي من الجزيرة على مسيرة ٢٦ ميلاً إلى الشمال الشرقي من ثغر بكامويو على خط عرض ٦ْ٩َ جنوباً، وخط طول ٣٩ْ١٥َ شرقاً، والزنجبار شبه جزيرة وهي مرفأ يعرض أحسن المرافئ في أفريقية. ينظر: أحمد الشنتناوي وآخرون دائرة المعارف الاسلامية، مج١، ص٤٢٧. مادة: زنجبار.

(3) البراءة: حجة يبذلها الجهبذ أو الخازن للمؤدي بما يؤدي اليه. متز، الحضارة الإسلامية، ج١، ص٢١١.

(4) متز، آدم، الحضارة الاسلامية، ج٢، ص١٩٧–١٩٨.

المراكب يقومون باستجواب بعض المسافرين لمعرفة أخبار الغرب، ثم يقومون بتنزيل كل الحمولة وتفتيشها بصورة دقيقة[١]، وقد أبدى ابن جبر استغرابه لهذه الإجراءات ناسياً أن الدولة الفاطمية كانت قد جرت العادة لاتخاذ هكذا إجراءات صارمة لأنها كانت في حالة حرب مع الصليبيين وأن السفينة التي كان على متنها قادمة من بلاد أجنبية. وغالباً ما كان الجواسيس يقدمون على شكل تجار أو حجاج.

سادسا- المصادرات:

نعني بالمصادرة: أي المطالبة: فيقال صادره على كذا أي طالبه به[٢]. وقيل فلان يعرف موارد الأمور ومصادرها، وصادرت فلاناً على هذا الأمر من نجح وتصادروا على ماشاؤوا[٣]. والمصادرة نوع من أنواع أخذ المال من الاشخاص بالقوة وهي طريقة لسد حاجة أو نفقات الدولة وهي قديمة في الإسلام تعود إلى العصر الراشدي. وكان العمال أول من وقعت عليهم المصادرات فكانوا إذا اكتسبوا من تجارة أو سبيل آخر غير رواتبهم المفروضة أخذ الخلفاء نصفه وأضافوه إلى بيت المال، وبذلك تعد المصادرات من الوسائل والإجراءات التي اتخذها الخلفاء والأمراء في القرنين الثالث والرابع الهجريين لاسترداد الأموال التي استولى عليها بعض الذين صودروا بطرائق تعد غير مشروعة.

لم تشهد الدولة العربية الإسلامية في بدايتها ولاسيما عصر الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أية نوع من أنواع المصادرات وقد بدأت تتوضح في العصر الراشدي لأن الدولة كانت منشغلة في نشر الدين الاسلامي والجهاد في سبيل

---

(١) رحلة ابن جبير ، ص٧٠ ؛ ابن تغري ، النجوم الزاهرة ، ج٤ ، ص٢٢٤ ؛ سيمينوفا . ل . أ.، تاريخ مصر الفاطمية (أبحاث ودراسات ، ترجمة وتحقيق حسن بيومي ، المجلس الأعلى للثقافة ، ص١٥١ .

(٢) الفيروزآبادي، محب الدين محمد بن يعقوب (ت٨١٧هـ/١٤١٤م)، القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨، ج٢، ص٦٨.

(٣) الزمخشري، جار الله محمود بن عمر (ت٥٣٨هـ/١١٤٣م)، أساس البلاغة، مطابع الشعب، القاهرة، ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م، ص٥٢٣.

الله، ولما أفضت الأمور إلى بني أمية وكان ماكان من استبداد عمالهم وطمعهم في أموال الجباية أصبح الخلفاء في أواخر الدولة لايعزلون عاملاً إلا حاسبوه على ماعنده من مال واستخرجوا ماتصل اليه أيديهم، وكانوا يسمون ذلك استخراجاً [١]. ولما آل الحكم لبني العباس كان معظم العمال في أواخر الدولة من أخوالهم وأعمامهم، ولم يكن ثمة ما يدعو إلى الاستخراج أو المقاسمة ولو ساءت سيرة بعضهم، ثم انتقلت الاعمال الى رجال الدولة من غير أهلهم، فجنح العمال إلى الطمع والعنف في استخراج الأموال فعهد الخلفاء إلى مصادرة اموالهم، واستمر العمل بهذه الطريقة التي سميت المصالحة التي مثلت عقوبات شخصية ليس الا. ويذكر ان أول من جلس لهذه المظالم من خلفاء بني العباس هم المهدي والهادي والرشيد والمأمون والمهتدي[٢]. حيث استولى الرشيد على أموال يحيى البرمكي[٣]. وأخذ ما وجد عنده من مال وضياع ومتاع حصل عليه من غير وجه حق[٤].

وبهذا يمكن أن نوضح أن المقصود بالمصادرات هنا هو استرجاع الأموال التي أخذت بطرائق غير شرعية، ورأى بعض الوزراء في المصادرة مورداً أساسياً لبيت المال وتصرفوا بموجب ذلك إذ أفردوا ديواناً لإدارة الأملاك المصادرة سموه "ديوان المصادرين"[٥].

أمّا من المصادرات في الدولة الفاطمية موضوع الدراسة فإنها اتخذت مصادرة الممتلكات شكلين من أشكال السيطرة الفاطمية على زمام الأمور، فالشكل الأول هو

---

[١] العلي، صالح أحمد، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري، دار الطليعة، بيروت، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م، ص٢٢٨.

[٢] الماوردي، الاحكام السلطانية، ص٧٨.

[٣] الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٥٤.

[٤] ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص١١٤-١١٥؛ الدجيلي، خولة، بيت المال ونشأته وتطوره، ص١٩٥.

[٥] مسكويه ، أبو علي أحمد بن محمد (ت٤٢١هـ/١٠٣٠م) ، تجارب الأمم، ترجمة مرجليون أكسفورد، ١٩٢١م، ص٢٩١؛ الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص٢٥٨؛ متز، الحضارة الإسلامية، ج٢، ص١٣٦.

أن تلجأ الدولة إلى مصادرة الممتلكات التي تعد من الوسائل التي اتخذتها الحكومة الفاطمية لمكافحة الغلاء وتسعير الأقوات والسلع الضرورية، وتحتيم بيعها في بعض أوقات الأزمات وقد وضعت في مكان أمين تحت الإشراف الدقيق من جانب المحتسب واعوانه[١].

أما الشكل الثاني الذي أخذته المصادرة فهو تأكيد لولاية الدولة عليها، حيث كان العصر الفاطمي- كما كان تاريخ العباسيين ولاحقيهم- مليء بالمصادرات الجماعية والفردية التي تصيب كبار القوم أمّا صغار القوم ليس لديهم ما يصادر.

ففي خلافة الخليفة العزيز بالله (٣٦٥-٣٨٦هـ)/(٩٧٥-٩٩٦م) كان أول من صودر هو الوزير يعقوب بن كلس سنة ٣٧٣هـ/٩٨٤م، وقد حمل من ماله خمسمائة ألف دينار[٢].

وغضب الخليفة العزيز على وزيره يعقوب بن كلس فاعتقله في ٣ شوال سنة ٣٧٣هـ/٩٨٣م لمدة شهرين وأمر بالكشف عن أمواله ومصادرتها، وكشفت الثروة النقدية التي وجدت بداره تزيد عن ١٠٠٠٠٠٠ دينار، فضلاً عن أدوات تحصي العطايا التي يخرجها لمريديه وبلغت ألف دينار شهرياً، ولا عجب فلقد كان اقطاعه في السنة ٣٠٠٠٠٠ دينار وذلك غير الرباع والمباني وغير ثروته الخاصة[٣].

أما في عهد الخليفة الحاكم بأمر الله (٣٨٦-٤١١هـ)/(٩٩٦-١٠٢٠م) انه كان يصادر أموال من يسخط عليهم، فيذكر احد المؤرخين قائلاً: انه لما سخط الخليفة الحاكم بأمر الله على الحسن بن جوهر وصهره وأهله سنة ٤٠٠هـ/١٠١٠م، صادر جميع املاكهم[٤]. ولم يكن الخليفة يصادر أموال الرعية فحسب بل امتدت يده بالمصادرة لأفراد أسرته أنفسهم، فاستولى على ماتملكه والدته واخته وزوجته وعماته وخواصه من النساء، وجاء بعد ذلك دور كبار مرؤوسيه والضمان والعاملين والمباشرين بالمصادرة، حيث بلغت المباني المصادرة وحدها إلى ٢٧٢٠٠٠ ألف دار

---

[١] المقريزي، إغاثة الامة بكشف الغمة، ص١٣-١٤.

[٢] النويري، نهاية الأرب، ج٢٨، ص١٥٩.

[٣] المقريزي، اتعاظ الحنفا، ص٢٦٢-٢٦٩.

[٤] الأنطاكي، التاريخ المجموع، ص١٩٥.

وحانوت[1]. واضطر الحاكم امام كثرة المصادرات إلى إنشاء ديوان خاص اسمه (ديوان المفرد)[2]. ويذكر أن هذا الديوان أنشئ في وزارة أبي النصر بن عبدون النصراني وزير الحاكم بأمر الله الملقب بالكافي[3]. وقد كان وزراء الخلفاء أكثر ثراء من غيرهم، فبعد أن أمر الحاكم بقتل الأفضل بن بدر الجمالي ومصادرة أملاكه وأمواله التي اشتملت على المراكب والبغال والرقيق والحلي والجواهر وغيرها، ولكثرتها استغرق نقلها إلى بيت المال أربعون يوماً، وقدرت ثروته هذه بـ(ستة ملايين دينار)[4].

وعندما تخلص الحاكم من برجوان[5] وجدوا في خزانته من الطرائف والطرف والأموال أشياء تربو على الوصف من بينها ألف سروال ديبقي، وعدد ضخم من الآلات الموسيقية وكميات هائلة من التحف والأشياء النادرة[6].

---

[1] المصدر نفسه، ص٨٩٥؛ سعد، أحمد صادق، تاريخ مصر الاجتماعي الاقتصادي، ص٢٧٤.

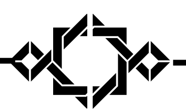
[2] وهو الديوان الذي كان يودع فيه الأموال التي يتم مصادرتها ممن يسخط عليه الخليفة أو يقتله وهو يشبه ديوان المصادرات الذي كان مألوفاً في الدولة العربية الإسلامية وقد استعاضت الدولة الفاطمية في عهد الخليفة الحافظ لدين الله (٥٢٤-٥٤٤هـ) (بديوان المرتجع) لارجاع ما أخذ منه ومن غيره من الضياع. ينظر: ابن الاثير، الكامل، ج٧، ص٢٢٤؛ المقريزي، الخطط، ج٢، ص٢٨٧؛ اتعاظ، ج٢، ص٨١؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج١، ص١٥٤؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج١٠، ص٣٥٧.

[3] المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص٨١.

[4] المصدر نفسه، ج٢، ص٨٢؛ سعد، احمد صادق، تاريخ مصر الاجتماعي-الاقتصادي، ص٢٧٤.

[5] برجوان: هو الأستاذ أبو الفتوح برجوان الذي تنسب اليه حارة برجوان بالقاهرة وكان من خدام العزيز صاحب مصر ومديري دولته، كان نافذ الأمر مطاعاً نظر في أيام الحاكم في ديار مصر والحجاز والشام والمغرب وأعمال الحضرة وذلك سنة ٣٨٨هـ، قتل سنة ٣٩٠هـ في القصر بالقاهرة بأمر الحاكم وانه عند مقتله خلف ألف سروال دبيقي بألف تكة حرير، ومن الملابس والآلات والطرائق ما لايحصى كثره. ينظر: بن خلكان، وفيات الأعيان، مج١، ص٢٧٠-٢٧١؛ ابن القلانسي : ابو يعلي حمزة بن أسد بن علي بن محمد التميمي (ت٥٥٥هـ/١١٦٠م) ، ذيل تاريخ دمشق ، تحقيق أودوروز ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ، ١٩٠٨م ، ص٥٦ ؛ المقريزي ، المقفى الكبير ، ج٢، ص٥٧٥؛ الشيال ، جمال الدين ، مجموعة الوثائق الفاطمية ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة، ٢٠٠٢، ص١٤٧ .

[6] أبو شامة : شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الشافعي (ت:٦٦٥هـ/١٢٢٧م) ، كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، تحقيق محمد حلمي محمد أحمد ، مطبعة دار الجبل ، بيروت ، ١٩٥٦م، ج١، ص٩٤.



وقد اتبع وزير الخليفة الحاكم بأمر الله صالح الروزباري نفس السياسة في مصادرة ما في أيدي أهل البيوتات والنعم[١]. ولما قتل الحاكم، تصرفت أخته بالمثل فقبضت على جميع الاقطاعات التي أقطعها اليها.

وفي خلافة المستنصر بالله دبر أمير الجيوش بدر الجمالي مذبحة (٤٢٧-٤٨٧هـ)/(١٠٣٥-١٠٩٤م) قتل بها جنوده من عسكر الأتراك وصادر ما يتركه كل أمير مقتول من مال ودار واقطاع لمقاتليه، وقتل بدر عدداً كبيراً من الوزراء والقضاة أيضاً[٢]. وكذلك صادر الكثير من أموال أهالي الاسكندرية عندما ثار ابن الجمالي المسمى بـ(الأوحد) في الاسكندرية وهزمه بدر[٣].

وكثيراً ما لجأ الفاطميون إلى المصادرة وتنظيم بيع الغلال، ففي عهد الخليفة المستنصر بالله أخرج الوزير اليازوري سنة ٤٦١هـ/١٠٦٨م ما في الأهراء من الغلال وأمر ببيعها بسعر منخفض مما أدى إلى هبوط الأسعار في السوق، وكانت مصادرة الغلال إجراءاً سليماً لا غبار عليه في سبيل راحة المستهلكين، وقد هدد بها الوزير المأمون البطائحي في خلافة الآمر بأحكام الله (٤٩٥-٥٢٤هـ) أن لم يهبط السعر إلى كل مائة أردب بمائة وثلاثين ديناراً[٤].

وعندما تولى أبو علي أحمد كتفليت بن الأفضل الوزارة في عهد الخليفة الآمر، أمر الوزير بسجن الخليفة نفسه[٥] واستولى على جميع ما في القصر، ووضع يده

---

[١] ماجد، نظم الفاطميين، ص٣٩٤.

[٢] ماجد، المصدر نفسه، ص٣٩٤.

[٣] سعد، احمد صادق، تاريخ مصر الاجتماعي-الاقتصادي، ص٢٧٤.

[٤] المقريزي، اتعاظ الحنفا، ص٢٧٠؛ سعد، احمد صادق، تاريخ مصر الاجتماعي-الاقتصادي، ص٢٧٤.

[٥] في العهد الأخير في أيام الدولة الفاطمية (٤٦٦-٥٦٧هـ)/(١٠٧٣-١١٧١م) عندما صار الوزير السيف والقلم، ضعف نفوذ الخلفاء كثيراً، بحيث أصبحوا طوال هذا العهد تقريباً تحت نفوذ الوزراء الذين استفحلت قوتهم وتضخمت ثروتهم، بسبب الأزمة الاقتصادية (الشدة العظمى التي أصابت مصر ٤٥٧-٤٦٤هـ) حيث شهدت مصر اسوأ أزمة اقتصادية جاء على أثرها الاعتماد على بدر الجمالي والي عكا ومنذ ذلك التاريخ أصبح الوزير هو صاحب السلطة العليا بناءً على الصلاحيات الرئاسية التي منحها الخليفة للوزير أعلاه. للمزيد ينظر: النويري، نهاية الأرب، ج٢٨، ص٢٣٤؛

علـى مـا فـي مخـازن الغـلال الخاصـة بالخليفـة وامـر بتوزيعهـا حيـث بلغـت مئـات الأرادب[1].

وفـي أواخر خلافـة العاضـد لـدين الله (٥٥٥-٥٦٧هـ)/(١١٦٠-١١٧١م) آخـر الخلفـاء الفـاطميين استولى وزيره ضرغام بـن عـامر اللخمـي علـى الأوقاف للصـرف على الجيوش، ثم جاء صلاح الدين فصادر مخصصات العاضد وكنوز الفاطميين، واقطـع الأمـلاك والأراضـي علـى أفراد أسرته حيث أعطـى إياه اقطـاع الفيوم، وأخـاه ثوران شاه قوص واسوان وعيذاب، ولم تكن المصادرات تشتمل على الممتلكات لدى الوزراء والحاشية وكبار القوم بل اشتملت بذلك على التجار[2].

ولابد من التأكيد على أن المصادرات اربكت الأوضاع المالية للبلد، وجمدت ثرواته فالوزراء، وكبار الموظفين يجمعون الثروات بأية طريقة، ثم يقومون بإخفائها عسى أن تنفعهم أيام المحن، وعذابات التحقيق، عن ثرواتهم، فيظهر بعضها، ويخفي البعض الآخر، فمسار ثروات البلد وأمواله، بين جشع الوزراء، ورشاويهم وبين مصادرة الخلفاء وعذاباتهم للمصادرين هذه الظاهرة، لايمكن اعتبارها ظاهرة عافية، تنمي الحياة المالية، وتنعشها، بل العكس تماماً . الحياة المالية تنتعش بالاستقرار بينما المصادرة تربكها، وتدفع بها بعيداً عن الاستقرار، والامان، وحفظ أموال الناس.

سابعا- إيرادات ومتحصلات دار الضرب :

تشير المصادر إلى تعدد الولايات، والمدن التي يضرب فيها النقد الفاطمي، وقد حصلت الدول على ما يضرب من هذه النقود، فأنعشت بيت المال واثرته، بالنقود، وبالذهب والفضة، وكل المعادن النفيسة.

المقريزي، إغاثة الأمة، ص٨-٢٧؛ سيد، أيمن فؤاد، الدولة ، ص٢٠٤؛ حسن، إبراهيم حسن، الدولة الفاطمية، ص٢٧٨.

(١) سعد، احمد صادق، تاريخ مصر الاجتماعي-الاقتصادي، ص٢٧٤.

(٢) ابن ميسر، تاريخ مصر، ص١٣-١٤؛ حسن، حسن إبراهيم، تاريخ الدولة الفاطمية، ص٥٨٠.

وتعد الاسكندرية[١] من أهم المدن لضرب العملة قبل الفتح العربي حيث ضرب الامبراطور جستيان الأول (٥٢٧-٥٦٥م) نقوداً مصرية في عاصمة البلاد المصرية، حيث لم يستخدم الذهب فيها واقتصرت على ضرب العملة على معدن البرونز، وبعد الفتح العربي ظلت دار الضرب بالاسكندرية تسك بها النقود حتى العهد الأموي فبدأ الصناع يضربون سكة ذهبية على الطرز البيزنطي في عهد معاوية بن بي سفيان، وبقي أساس التعامل المالي بين الناس بالذهب والدرهم الفضي في عصر الدولة العباسية التي حملت أسماء الخلفاء العباسيين على أحد وجهي العملة في مصر، وغيرها من الأمصار[٢].

أمّا في عهد الدولة الطولونية (٢٧٠-٣٢٣هـ/٨٣٣-٩٣٤م) فقد سك أحمد ابن طولون ديناراً ذهبياً خاصاً به ومستقلاً عن الدينار العباسي[٣]سنة ٢٢٦هـ/٨٤٠م وعرف بالدينار الأحمدي[٤].

وقد عنى الأخشيد بضرب العملة وأشرف الاخشيد بنفسه أحياناً وقد تحسن حال مصر وضرب الدينار الاخشيدي[٥]. وقد أسند أعمال دار الضرب في العصر الإسلامي إلى القاضي الذي كان يكتفي باختيار من يريد من نواب الحكم للمباشرة في أعمال دار الضرب- وكان هدف الخلفاء في إسناد هذه المهمة للقضاة هو ضمان شرعية الدينار والدرهم التي تصدر حاملة اسماءهم.

أمّا في عهد الدولة الفاطمية فقد ضرب الدينار المعزي منذ مجيء القائد جوهر لمصر سنة ٣٥٨هـ/٩٦٨م، حيث شجع على ذلك ماحمله المعز من السبائك التي قدرت بنحو ثلاثة وعشرين مليون دينار أعاد المعز ضربها من جديد في دار الضرب المصرية بالفسطاط[٦]. وبهذا تكون قد نشطت حركة سك الدنانير والعملات

---

[١] ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١، ص١٨٢ .

[٢] المقريزي، شذور العقود في ذكر النقود الإسلامية القديمة، تحقيق السيد علي بحر العلوم، منشورات المكتبة الحيدرية، إيران ، قم ، ١٣٧٨هـ/١٩٦٧م ، ص٢٣ . وسوف أرمز له النقود الإسلامية.

[٣] المصدر نفسه، ص٢٣-٢٦.

[٤] المصدر نفسه، ص٧٤.

[٥] المقريزي، النقود الاسلامية، ص٧٧.

[٦]ياقوت ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص٢٦١-٢٦٦ ؛المقريزي، الخطط، ج١، ص٤٤٥ .

الأخرى بعد أن اتجهت السياسة المالية الفاطمية على حمل الناس بالتعامل بالدينار الفاطمي والعمل على إغداق السوق بها والإكثار منها، كما عمل الفاطميون على ضرب عملات جديدة من الذهب هي ربع الدينار أو "الربع" وأصدروا منها كميات كبيرة إذ دعت الحاجة إلى وجود هكذا فئات نقدية ذات قيمة أقل.

ثم ضربت دراهم جديدة من الفضة في عهد الخليفة الحاكم بأمر الله (٣٨٦-٤١١هـ)/(٩٩٦-١٠٢٠م) وقد حددت قيمتها بالنسبة للدينار حيث كانت كل ثمانية عشر درهماً بدينار[١]. ويتضح من ذلك أنه كان هدف الدولة تيسير التعامل في السلع القليلة الثمن، ولاشك ان الخليفة الحاكم كان يسعى إلى الإصلاح خاصةً بعد أن أصاب الدولة الاضطرابات التي أدت إلى ارتفاع الأسعار وتزايدها، وهذا بطبيعة الحال يجعل أمور الناس بحالة اضطراب إذ لم تجد الدولة الحلول السريعة التي تحول دون ذلك.

وقد أمدنا ابن مماتي بعيار الدراهم التي كانت تضرب بها فكان يسبك ٣٠٠ درهم من الفضة مع ٧٠٠ درهم من النحاس الأحمر: "ويسبك ذلك حتى يصير ماء واحداً ثم يصب قضباناً ويقطع من أطرافها خمسة عشر درهماً ثم تسبك فإن خلص منها أربعة دراهم ونصف درهم من كل عشرة دراهم والا أعيدت إلى أن يصح العيار ثم تختم"[٢].

ولأهمية دار الضرب في الدولة الفاطمية فقد كان يتولاها قاضي القضاة وهو يختار من يختاره لمباشرة ذلك من نواب القضاء، هذا وقد امتازت العملات الصادرة من دور الضرب في العصر الفاطمي بزيادة النقوش والزخارف، إذ عمل الصناع على نقش كل وجه من وجهي العملة بثلاث دوائر داخل بعضها واستخدم الخط الكوفي البارز في الكتابة عليها كما هو واضح من الدنانير الفاطمية التي سكت في دار الضرب بالإسكندرية[٣].

---

[١] ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص٢٣٢، ٢٣٣.

[٢] قوانين الدواوين ، ص٢٣٣.

(3) Henri Lavaix: Catalogue des Monnaies Muslmane, PP.517-531.

والظاهر أن نشاط حركة سك النقود اقترن بسياسة الخلفاء الفاطميين ونقش أسماءهم وصورهم على الدنانير والنقود الأخرى حتى نهاية دولتهم، ففي سنة ٤٩٧هـ/١١٠٣م ضرب الخليفة الآمر بمصر نوعاً من المسكوكات الفضية المعروفة بالآمرية نسبةً اليه والتي ذكرها المقريزي قائلاً: "ثم اشتهر في كتب الأخبار أن الفضة صارت تضرب نقوداً بمصر وانها سميت بين الدراهم باسم المسودة وبها كانت معاملة أهل مصر والقاهرة والاسكندرية وتعرف بنقد مصر"[١].

مما مرّ بنا يتضح أن نشاط الآمر واهتمامه لم يقتصر على سك النقود التي حملت اسمه فضلاً عن النشاط في ذلك منذ توليه الخلافة (٤٩٥-٥٢٤هـ)/(١١٠١-١١٣٠م) بل أُسست داران للضرب في عهده، وأظهر مدى حرصه على عيار الذهب بهما وبدور الضرب الأخرى[٢]. فقد ذكر ابن ميسر انه في شوال سنة ٥١٦هـ/١١٢٢م أمر الوزير المأمون بعمل دار ضرب بالقاهرة، وان يكون دينارها أعلى عياراً من جميع ما يضرب في سائر الأمصار وقد أطلق عليها الدار الآمرية[٣].

-يبدو لي- ان ماقام به الخليفة الفاطمي الآمر بأحكام الله من أوامر بعمل دار للضرب في القاهرة وبهذا المستوى من الدينار أراد ان يضاهي به دولة بني العباس من جهة-خاصةً وان الخلفاء الفاطميين كانوا يعرفون أحوال النقد في بغداد باستمرار من خلال طرح الأسئلة على التجار العائدين من تجارتهم إلى مصر- أضف إلى ذلك رأى الخليفة ضرورة عمل دار ضرب في القاهرة بعد أن كان دار للضرب في الفسطاط والاسكندرية لكون القاهرة حاضرة الخلافة الفاطمية، ولم يتوقف نشاط الأمر بهذا الشأن فقد أمر ببناء دار لسك النقود الذهبية بمدينة قوص[٤] وذلك سنة ٥٢٤هـ/١١٣٠م.

---

[١] المقريزي، النقود الإسلامية، ص٧٤؛ الخطط، ج١، ص٤٤٥.

[٢] المقريزي، الخطط، ج١، ص٤٤٥.

[٣] المقريزي، إغاثة الأمة، ص١٥؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٤، ص٥٣.

[٤] ياقوت ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص ٤١٣ .

كان الموردون عادةً ومنهم التجار يحضرون الذهب على اختلاف أصنافه إلى دار الضرب مقابل رسم تفرضه الدولة وهو ثلاثة وثلاثون دينار وثلث على كل الف دينار، تستثنى منه أجرة الضرابين وهو ثلاثة دنانير ونصف على كل ألف دينار، وأجرة مشارف العيار وهي دينار واحد وثلثان عن كل ألف دينار[١].

وكانت الدولة الفاطمية تعد دور الضرب ذات أهمية كبيرة وموردا ً مهما ً من موارد الدولة فهي تحصل مقابل سك ما يتعامل به الناس من النقد بأنواعه الذهب والفضة والنحاس رسماً ولمنع حالات الغش، والتلاعب في قيمته إذا خرج عن أشراف الدولة.

أصبحت دور الضرب في مصر الفاطمية منتشرة في كل من الاسكندرية والفسطاط والقاهرة وتنيس وقوص، فضلاً عن صور وعسقلان ودمشق في بلاد الشام[٢]. حيث سك الدينار الفاطمي في بلاد الشام واستمر التعامل به بالمعاملات التجارية في الفترة التي أصبحت بلاد الشام تابعة للخلافة الفاطمية في مصر.

أدت دور الضرب في مصر دوراً كبيراً في سك العملات الحكومية والخاصة، حيث لم يقتصر دورها على سك النقود للدولة وحدها بل كان مصرحاً لكافة الأفراد بالالتجاء إلى هذه الدور لضرب ما معهم من سبائك ذهبية حيث تسك لهم النقود وذلك مقابل رسوم معينة وقد ذكر ابن مماتي ما كان يضرب من دنانير بدار الضرب بالقاهرة قائلاً : "وأجرة كل ألف دينار تضرب بالقاهرة ثلاثون ديناراً يخرج من ذلك أجرة الضرابين ثلاثة دنانير ونصف ، ورسم المشارفة ربع وسدس وثمن وحبه وثلثي دينار"[٣].

أمّا بالنسبة إلى المعدن الثاني الفضة فكان دار الضرب يحصل مقابل سك عيارها رسم قدره نصف دينار "أي حوالي ٢٠درهماً " عن كل ألف دينار خالصاً من

---

[١] ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص٣٣٣؛ المقريزي، الخطط، ج١، ص٤٤٥.

[٢] القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٥٥٧؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج١، ص٩٧.

[٣] ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص٣٣٢-٣٣٣.

أجرة الضرابين وحق متولي العيار وسائر المؤن لأنها تلزم مالكها دون الديوان[١]، وهو ما أطلق عليه اسم "رسم واجب السكة وأجرة الضرابين"[٢].

استمر الحال بالدولة الفاطمية والعمل بهذه الصورة من النشاط الحركي المالي حتى بدت على الدولة الفاطمية مظاهر الضعف لاسيما بعد أن نفذ الذهب من منجم وادي العلاقي وفقدان السبائك الذهبية وورودها إلى مصر، وبسبب ان معظم أهالي الدولة من الميسورين وحاشية البلاط عملوا على تزيين بيوتهم بالمنحوتات والأشكال المذهبة فضلاً عن زينة النساء التي لا تقدر بثمن فقد أقتنين الذهب فهو كما يقال عندهن زينة وخزينة وبذلك أصبحت الدولة لاسيما في عهد آخر الخلفاء الفاطميين العاضد لدين الله (٥٥٥–٥٦٧هـ)/(١١٦٠–١١٧١م) ضعيفة اقتصادياً فيما حرمت خزائن

الدولة من قيمة عشرين ألف دينار كانت تحصل عليها من مدينة تنيس سنوياً لما كانت تصدره من الثياب والأقمشة ؛ بسبب نهب الصليبيين لهذه المدينة في أواخر الدولة الفاطمية[٣]، وقد وصف المقريزي ظاهرة اختفاء النقد الذهبي في نهاية العصر الفاطمي قائلاً : "وعمت بلوى المصارف بأهل مصر لأن الذهب والفضة خرجا منها وما رجعا وعدما فلم يوجدا، ولهج الناس بما عمهم من ذلك وصاروا ذا قيل دينار أحمر فكأنما جاءت بشرة الجنة له"[٤].

أمّا دار العيار فقد كانت تمد خزانة الدولة بمبالغ طائلة لأنها المكان الوحيد الذي يشرف على مراقبة المكاييل والموازين والصنج ويعود اهتمام الحكومة الفاطمية بهذا الدار لحماية الشعب من الاستغلال، وإيرادات هذه الدار عبارة عن أثمان ما

---

(١) المقريزي، الخطط، ج١، ص٤١٨.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص٤١٨؛ فهمي، ، عبد الرحمن محمد ، النقود العربية ماضيها وحاضرها ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، المؤسسة المصرية العامة للطباعة، ١٩٦٤م، ص٩٤.

(٣) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١٩٩.

(٤) المقريزي، الخطط، ج١، ص٤٤٥؛ الكرملي الأب انستاس ماري، النقود العربية وعلم النميات، المطبعة العصرية، القاهرة ، لات، ص٥٩.

يباع من هذه الموازين، ومصاريف أصلاحها وتمريرها لمن يريد[١]. ويشرف المحتسب على تلك المواد لضمان عدم تغييرها وبيعها للتجار وإعدام صنجهم غير المطابقة للمواصفات، وكانت الحكومة تحصل على مبالغ طائلة لقاء ذلك[٢].

ومما لا جدال فيه أنه بإنعدام الذهب والفضة يكون عمل دور الضرب بدون جدوى وكان إنعدامهما السبب الرئيس في توقف دور الضرب عن القيام بسك العملة الفاطمية، ولم يكن هناك ما يكفي من المعادن النفيسة مايسمح للدولة باستمرار نشاطها وضرب النقود الأمر الذي جعل دور الضرب من سك الدراهم السود وهي تختلف عن الدراهم الفضية التي ضرب خلال حكم الحاكم بأمر الله حيث كان الصناع يسبكونها من النحاس مع القليل من الفضة وهذا الحال استمر حتى نهاية الدولة الفاطمية واستيلاء الأيوبيين على مصر سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م[٣].

ثامنا- النشاط التجاري :

احتل النشاط لتجاري مركزاً هاماً في العصر الفاطمي، فقد سعت الخلافة منذ البداية على سياسة تنوع نشاطها التجاري الداخلي والنشاط التجاري الخارجي بسبب موقعها الجغرافي على بحرين من جهة، وحصولها على ثروة مالية من جهة أخرى.

إن اعتناء الفاطميين بالتبادل السلعي وبتنظيمه باعتباره ذو مردود مالي ثري لنظام الجباية، ويوفر عملة نقدية ذهبية الغرض منه زيادة موارد الدولة وارداف بيت المال بالعملة.ومن المعروف أن النشاط براً وبحراً استفاد من عاملين أساسيين: أولهما الازدهار الاقتصادي وثانيهما سيطرة الفاطميين على طرق التجارة فضلاً عن الضعف الذي أصاب اوربا وتعرضها إلى موجة من الغزو على يد شعوب بربرية آتية من الشمال، حيث لم تسلم الكنائس والأديرة من السلب والنهب والقتل[٤].

---

[١] ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص٣٣٣، ٣٣٤.

[٢] القلقشندي، صبح الأعشى، ج١٠، ص٤٦١.

[٣] المقريزي، الخطط، ج١، ص٤٤٥.

[٤] أ. آشتور، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى ، ترجمة عبد الهادي عبلة ، مراجعة غسان سباتو ، دار قتيبة للطباعة ، سوريا ، دمشق ،١٩٨٥م، ص٢٤٥.

انتقل حجم التجارة الإسلامية في أواخر القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي تدريجياً إلى مصر والبحر الأحمر، وأدت إستراتيجية الفاطميين الشرقية ومحاولتهم القضاء على العباسيين إلى أحكام سيطرتهم على طرق التجارة المؤدية إلى الهند، سواء للانتعاش الاقتصادي أو لنشر الدعوة الاسماعيلية على طول الطرق التجارية وذلك بالإضافة إلى تجارتهم مع جنوب أوربا وشمال أفريقيا وصقلية وبيزنطة في الشمال[1]. ونتج عن تلك التجارة مع التجار غير المسلمين بأن أخذت العشور على أنها ضرائب على بضائع التجار، فيؤخذ العشر من بضائع التجار غير المسلمين إذا قدموا بها من دار الحرب إلى دار الإسلام[2]. وللامام الحق أن يزيد في المأخوذ عن العشر، وأن ينقص عنه إلى نصف العشر، كما له أن يرفع عنهم العشر نهائياً إن رأى في ذلك مصلحة عامة، ولايزيد في الأخذ على مرة من كل قادم بالتجارة في كل سنة حتى ولو تكرر قدومه خلال السنة[3].

هناك أسباب عديدة جعلت مصر زمن الفاطميين تقوم بدور مهم في التجارة العالمية وتعد سبباً في ازدهار اقتصاد مصر حيث حل البحر الأحمر محل الخليج العربي كطريق رئيسي للتجارة من الهند إلى البحر المتوسط وحدث هذا التغيير نتيجة عوامل منها: تدهور مدينة سيراف[4]، المرفأ العظيم على الخليج بعد أن دمرتها الزلازل مما أدى إلى ردع التجار عن زيارة شواطئها، وكذلك فضل التجار الإيطاليون الحصول على المنتجات الهندية من المراكز التجارية في مصر وسوريا بدلاً من الذهاب إلى شواطئ الخليج العربي البعيدة والخطيرة وبهذا يكون الفاطميون قد أدركوا

---

[1] المصدر نفسه، ص٢٤٥.

[2] القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٤٥٩؛ متز، الحضارة الإسلامية، ج٢، ص٢٠١-٢٠٣. أمّا العشور: فإنها ضريبة شرعية تؤخذ على بضائع التجار المسلمين. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٤٦٣؛ المقريزي، الخطط، ج١، ص١٦٧؛ أبي يوسف، الخراج، ص٧٦-٨٠؛ خسرو، ناصر ، سفرنامة، ص١٧٧-١٨٠؛ عبد المنعم ماجد، نظم الفاطميين، ص١٤٨.

[3] ابن قيم الجوزية، أحكام أهل الذمة، ص١٦١؛ الصالح، صبحي، النظم الإسلامية، ص٣٦٨-٣٦٩.

[4] سيراف: وهي مدينة جليلة على ساحل بحر فارس كانت قديماً فرضه الهند وقيل كانت قصبة كورة أردشير من أعمال فارس والتجار يسمونها شيلاو. ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٢٩٥.

حجم الفائدة من تحول التجارة الهندية من الخليج إلى البحر الأحمر، فضلاً عن توافر عنصر الأمان والاستقرار في داخل البلاد المصرية إلى جانب انه أصبحت مصر مستقلة ذات حكومة قوية رسمت لنفسها سياسة تستطيع أن تساعدها على تنمية علاقات تجارية مع مختلف المدن الإيطالية كالبندقية وأمالفي وجنوا وبيزا واتساع نطاق التجارة مع أوربا.

وأصبحت موانئ مصر تكثر فيها السفن الأوربية فضلاً عن علاقاتها التجارية مع الحبشة[١] وغانة[٢] اذ أصبحت كل من القاهرة والفسطاط والإسكندرية وقوص مراكز تجارية وموانئ مهمة نشطت فيها الحركة التجارية والتي من خلالها أصبحت ذات مردود مالي مهم لبيت المال، وقد خضع النشاط التجاري في العهد الفاطمي لنظام دقيق يتحكم في وسائل الانتاج، عم جميع البلاد فكانت كل طائفة من التجار وأصحاب الحرف على رأسها شيخها تضم صنفاً من أرباب الصناعات أو التجارة وتسمى به[٣]. ونشأت في القاهرة أماكن للصيرفة[٤] ودكاكين وفنادق، مما أدى إلى ازدهار ونشاط التبادل التجاري[٥] وعدّ هذا النظام أشبه بنظام نقابي، حيث تسبب في ظهور تعبيرات اصطلاحية جديدة مثل عبارة "دار الوكالة"[٦]. التي ظهرت لأول مرة في عهد الخليفة الآمر بأحكام الله وتعني بيتاً واسعاً للتجار.

وهكذا كانت مصر بلداً تجارياً على جانب عظيم من الأهمية، حيث نجد المقدسي[٧] ينصح من يريد العمل في ميدان التجارة أن يقصد مصر، حيث يجد

---

[١] ابن الوردي، زين الدين أبو حفص عمر بن المظفر (ت٧٤٤هـ/١٣٥٨م)، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، مطبعة حجر، القاهرة، ١٢٩٨هـ، ص٤٣؛ البراوي، حالة مصر الاقتصادية، ص٢٣٧.

[٢] البكري، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، ص١٧١.

[٣] الشيرزي، عبد الرحمن بن نصير (ت٥٨٩هـ/١١٩٣م)، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق السيد الباز العريني، مطبعة لجنة التأليف ، القاهرة، ١٩٤٦م، ص١٠٧.

[٤] المصدر نفسه، ص١٠٤.

[٥] المصدر نفسه، ص١٠٤.

[٦] المقريزي، الخطط، ج١، ص٤٥١.

[٧] أحسن التقاسيم، ص٣٣-٣٥.

سوقاً رائجة، مكتظة بالسلع الشرقية والغربية إلى جانب السلع المصرية، ومما لاشك فيه أن التجار غير المصريين أدوادوراً كبيراً في تقدم تجارة مصر ونشاطها، ويذكر أن المصريين أنفسهم سواء أكانوا مسلمين أم غير مسلمين، لم يكن لديهم الاستعداد الخاص للتجارة الخارجية وإنهم لم يكن يرون مستوطناً لهم غير مصر في معظم الأحيان(١). ومن التجارات المهمة التي أدتدوراً مهماً في الاقتصاد المصري فضلاً عن أهمية التجارات الأخرى تجارة الكارم(٢)، وكانت عدن وعيذاب وقوص والفسطاط من أكبر مراكز التجارة الكارمية في العصور الوسطى. والدليل على عناية الفاطميين واهتمامهم بـ"الكارم" هو ما أورده القلقشندي: إلى أن الفاطميين كان لهم بعيذاب اسطول يتلقى به الكارم فيما بين عيذاب وسواكن وما حولها، خوفاً على مراكب الكارم من قوم كانوا بجزائر بحر القلزم (البحر الأحمر) يعترضونها وكان يتولى الاشراف عليه والي قوص(٣).

ولابد لي أن أذكر أن المعلومات الواردة في "النشاط التجاري" كان الهدف منها تسليط الضوء، على ما قدمه هذا النشاط من انتعاش مالي للحياة المالية في مصر الفاطمية بالإضافة إلى إيرادات النقود وتنوع البضائع وقوة وثبات الموقع التجاري لمصر في المنطقة.

---

(١)متز، الحضارة الإسلامية، ج٢، ص٣٧٦.

(٢) الكارم: كلمة غير عربية، وأنه توجد في لغة التأميل جنوب الهند كلمة (كاريام) وتعني ضمن ما تحمل من معاني "الاعمال" و"الاشتغال" Goitein, S.D., Studies, P.279. في حين يرى مؤرخ آخر ان أصل الكلمة عربية وانها تتكون من مقطعين "كار" و"يم" الأولى وتعني الحرفة أو التجارة، والثانية وتعني المحيط أو البحر البعيد عن الشواطئ وسقطت اليها وأصبحت تعني حرفة التجارة في البحار، وهذا الرأي قريب إلى جوتياين من حيث المعنى عندما كانت أعمال الشرق الأوسط الرئيسة مع ساحل الهند الشرقي هو الاساس للأعمال التجارية. ينظر: بصيلي، الشاطر، الكارمية، المجلة التاريخية المصرية، العدد ١٣، لسنة ١٩٦٧، ص٢٢٠. لم يحسم للآن معنى كلمة كارم ولا تشير كتب اللغة العربية إلى وجود مثل هذه الكلمة فيها ، ينظر : أحمد الشنتناوي ، دائرة المعارف الإسلامية ،ج٢، ص١٩ ؛ س . د. جوتياين، دراسات في النظم الإسلامية ، تعريب وتحقيق د. عطية القوصي، منشورات وكالة المطبوعات ، الكويت ، ١٩٨٠ ، ص٢٨٠ .

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٥١٩-٥٢٠؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٨، ص٢٧٨-٢٧٩.

تاسعا- موارد مالية أخرى :

سعت الحكومة الفاطمية إلى استثمار كل ما موجود في أرض مصر سواءً على أرضها أو في باطن الأرض وقد اهتمت اهتماماً كبيراً بهذا الجانب من أجل السعي إلى الحصول على موارد مالية تمكن الدولة من احكام سيطرتها وفرض هيمنتها على المنطقة كي تصبح قوة اقتصادية تمكنها من تعزيز مكانتها المالية في العالم العربي الاسلامي. ويمكننا أن نستعرض مااهتمت به الحكومة في هذا المجال بالإشارة إلى:

أ- **المعادن:** وهي من الموارد المهمة التي كانت ترفد بيت المال وكان الشب أهم تلك المعادن، وكانت مصر من أهم مصادر الشب منذ العصور القديمة[١]. وأشارت المصادر إلى اختصاص مصر بهذا المعدن[٢] وقد ذكر المسعودي "ان الشب يوجد بالواحات من أرض مصر –فقد كانت أرضهم شبيه وزاجيه"[٣]. "كان بالواحات الخارجية، الشب الأبيض، بواد تجاه مدينة أدفور حيث يهبط به العرب من هناك إلى وادي النيل عند أخميم واسيوط، والبهنسا، ليحمل عن طريق النيل فالخليج "إلى الاسكندرية"[٤]، حيث كان يصدر للخارج، وكان الديوان يحتكره فلا يباع إلا عن طريقه فهو المتصرف الوحيد في بيعه وشرائه، ولايستطيع أحد أن يقوم بهذه المهمة والا كان العقاب عليه شديد. وكان الديوان يبيعه لتجار الروم الواردين من ثغر الاسكندرية[*]، وكان

---

[١] يوجد الشب في صحراء الصعيد ويستفاد منه لمعظم الاحتياجات أهمها الصبغ وكان تجار الروم يرغبون فيه كثيرً. ينظر: ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص٧٦؛ مجلة أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة لسنة ١٩٦٩م، إصدار وزارة الثقافة والإعلام، مصر، مطبعة دار الكتب، ١٩٦٩، ج٣، ص١٠٨٠.

[٢]ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص٢٢ ،المقريزي، الخطط، ج١، ص١٠٩؛.

[٣] المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص١٦؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٣٩٤.

[٤] المقريزي، الخطط، ج١، ص٢٣٥.

[*]أعد الفاطميون ديواناً خاصاً لهذه الأمور يدعى ديوان المستغلات، حيث تحتكر الدولة المناجم وفيها الشب والنطرون. ينظر: الجهشياري، أبو عبد الله محمد بن عبوس (ت٣٣١هـ/٩٤٢م) ، كتاب الوزراء

محصول الشب في السنة ١٢.٠٠٠ قنطار سعر القنطار منه بين أربعة وستة دنانير ويحتفظ بجزء للمستهلكين بسعر ٧.٥ دينار للقنطار[1]. واذا قدرنا ثمن بيع القنطار خمسة دنانير في المتوسط كان الايراد السنوي من ذلك حوالي ٦٠.٠٠٠ دينار وهذا المبلغ وحده من الشب فقط.

أمّا النطرون (كربونات الصوديوم) فهو من المعادن التي احتكرتها الحكومة الفاطمية أيضاً، وهو بالجهة الغربية من مصر فيما بين مريوط والفيوم غربي عمل البحيرة[2]، فقد عين ابن مماتي موقع وادي النطرون فذكر "أنه يقع في البر الغربي بظهر ناحية، يقال لها الطرانة، من عمل البحيرة حيث يبعد موطن النطرون عن هذه البلدة مسافة نهار "[3].

وقد حدد الادريسي موضع هذا المعدن، قائلاً : "ان مدينة ترنوط[4]، بها معدن النطرون الجيد الذي يحمل إلى جميع البلاد"[5]. وقد أضاف القلقشندي "انه لايعلم في الدنيا بقعة صغيرة، يستغل منها النطرون، مثلما يستغل من – الطرانة، فإنها كانت مائة فدان، تغل نحو ألف دينار في السنة"[6]. وكان هناك صنفان من النطرون، الأحمر، والأخضر والأخير هو أكثر ما تدعو اليه الحاجة[7]. بلغت قيمة النطرون في الدولة الفاطمية إلى ٣٠٠ درهم للقنطار

والكتاب ، القاهرة ، ١٩٢٦م، ص٤٧؛ المقريزي، الخطط، ج١، ص١٠٩؛ ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص٢٢.

(١) ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص١٤٩، ١٥٤؛ المقريزي، الخطط، ج١، ص١٠٩.

(٢) المقريزي، الخطط، ج١، ص١٨٥؛ مجلة ابحاث الدولة لتاريخ القاهرة، ص١٠٨٠.

(٣) ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص٣٣٤؛ البرادي، حالة مصر، ص٢٧٩.

(٤) ترنوط: قرية بين مصر والاسكندرية، وهي قرية كبيرة جامعة على النيل، فيها أسواق ومسجد جامع وكنيسة كبيرة، وبها معاصر للسكر وبساتين وفواكه الاسكندرية أكثرها منها. ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص٢٧.

(٥) الأدريسي ، ابو عبد الله محمد (ت٥٦٠هـ/١١٦٤م) ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، نشرة دوزي، ليدن ، ١٨٦٦ ، ج١، ص١٣٢.

(٦) صبح الأعشى، ج٣، ص٤٦.

(٧) ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص٢٤٨.

وكان يحمل من مناطق استخراجه إلى القاهرة والاسكندرية، فيتخزن في شون[١]، ثم يباع منها "وكانت الدولة تعين مباشرين لحساب الواصل أو المنتج أو المباع"[٢]. ورغم القيود التي فرضت على التصرف في النطرون "فإن العربان كانت تقوم بتهريب هذا المعدن وبيعه لمبيضي الثياب"[٣]. ويذكر المقريزي[٤] ان الحكومة الفاطمية اتبعت مبدأ التضمين بالنسبة لمحصول النطرون فبلغ مقدار ضمانه ١٥.٥٠٠ دينار سنة ٥٨٥هـ وهذا التاريخ بعد زوال الدولة الفاطمية إلى أن المقريزي يشير حدوثه زمن الفاطميين.

ب- المتجر : يعد المتجر من النظم التي لها تأثير كبير على الجانب المالي في مصر، وقد ذكر ابن مماتي أهمية المتجر من ناحية تأثره وتأثيره على البلاد قائلاً : "ان المتجر هو عبارة عن السلع التي يشتريها الديوان من التجار الواردين إلى مصر، وذلك حسب ماتدعو اليه حاجة البلاد، فإذا زاد ثمن المباع من التجار شيئاً مما يجب عليه من ضريبة الخمس للدولة اعطى به أي بالزيادة سلعاُ بحق الثلثين وذهباً بحق الثلث الباقي"[٥].

وكانت الدولة الفاطمية قد انشأت المتجر الذي كان الأصل فيه لخزن الغلال ولكن الوزير اليازوري الذي تقلد الوزارة سنة (٤٤٢هـ/١٠٥٠م) أشار بإنشاء متجر لخزن الخشب والحديد والصابون والرصاص والعسل، واستمر الحال على ذلك حتى نهاية عهد الفاطميين[٦]. وكانت الحكومة الفاطمية تحتكر بعض البضائع التي يشرف عليها ديوان يعرف بـ"المتجر" أو "المتجر الديواني السعيد" وقبل تولي الوزير اليازوري الوزارة سنة ٤٤٢هـ/١٠٥٠م كان يبتاع للسلطان في

---

[١] المصدر نفسه، ص٢٤٨.

[٢] القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٤٦٠-٤٦١؛ الباشا ، حسن : الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٦م ، ج٣، ص٩٨٩ .

[٣] ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص٣٣٤-٣٣٦.

[٤] الخطط ، ج١، ص١٠٩ .

[٥] ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص٢٢٧.

[٦] المقريزي، الخطط، ج١، ص١٠٩-١١٠.

كل سنة غلة بمائة الف دينار وتجعل متجراً حتى إذا انقضت الأقوات من الأسواق، بسبب جشع التجار أو بسبب العوامل الطبيعية التي كان لها تأثير مباشر في حدوث أزمات مالية في مصر. وقد وجد اليازوري ان المتجر المخصص للغلة قد يعود بالضرر على المسلمين في حالة انحطاط السعر عن السعر الذي اشترت به الدولة، فوجد من المناسب ان يحتوي المتجر على مواد لايخشى عليها من انحطاط السعر أو التلف في بعض الأحيان مثل الحديد والرصاص والخشب....

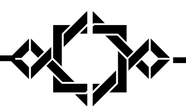
جـ- المواريث الحشرية: من موارد بيت المال ما يعرف بالمواريث الحشرية[(١)]: وهي مال من يموت وليس له وارث شرعي (وارث خاص بقرابة أو نكاح أو ولاء) أو الباقي من مال من يموت بعد توزيع التركة أو من يموت وله وارث أو فرض لا يستغرقه جميع المال ولا غاصب له[(٢)].

وتعد المواريث الحشرية من المصادر المهمة لدخل بيت المال خصوصاً في فترات انتشار الأوبئة التي تنتج عن الأزمات الاقتصادية بسبب كثرة اعداد الموتى في تلك الفترات وانتقال أموالهم وثرواتهم إلى بيت المال، سواء كانت أموال أم مباني أم اراضي زراعية، وقد اتخذ الفاطميون للمواريث ديواناً عرف بديوان المواريث الحشرية[(٣)]، لا يتولاه إلا شاهد عدل يساعده جماعة من الكتاب

[(١)] اختلف نظام الوراثة عند الفاطميين عن أهل مصر ما نصه : ((أمر جوهر في المواريث الحشرية بالرد على ذوي الأرحام وأن لا يرث مع البنت أخ ولا أخت ولا عم ولا جد ولا ابن أخ ولا ابن عم ولا يرث مع الولد الذكر أو الأنثى إلا الزوج أو الزوجة والأبوان والجده ولا يرث مع الأم إلا من يرث مع الولد : ينظر : المقريزي ، الخطط، ج٢، ص٣٤٠.

[(٢)] ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص٣١٩، ٣٢٥ ؛ القلقشندي، صبح الآعشى، ج٣، ص٤٦٠ ؛ النابلسي، علاء الدين ابو عمرو عثمان بن إبراهيم (ت بعد سنة ٦٣٢هـ/١٢٣٤م) ، لمع القوانين المضية في دواوين الديار المصرية ، نشرة كلود كاهن، ١٩٥٨م، ص٥٤؛ ابن ميسر، أخبار مصر، ص٥٩.

[(٣)] المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٣، ص٨٩-٩١؛ المقنفى الكبير، ج٧، ص٤١١-٤١٣.



يقومون بمتابعة الأموال، حيث يذكر القلقشندي قائلاً (أن المواريث الحشرية كان لها ديوان، يتولاه ناظر وشهود يقومون بمتابعة هذا المصدر المهم وتوريد متحصله إلى خزانة الدولة، بل انه كان هناك كاتب متخصص لتدوين من يموت بمصر والقاهرة كل يوم وتفصيله من رجال ونساء وصغار، ويهود ونصارى[١]. وتكتب له نسخ للديوان. وكانت التقارير تستمر طوال اليوم ولاتختم إلا عند صلاة العصر. وكان جوهر القائد قد وعد الرعية في "الأمان" الذي منحه لهم وقت الفتح: أن يجريهم في المواريث على كتاب الله وسنة نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) ويضع ما كان يؤخذ من تركات موتاهم لبيت المال من غير وصية من المتوفى بها، لأنه لا استحقاق لتصييرها الى بيت المال[٢]، وهذا النظام كان موجوداً في مصر قبل مجيء الفاطميين[٣]. ونتيجة لاتباع هذا النظام وضعت مبالغ طائلة من المال في تداول الدولة وهذه الأموال التي ظلت قيد التداول كانت وسيلة لجأت اليها كل الحكومات الإسلامية للحصول على الأموال التي تحتاجها للنفقات[٤].

د- الحراج: يقصد بالحراج: هو ما اجتمع من سائر الشجر، وهي غياض من شجر السلجم ملتفة لايقدر أحد أن ينفذ فيها، لالتفافها وضيق المسلك فيها[٥]. وقد عنى الفاطميون بزراعة الأشجار عناية كبيرة حتى يتسنى لهم الحصول على حاجة الاسطول والسفن التجارية من الأخشاب وكذلك ما يلزم لبناء القصور، ويذكر انه بعد احتراق الاسطول زمن الخليفة العزيز بالله (٣٦٥-٣٨٦هـ/٩٧٥-٩٩٦م).

---

[١] إذا توفي ذمي ولم يخلف وارثاً فترد تركته على أهل ملته لا على بيت المال، وذلك عملاً بما روي عن النبي (ص) من أن المسلم لايرث الكافر، وان الكافر لايرث المسلم، وانه لايتوارث أهل ملتين . متز، آدم، الحضارة الاسلامية، ج٢، ص١٩٥.

[٢] المقريزي، المقفى، ج٣، ص٩٢؛ اتعاظ الحنفا، ج١، ص١٠٥؛ ابن حماد ، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، ص٥١.

[٣] الدوري، عبد العزيز، تاريخ العراق الاقتصادي، ص١٩١؛ متز، الحضارة الاسلامية،ص١٩٥.

[٤] آشتور، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، ١٩٠-١٩١؛ سيد، تاريخ الدولة الفاطمية، ص٥٤٣.

[٥] ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص٥٨.

جمعت الأخشاب من جميع جهات مصر لاعداد الاسطول[١]. أمّا في الظروف الاعتيادية، فقد اعتمدت هذه الصناعة على الأخشاب المحلية والمستوردة "فكانت مصر تستورد الاخشاب المتينة للاسطول من أحراش الشام وكرواتيا ودلماشيا"[٢].

كان مصدر الاخشاب المحلية (الحراج) السلطانية[٣] في الوجه القبلي، في البهنسا والاشمونين، وأسيوط وأخميم وقوص[٤] ونظراً لأهميتها في الصناعة، فقد صدرت الأوامر بحراستها وحمايتها، حتى يعمل منها مراكب الاسطول، فلا يقطع منها إلا ما تدعو الحاجة اليه وكانت هذه الحراج من أشجار السنط[٥]. وكانت تفرض ضريبة تسمى "رسم الحراج" نظراً لما يقطعه أهل تلك النواحي من الأشجار وما يأخذونه من أطراف عيدان الخشب لاستخداماتهم الخاصة، "مقابل أجرة من يباشر قطعها على سبيل النيابة عنهم" وكان كل مائة حمل (أي حمل جمل) يباع لهم بأربعة دنانير[٦].

هـ- موارد العقارات: امتلكت الحكومة الفاطمية عدد من الحوانيت والمخازن والخانات والأفران والقياسر والحمامات والرباع في القاهرة ومدن مصر الكبرى وتعد من الموارد المهمة التي كانت تدخل خزانة الدولة من ريع، فيذكر الرحالة ناصر خسرو، "ان في القاهرة ما لايقل عن عشرين الف دكان كلها ملك للسلطان، وكثير منها يؤجر بعشرة دنانير في الشهر، وليس بينها ما تقل

---

[١] الأنطاكي، التاريخ المجموع، ص١٧٨، ١٧٩؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج١، ص١٩٠.

[2] Heyd: Histoire du Commerce du Levant, Tom 1, P.113.

ابن بطوطة، محمد بن عبد الله اللتوافي الطنجي (ت٧٧٩هـ) ، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأقطار المعروف برحلة ابن بطوطة، ص٢١٧.

[٣] ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص٢٤٩؛ المقريزي، الخطط، ج١، ص٧٢.

[٤] ابن مماتي، قوانين الدووابن ، ص٢٤٩؛ المقريزي، الخطط ، ج١، ص٧٢.

[٥] السنط: شجرة تستعمل اخشابها في عمل السفن، وأطرافها لاستخراج الفحم، وخشبه لا رماد له وفحمه جاف وثمرتها تسمى (القراظ) ويكثر في مصر وتكبر شجرتها حتى تفوق شجرة الجميز المشتهر بضخامته وكانت ثمرتها غالية الثمن؛ لانها تستخدم في الدباغ.ينظر : ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص٥٨؛ .

[٦] ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص٢٤٩؛ المقريزي، الخطط، ج١، ص٧٢.

أجرته عن دينارين والأربطة والحمامات والأبنية الأخرى كبيرة لا يحدها الحصر، وكلها ملك للسلطان"[1].

-والراجح- أن ما ذكر الرحالة ناصر خسرو -على الرغم من انه عاش بمصر لمدة أربع سنوات تقريباً - كان يقصد ان ما يؤجر من أملاك السلطان بالدرهم وليس بالدينار خاصةً وان أوراق البردي تذكر أن إيجار أملاك السلطان كانت تؤجر لكل دكان ثلاثة دراهم[2]، فإذا أردنا أن نقيس ما كان بمصر فقط أكثر من عشرين الف دكان وأخذنا متوسط إيجار الحوانيت الشهري خمسة دنانير لكان ريع الحكومة من ذلك ١٠٠.٠٠٠ الف دينار شهرياً أي ١.٢٠٠.٠٠٠ مليون ومائتين الف دينار سنوياً وهذا الرقم فيه شك ويجب التحفظ به وعدم الأخذ به كحقيقة مسلم بها. ومن جانب آخر أن الرحالة ناصر خسرو لم يشر إلى أن ماذكره كان من خلال اطلاعه على سجلات رسمية خاصة للحكومة فهو أخذ معلوماته من أخبار هنا وهناك ومن ثم دونها في كتابه.

ولم تقتصر الضرائب العقارية على الحوانيت والمنازل بل يذكر ابن ميسر ان الوزير المأمون البطائحي بنى داراً واسعة على شاطئ الخليج ليتسنى له إيجارها للناس مقابل أجر للتفرج منها على احتفالات كسر الخليج "ففي سنة ثمان عشرة وخمسمائة أمر الوزير المأمون البطائحي ببناء دار واسعة ليتفرج فيها الناس عند كسر الخليج بالقاهرة بكراء وذلك لأن الناس عند كسر الخليج كانوا يعملون أخشاباً يركبون بعضها على بعض ليتفرجوا على الاحتفالات"[3]. وما قام به الوزير يعد أمراً ضرورياً فهو من جانب مالي والآخر جانب الحفاظ على أرواح الناس فقد كانت تحدث كوارث بسبب هذه الطريقة.

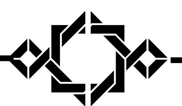
وهناك موارد أخرى لاتقل في الأهمية في زيادة موارد بيت مال الدولة لأن الفاطميين لم يدعوا فرصة لزيادة مواردهم المالية إلا انتهزوها.

---

[1] خسرو، سفرنامة، ص١٢٧ ؛وثائق جنبرة القاهرة ، نقلاً عن جوتيابن ، النظم الإسلامية ، ص٢٠٤.

[2] ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص٣٤٢.

[3] ابن ميسر، أخبار مصر، ص٦٤.



فقد امتلكت الدولة أعداداً وفيرة من المراكب التجارية التي كانت تجوب العالم حيث لعبت مصر دور الوسيط التجاري بين العديد من الدول. وقد ذكر ناصر خسرو أنه شاهد في مدينة تنيس وحدها الف مركب بعضها ملك للتجار والأكثرية منها ملك للسلطان. ومن الواضح ان هذه المراكب كانت ذات عوائد مالية كبيرة حيث إنها كانت تدفع رسوماً مختلفة حسب نوع التجارة التي تحملها المراكب[1]. فإذا كانت تنيس وحدها يملك شاطئها الف مركب فلنا أن نتخيل حجم العوائد المالية من وراء ذلك.

و- التنقيب عن الآثار والكنوز : من جانب آخر اهتمت الحكومة الفاطمية بالكنوز التي تحصل عليها من الدفائن إذ كان أغلب حكام مصر الاسلامية يسعون إلى التنقيب عنها، ومنذ عهد الفاطميين نظمت عملية التنقيب عن الآثار المصرية القديمة، وقد وضعت الحكومة شروطاً وقوانيناً، ويذكر أن من كان يقوم بمهمة البحث في تلال مصر عن الكنوز والدفائن يسمى مطالباً[2].

وكان البحث يتم تحت إشراف الحكومة حيث تحصل على الخمس من شيخ المطالبين مقابل السماح له بالتنقيب، ويعد عصر الخليفة المستنصر بالله (٤٢٧-٤٨٧هـ)/١٠٣٥-١٠٩٤م) من أكثر العصور بحثاً وتنقيبً عن الآثار، فقد دخلت خزانة الدولة في عهده أموال كثيرة بحيث استغرق نقلها من خزائنه إلى خزائن السلطان شهرين[3].

ز- ضريبة البراطيل: وهناك نوع آخر من الرسوم وهو ضريبة البراطيل التي كانت تؤدى على هيئة ضريبة ترفد بيت المال، وقد ذكر المقريزي ذلك قائلاً : بأنها

---

[1] خسرو، سفرنامه، ص٤١.

[2] المصدر نفسه، ص٤١.

[3] المصدر نفسه، ص٥٠.

عبارة عن ضريبة تؤخذ من ولاة البلاد ومحتسبيها وقضاتها وعمالها "أي موظفي الدولة" وكانت هذه البراطيل موجودة في مصر قبل مجيء الفاطميين، والدليل على ذلك ان جوهر "أمر برفع البراطيل" أي انه ألغى هذه الضريبة حال سيطرته على مصر. وان أول من فرض هذه الضريبة أيام الدولة الفاطمية الوزير الصالح طلائع بن رزيك وزير الخليفة الفائز (٥٤٩-٥٥٥هـ)/(١١٥٤-١١٦٠م) في ولاية النواحي فقط ولك يكن ذلك تعميم على سائر المدن الأخرى حيث "فرض الأموال على المستخدمين بالدولة والأمراء، وباع ولايات الأعمال بأسعار محددة وجعل مدة كل متول ستة أشهر"[١]. وهذا يعني ان هذه الضريبة تؤدى مرتين في السنة. وقد استمر الحال على ذلك إلى أن بطل العمل بها بزوال الدولة الفاطمية.

وهناك نوع آخر من الضرائب التي تحصل عليها الحكومة الفاطمية والتي نتج عنها أنها حصلت على مبالغ طائلة، فقد فرضت الدولة رسوماً على الإنتاج الحيواني بكافة أنواعه، فقد أخذت الضريبة ومقدارها من ثلاثة إلى خمسة دنانير عن كل رأس من الجاموس في السنة، وأخذت دينارين عن كل رأس من أبقار الخيس وهي الأبقار التي تربى للحصول على اللبن. أمّا الأغنام فيؤخذ عنها من دينار إلى نصف دينار في السنة، وفرضت ضريبة على علف الحيوان[٢].

أمّا ضرائب مصايد الأسماك فهي وان كانت معروفة في مصر منذ عهد الولاة وقد ابتدعها أحمد بن المدبر وسماها مصائد الأسماك وقد ألغاها أحمد بن طولون ولكن الدولة الفاطمية أعادت العمل بهذا النوع من الضرائب وجنت منه أموالاً وفيرة. وفرضت ضريبة أخرى وهي ضريبة النحل عن كل خلية عشرة أرطال بالمصري ومقدار ما يتحصل منه في السنة من خمسة قناطر عسل إلى ستة قناطير، وعشرين رطلاً من الشمع[٣].

---

[١] ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص٢٣٢؛ المقريزي، الخطط، ج١، ص١٨٠.

[٢] المصدر نفسه، ج١، ص١٠٤-١٠٥.

[٣] المقريزي، الخطط ، ج١، ص١٠٤.

والخلاصة انه كان كل رسم تفرضه الحكومة على المصالح فهي بالتالي تنفقه في توفير الخدمات العامة للناس سواء كانت هذه الخدمات بناء أو نفقة على المارستانات، أم أرزاق للمستخدمين فيها وحتى أثمان الأكفان للفقراء الذين لا يجدون عندهم ما ينفقوه.

الفصل الثاني
نفقات الدولة الفاطمية

التمهيد:

أولا- الرواتب

ثانيا- نفقات المؤسسة العسكرية

أ- الجيش

ب- الاسطول الحربي

ثالثا- نفقات القصر الفاطمي

رابعا- نفقات المواكب والمواسم الاحتفالية

خامسا- نفقات الخدمات العامة

أ- المنشآت والعمرات

ب-خزانات الكتب

جـ-المشاهد

د- البيمارستانات

التمهيد:

تطرقنا في الفصل السابق إلى أهم موارد الفاطميين في مصر وطرائق جبايتها وحصول الحكومة الفاطمية على مبالغ كثيرة منها، ونتتبع هنا أهم وجوه الانفاق في تلك الحقبة.

اختصت عدد من الدواوين في الدولة الفاطمية بشأن تولي أمر النفقات في كافة أرجاء الدولة ونشاطاتها المختلفة. وتدل أسماء تلك الدواوين المالية، على طبيعة اختصاصاتها وجوانب نفقاتها.

اهتم الخلفاء الفاطميون بشأن اختيار الوزراء المهرة في المسائل المالية وذلك لأهمية المال في بناء الدولة العربية الإسلامية في العصر الوسيط بشكل عام والخلافة الفاطمية في مصر بشكل خاص، فقد تنوعت وجوه الانفاق في الدولة الفاطمية ولكن ثمة وجوه أبواب نفقات رئيسة منها: (الرواتب لموظفي الدولة، ونفقات القصور الفاطمية ومحتوياتها، ونفقات الأسطول البحري والجيش ونفقات المواسم والأعياد، ونفقات المواكب الاحتفالية الخليفية، ونفقات المنشآت والعمران ونفقات عطايا الأدباء والشعراء وغيرها الكثير مما كان ينفق للأرزاق وعلى شكل هبات واعطيات ونفقات الخدمات العامة.

ويصعب ان تجد معلومات متكاملة ومنظمة عن وجوه الانفاق في الدولة الفاطمية، مما يزيد من الجهد المبذول لجمع هذه المعلومات من مصادر مختلفة وربطها مع بعضها بشكل منظم وواضح. يضاف إلى ذلك ان هذه المعلومات لم ترد.

مع ذلك يمكن أن نشير هنا إلى انه كانت للدولة الفاطمية ميزانية خاصة ومنظمة تقدم بموجبه الدواوين "استيمارة"[1] خاصة تشتمل على الانفاق الاستيمار: وهو لفظ فارسي (الاستيماء) وتعني ورقة رسمية يثبت عليها كل مبلغ يعتمد للصرف كرواتب موظفي الدولة، وكان من اعمال ديوان المجلس اعداد (ميزانية) الدولة الفاطمية، وجرت العادة على أن يعقد صاحب هذا الديوان ما هو معروف باسم "الاستيمار". وقيل انها كلمة تركية معناها مجلس الثورة وكان هذا المجلس يعقد زمن

---

[1] القلقشندي، صبح الاعشى، ج٣، ص٤٩٤ ينظر: المقريزي، الخطط ، ج١، ص٣٩٧.

الفاطميين في ذي الحجة من كل سنة لمراجعة الميزانية العامة للدولة ومقدارها عيناً ذهباً "وورقاً "فضة" وغلة، ثم يحرر أسماء المرتزقين وذوي الرواتب[١]، إلا أننا من تتبعنا لكتابات مؤرخي تلك الحقبة استطعنا أن نتصور حجم الانفاق الفاطمي من خلال استعراض أبواب الإنفاق في المناسبات المختلفة وتحديد رواتب العاملين في الدولة، أو عن مصروفات البلاط الفاطمي وما احتوت قصور الدولة من خزائن وكنوز، والظاهر أن – سجلات الدولة الفاطمية الرسمية – والتي اختصت بالإنفاق حرقت أو أتلفت بعد سقوط الدولة الفاطمية وقيام الدولة الأيوبية.

ان الحياة المالية ونظمها مسألة أساسية في قوة الدولة، ورفاه المجتمع، لكننا نجد قلة من المصادر والمراجع التي تهتم بهذه المواضيع وفي المستوى الذي تحتله في حياة للدولة والناس. فإن كل ما ورد في المصادر لا يتعدى بعض الإشارات عن بعض النفقات التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالمناسبات والأعياد الدينية، أضف إلى ذلك ان الدولة الفاطمية أنفقت مبالغ طائلة لكننا لم نعثر على ما كان ينفق على بعض الخزائن والقصور والمباني الحكومية وصيانتها وأعمال الصيانة والري وطرق المواصلات، كما ان المؤرخين تغاضوا توضيح الرواتب الخاصة بموظفي الأقاليم من الولاة، ولم يتضح ما إذا كانت الرواتب يتناولوها من ديوان بيت المال في الحاضرة "القاهرة" أم كانوا يأخذونها من الأقاليم. ولهذا صار لزاماً على الباحث أن يتوصل إلى ما يريده عن بعض أبواب المصروفات من خلال المقارنة والاستنتاج لمعرفة ما آلت إليه المصروفات في سنة معينة. وسوف نحاول أن نتوصل إلى وضوح الرؤية بالتعرف على أوجه الإنفاق.

ولم نجد غير إشارة واحدة عن البيمارستانات لكنها تؤشر أن الفاطميين أعطوا الاهتمام الكبير لهذا الجانب والذي توصلنا اليه يرجع إلى راتب طبيب الخليفة الخاص واهتمام الخلفاء بالطب والاطباء.

أولا- الرواتب:

---

[١] المقريزي، الخطط ، ج١، ص٣٩٧؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ج٣، ص٤٩٤.



نظراً لسعة البلاط الفاطمي في مصر وتعدد جوانبه، فقد كثر عدد العاملين به، وكان لابد من صرف رواتب لكافة موظفي الدولة على اختلاف الأعمال التي تمارس وما يتقاضاه منه.

ذكرت المصادر وجود "ديوان الرواتب"[١] وهو الديوان الذي يختص بدفع العطاء لمرتزقة الدولة وموظفيها شهرياً وبانتظام والمدونة أسماؤهم في سجل فيه أسماء ومقدار عطاء هؤلاء وكذلك أرزاقهم ان كانت عيناً كالقمح أو الشعير، ويتولى العمل كاتب يعاونه عشرة من أتباعه مهمتهم اعداد الكشوفات الخاصة بالرواتب وإثبات من استجد وحذف من مات وقد تولى وظيفة توزيع الرواتب التي يتقاضاها موظفو الدولة. حيث تمدنا بعض المصادر عن الرواتب التي كانت تعطى لكبار موظفي الدولة ومنها راتب الوزير[٢] الذي كان خمسة آلاف دينار شهرياً، أمّا ابن الوزير أو أخاه فكان يأخذ في الشهر راتباً . يكون بين مائتين إلى ثلاثمائة دينار، علاوة على رواتب أتباع الوزير وحشمه وكان متوسط مجموعهما أربعمائة وخمسين دينار في كل شهر[٣]. فمثلاً كان لشجاع بن الوزير شاور بن مجبر السعدي وزير العاضد لدين الله (٥٥٥-٥٦٧هـ/١١٦٠-١١٧٢م) خمسمائة دينار ولكل حواشي الوزير وذلك سوى الاقطاع[٤].

وفي القصر الفاطمي، ذكرت المصادر حاشية كبيرة من الموظفين كانوا يتقاضون رواتب حسب اختلاف درجاتهم : أولهم الأستاذون المحنكون[٥]،وهم فئة من

---

[١] القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٤٩٥؛ المقريزي، الخطط، ج١، ص٤٠١؛ حسن ابراهيم حسن، تاريخ الدولة الفاطمية، ص٥٦٢.

[٢] ينظر: الملحق رقم (٦) والخاص بأسماء من استوزر للخلافة الفاطمية ومدة وزارتهم وعددهم ١٠٦ وزير من خلافة العزيز بالله سنة ٣٦٥هـ إلى وزارة صلاح الدين الايوبي من خلافة العاضد ٥٥٥هـ، وسقوط الدولة الفاطمية ٥٦٧هـ.

[٣] القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٤٩٠؛ المقريزي، الخطط، ج٢، ص٢٣٨؛ اتعاظ الحنفا، ص٧٦٧.

[٤] المقريزي، اتعاظ الحنفا، ص٧٦٧.

[٥] القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٤٤٧ ؛ ينظر: المقريزي، الخطط، ج١، ص٤١١.

موظفي القصر الفاطمي وخدمه. ولهم نفوذ في القصر وينقسمون إلى مرتبتين، أصحاب الرتب العليا وأصحاب الرتب الأدنى ويعدون من أعلى موظفي القصر في الرتبة وعرفوا بالمحنكين لأنهم يمررون طرف العمامة على الحنك، وهم يمثلون خاصة القصر من الحاشية ولهم حق حمل لقب أمير وهم زمام القصر، وصاحب بيت المال وحامل الرسالة وصاحب المجلس، وصاحب الدفتر وشاد التاج "عمامة الخليفة"[١] ولكل منهم مئة دينار في الشهر، أما الأشخاص المساعدون فكان عددهم يفوق الالف ولكل واحد منهم عشرة دنانير[٢] ويمكن عد هؤلاء من المرتبة الاولى لموظفي الدولة.

أما المرتبة الثانية فهو طبيب الخليفة الخاص والمسؤول عن متابعة صحة وسلامة الخليفة من الأمراض وكان من خيرة أطباء البلاط يبلغ راتبه الشهري مائة دينار[٣]. أما الأطباء المساعدون برسم أهل القصر فقد أخذ كل منهم عشرة دنانير. وقد اختلف المؤرخون في مقدار راتب الطبيب فعند القلقشندي[٤]، ان راتب طبيب الخليفة الخاص ٥٠ دينار، وعند المقريزي[٥] ورد انه يتقاضى ١٠٠ دينار، ومن الواضح ان المقريزي هو عين الصواب لاسيما أن الطبيب كان يحظى بمكانة عالية عند الخلفاء الفاطميين.

أما المرتبة الثالثة: التي يحتويها ديوان الرواتب، هم أرباب الرتب بحضرة الخليفة، وأولهم كاتب الدست الشريف[٦] كاتب الدست الشريف: يأتي على رأس

---

(١) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ص٧٦٧.

(٢) القلقشندي، صبح الاعشى، ج٣، ص٥٢٥-٥٣٢؛ المقريزي، اتعاظ، ص٧٦٧.

(٣) المقريزي، اتعاظ، ص٧٦٧.

(٤) صبح الاعشى، ج٣، ص٥٣٢.

(٥) اتعاظ الحنفا، ص٧٦٨.

(٦) ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٤٥٨ ؛ المقريزي، الخطط، ج١، ص٣٨٦.

أرباب الاقلام، ووظيفته من الوظائف المهمة بالقصر، حيث يتسلم المكاتبات الواردة مختومة فيعرضها على الخليفة ويقوم بالرد عليها، ولا تسند هذه الوظيفة إلا لكبار رجال العلم والأدب ممن يتقنون فنون اللغة والبلاغة، ويلقب صاحب هذا المنصب بالشيخ الأجل، وله منزلة كبيرة عند الخليفة حيث يستشيره في كثير من الأمور وله الحق في الإقامة في القصر وفي خدمته عدد من الفراشين وأستاذ لحمل الدواة التي يستخدمها في حضرة الخليفة للكتابة. وراتبه في الشهر مائة وخمسون ديناراً، ولكل من كتابه ثلاثون ديناراً ولمتولي مجالسة[١] الخليفة في مجالسه والتوقيع بالقلم الدقيق في المظالم مائة دينار شهرياً، أّما صاحب الباب[٢]فكان يتقاضى راتباً شهرياً قدره مائة وعشرين ديناراً، ولكل من السيف[٣] وحامل الرمح[٤]، سبعين ديناراً، ولكل من أزمة العساكر والسودان مائتان وخمسون ديناراً إلى أربعين ديناراً إلى ٣٠ديناراً.

---

[١] هو من موظفي القصر الكبار ويتولى الإشراف على نظام المجلس الذي يجلس فيه الخليفة (الجلوس العام في المواكب) واخطار رجال الدولة بحضور الخليفة وجلوسه على سرير الملك، وكان يتميز بين موظفي البلاط بلقب "أمين الدولة". ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٤٨٥؛ المقريزي، الخطط، ج١، ص٤٧٥؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٢، ص٤٦٠؛ ابن ميسر، اخبار مصر، ص٩٠؛ ماجد، عبد المنعم، نظم الفاطميين، ص٢٩.

[٢] صاحب الباب: وهو على رأس رجال الحاشية ورتبته رتبة الوزير، ويقال لها "الوزارة الصغرى". ينظر: القلقشندي، صبح الاعشى، ج١، ص٤٢٦.

[٣] وهم فرقتان: الأولى: ويطلق عليها اسم "الركابية" ويطلق عليها أيضاً اسم "صبيان الركاب الخاص" وكان عددهم يزيد على الف رجل، يمشون في المواكب كجناحين حول الخليفة، وقد تقلدوا السيوف، أّما الفرقة الثانية: فيطلق عليه اسم صبيان الخاص وكان عددهم خمسمائة فارس ويختارون من بين أولاد الموظفين والأمراء المتوفين. ينظر: القلقشندي، صبح الاعشى، ج٣، ص٤٨٤؛ المقريزي، الخطط، ج١، ص٤٤٦.

[٤] لا توجد معلومات دقيقة عنهم إلا أنهم من الواضح كانوا يقفون وراء الخليفة عند جلوسه المجالس العامة وهم بمثابة الحراس الشخصيين ولا يقل عطاؤهم الشهري عن حاملي السلاح "السيوف" في المواكب. ينظر: ابن ميسر، أخبار مصر، ص٩٠؛ ماجد، عبد المنعم، نظم الفاطميين، ص٢٩.

أمّا المرتبة الرابعة: فكان قاضي القضاة[١]، يتقاضى راتباً شهرياً قدره مائة دينار، ولداعي الدعاة[٢] مائة دينار شهرياً، ولكل من خطباء الجوامع من عشرين ديناراً إلى عشرة دنانير، ولكل من الشعراء[٣] عشرين ديناراً إلى عشرة دنانير.

أمّا المرتبة الخامسة: فيأتي أرباب الدواوين وأولهم متولي ديوان النظر وله في الشهر سبعون ديناراً[٤]، ولمتولي ديوان التحقيق خمسون ديناراً[٥]، ولمتولي ديوان

---

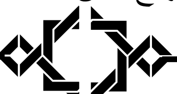
[١] عند وصول الفاطميين مصر، أصبحت القاهرة حاضرة الدولة مثلها مثل بغداد وقرطبة مقر كبير القضاة (قاضي القضاة) فقبلهم لم يكن يوجد غير قاضٍ بسيط يعين من قبل الخليفة في بغداد، ولكن للمرة الأولى في مصر، ظهرت وظيفة قاضي القضاة، وبذلك صارت رتبته أعلى من جميع القضاة الآخرين، وعهد الخليفة فاطمي العزيز بالله (٣٦٥-٣٨٦هـ)/(٩٧٥-٩٩٦م) ظهر لقب قاضي القضاة، في الديار المصرية فمثلاً كان دخل قاضي القضاة عبد الحاكم بن سعيد القارضي (٢٠٠.٠٠٠)دينار سنوياً. للمزيد ينظر: الكندي ، الولاة والقضاة، ص٣١٦؛ ابن حجر، شهاب الدين بن علي العسقلاني (ت٨٥٢هـ/١٤١٩م) ، رفع الأصر عن قضاة مصر ، تحقيق عبد المجيد ذياب الإدارة العامة للثقافة ، وزارة التربية والتعليم ، القاهرة ، ١٩٥٧م، ج١، ص٢١٠؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٥٢٦؛ المقريزي، الخطط، ج١، ص٤٠١؛ عفيفي، محمود إبراهيم عبد الله، مظاهر الحضارة في بلاد المغرب والقاهرة، ١٩٨٠، ص١٠٢؛ سرور، جمال الدين، مصر في عهد الدولة الفاطمية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، لات، ص٢١٤.

[٢] أطلقت لفظة داعية في أواخر القرن الثالث الهجري، السابع الميلادي في أثناء الدعوة الفاطمية وذلك على دعاة المذهب الفاطمي، وأطلقت على كل من ينادي بشرعية حق أسرة معينة في امامة المسلمين، ولم يكن العباسيون يعرفون لقب داعي الدعاة مع إنهم كانت لهم دعوة مماثلة في أول حركتهم وعلى ذلك لم يكن لقب داعي الدعاة معروف قبل الفاطميين، كما اختفى بزوالهم. ينظر: القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، ج١، ص١٠٤؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ج٣، ص٣٣٤؛ الكندي ، الولاة والقضاة ، ص٥٨٧ ؛
Ivanow The Organization,of the Fatimide, Propaganda, d.B.R.A., 1939, P.1-10.

[٣] وهم جماعة كثير لهم رواتب ثابتة، ونجد من بينهم شعراء من كل مذهب، فكان الشعراء أيام الدولة الفاطمية يؤدون دوراً مهماً. وجاد الخلفاء الفاطميون بالعطايا واغدقوا الأموال عليهم، فمدوهم بغرر المدائح وعيون الشعر، أمثال الشاعر ابن هانئ وديوانه. للمزيد ينظر: المقريزي، الخطط، ج١، ص١-٤؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ج٣، ص٤٩٧؛ الباشا ، حسن وعبد الرحمن = =فهمي وآخرون ، القاهرة – تأريخيها – فنونها – آثارها ، مؤسسة الأهرام ، مصر ، لات ، ص٤٥٨ .

[٤] ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص٧٩-٨٠.

[٥] المصدر نفسه، ص٨١؛ المخزومي، المنهاج، ص٤٦.



المجلس أربعون ديناراً [1]؛ ولصاحب دفتر المجلس خمسة وثلاثون ديناراً [2]، ولكتابه خمسة دنانير، ولمتولي ديوان الجيش أربعون ديناراً [3]. وللموقع بالقلم[4] الجليل ثلاثون ديناراً، ولكل معين عشرة دنانير وفيهم من له سبعة وخمسة دنانير [5].

أمّا المرتبة السادسة: وهم المستخدمون[6] بالقاهرة وفي خدمة الموالين، ولكل منهم خمسون ديناراً، ولحماة الأهراء[7]، والمناخات[8] والجوالي والبساتين والاملاك ولكل واحد منهم مايقوم به من عشرين ديناراً إلى خمسة عشر إلى عشرة إلى خمسة دنانير.

أمّا المرتبة السابعة: وهم الفراشون[9] القائمون بخدمة القصور ويبلغ رسم جميع خدماتهم ثلاثين ديناراً ومنهم برسم خدمة الخليفة خمسة عشر ديناراً، ومنهم صاحب المائدة وحامي المطابخ[1].

---

[1] الأرمني ، تاريخ الكنائس والأديرة، ص٣٣، ٤٣.

[2] المصدر نفسه ص٣٣، ٤٣؛ ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص٣٣، ٤٣.

[3] ابن الطوير، المصدر نفسه، ص٧٥.

[4] وتعرف وظيفته أيضاً بالخدمة الصغيرة لأنه يلي في وظيفته الموقع بالقلم الدقيق وهو الذي يقوم بدور الواعظ والمؤدب والمعلم للخليفة ولبعض أفراد أسرته، وكان الموقع بالقلم الجليل مهمته صياغة مايوقع به صاحب القلم الدقيق على المظالم قبل عرضها على الخليفة. ينظر: خسرو، ناصر ، سفرنامة، ص١٨٥؛ المقريزي، الخطط، ج١، ص١٤٨.

[5] المسبحي، أخبار مصر، ص١٢-١٥.

[6] المستخدمون بالقاهرة ومصر: المقصود بهم هنا موظفو الدولة المعينون من قبل الخليفة لتولي أمور الدولة المهمة بمصر والقاهرة؛ المقريزي ، الخطط ، ج١، ص٤٠٢.

[7] الأهراء: هي أماكن خصصت لتخزين الغلال والاتبان الخاصة بالماشية والبضائع التي تخص الطواحين؛ القلقشندي ، صبح الأعشى، ج٣، ص٤٧٩؛ المقريزي ، الخطط ، ج١، ص٤٦٤؛.

[8] المناخات: هي ساحات تواجه المخازن ليبرك فيها البعير أي (يستناخ) حتى يضع أحماله أو يحمل من المخازن مايريدون. المقريزي ، الخطط ، ج٢، ص٤٩٥ .

[9] الفراشون بالقصور: وهم عددهم كبير يخدمون القصور وينظفونها ومنهم ما يقوم بمهام خدمة الخليفة في الولائم "الأسمطة". ينظر: المقريزي، الخطط، ج١، ص٤٢١؛ اتعاظ الحنفا، ص٧٢٩؛ ماجد، نظم الفاطميين، ص٨٤.

أمّا الرشاشون[٢] داخل القصر وخارجه ولهم عرفاء ويتولى أمرهم أستاذ من خواص الخليفة وهم كثر وبرسم كل واحد منهم نحو عشرة دنانير إلى خمسة[٣].

أمّا في المرتبة الثامنة: فيأتي فيها صبيان الركاب[٤] وهم يزيدون عن الألفي رجل ولهم اثنى عشر مقدم، أكبرهم مقدمو الركاب ومقدم المقدمون منهم صاحب ركاب الخليفة الأيمن، ولكل من المقدمين في الشهر خمسون ديناراً، وصبيان الركاب أربع جوق، جوقة لكل منهم في الشهر عشرون ديناراً، ويليهم من له خمسة عشر ديناراً ثم عشرة ثم خمسة دنانير، وهم يندبون إلى الاعمال ويحملون المخلفات لركوب الخليفة في الأعياد والمناسبات[٥].

وكان لنقيب الأشراف "وهو شيخ نقابة الطالبيين المشرف على مصالح الاشراف من نسل الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) وينظر في أقارب الخليفة المباشرين، فكان يسهر على أن لايرتكب أحدهم مايخالف الشرف، وينظر في

---

[١] وهي وظيفة جليلة عند القائمين بخدمة الخليفة، حيث انشأ الخليفة العزيز بالله المطابخ خارج القصر، وتفصل به عن طريق ممر تحت الأرض، فكان فيها خمسون طاهياً يعملون بصورة دائمية لتحضير الطعام للخليفة والموظفين. ينظر: القلقشندي، صبح الاعشى، ج٣، ص٤٨٠ المقريزي، الخطط، ج١، ص٤٦٢؛ اتعاظ الحنفا، ص٧٦٩.

[٢] مجموعة من خدم القصر يبلغ عددهم ثلاثمائة رجل من أجل الخدمة خارج القصر، ومهمتهم نظافة الحدائق المحيطة بالقصر ورش المياه حوله، وكان يتولى أمرهم أستاذ من خواص الخليفة. القلقشندي، صبح الاعشى، ج٣، ص٤٨٠ ؛ المقريزي، الخطط، ج٢، ص٤٤٣؛ اتعاظ الحنفا، ص٧٦٩؛.

[٣] المقريزي، اتعاظ الحنفا، ص٧٦٩؛ الحجي : حياة ناصر : أحوال العامة في حكم المماليك (دراسة في الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية،ط١ ، دار الكويت ، ١٩٨٤م، ص٢١٠.

[٤] صبيان الركاب: فرقة من حرس الخليفة يزيد عددهم على الفي رجل، ولهم إثنا عشر مقدم، ولهم ملابس تميزهم عن بقية فرق الحرس، حيث يرتدون في المواكب الرسمية العمائم الكبيرة ويشدون أوساطهم بالمناديل ويشهرون سيوفهم المذهبة المصقولة في أيديهم، وهم يسيرون حول الخليفة كأنهم جناحان ولا يتركون مكاناً يستطيع أحد أن يصل إلى الخليفة منه. ينظر: المقريزي، الخطط، ج٢، ص٢٤٤ ؛ ابن ميسر ، أخبار مصر ، ج٢ ، ص٩٠ .

[٥] المقريزي، اتعاظ الحنفا، ص٧٦٩.

أمورهم، ويمنع من يدخل فيهم من الادعياء"[١]. وله اثنى عشر نقيباً، ويخلع عليه، فيسير بالطبل والبوق والبنود مثل الأمراء، وله ديوان ومشارف وعامل ونائبه وراتبه في الشهر عشرون ديناراً ولمشارف ديوانه عشرة دنانير، ولنائبه في النقابة ثمانية دنانير، وللعامل خمسة دنانير[٢].

أمّا المحتسب[٣] فكان له عدد من النواب بالقاهرة ومصر وسائر الاعمال، ويجلس بجامع القاهرة ومصر يوماً بعد يوم، وتطوف نوابه على أرباب المعايش ويخلع على المحتسب ويقرأ سجله على منبر الجامع، فقرأ سجلاً على منبر جامع عمرو بن العاص[٤]، وكان المحتسب يعلق على دكة الحسبة السوط والدرة والطرطور ليخاف منها القلوب المفسدة[٥].

وكانت في العصر الفاطمي خدمة يقال لها النيابة[٦]. ومتوليها يتلقى الرسل الواردين من الملوك وكانت لمتوليها نائب، ومن خواصه أنه ينعت كل من يتولها

---

[١] ابن منظور ، لسان العرب ،ج٢،ص٧٧٠ ، مادة نقب ؛ المقريزي، المصدر نفسه، ص٧٦٨ ؛ الأنباري ، عبد الرزاق ، تاريخ الدولة العربية ، ص٤٨١.

[٢] القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٤٨٥؛ ماجد، نظم الفاطميين، ص٣٣.

[٣] المحتسب في العصر الفاطمي له عدة مهام يقوم بها فهو الذي ينذر معلمي الصبيان أن لا يضربوا الصبيان ويمنع تزاحم الطرقات ويلزم رؤساء المراكب أن لا يحملوا مراكبهم أكثر من الحمولة العادية ويحذر معلمي العوم من التغرير بالأولاد واغراقهم، وله دار تسمى دار العيار، وينظر في المكاييل والأوزان وينظر في الصيرفة وكل مايمس الحياة المدنية والمحافظة على الآداب العامة. ينظر: الكندي، الولاة، ص٤٢٣؛ الماوردي، الاحكام السلطانية، ص٦٧؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ص٧٧٠؛ القوصي، عطية، الحضارة الإسلامية، دار الثقافة العربية، القاهرة، ١٩٨٥م، ص٤٨.

[٤] المقريزي، اتعاظ الحنفا، ص٧٧٠.

[٥] الشيرزي، نهاية الرتبة، ص١٠٨.

[٦] النيابة أو النيابة الشريفة: وهو الذي ينوب عن صاحب الباب في استقبال ضيوف الدولة، وسمي متولي دار الضيافة "بالنائب" فكان يعمل لكل منهم سجل يذكر فيه كل ما يتعلق بالضيف وكانت مهتمه أيضاً إرشاد الرسل وتعليمهم ما يقولون في حضرة الخليفة، واذا غاب النائب كان هناك من يخلفه في وظيفته إلى حين عودته، وكان يمنع على النائب تقديم هدية إلى الضيوف أو قبولها إلا بإذن الخليفة. المقريزي، الخطط، ج١، ص٤٢٧؛ اتعاظ الحنفا، ص٧٧٠؛ مشرفة، مصطفى عطية، نظم الحكم في عهد الفاطميين، ص١٠٥.

بـ"غذى الملك" وله النظر في دار الضيافة ويعرف اليوم ب"المهندار" وكان يتقاضى في الشهر خمسين ديناراً، وفي كل يوم نصف قنطار خبز مع بقية الرسوم، لأن هذه الوظيفة شبه دبلوماسية.

أمّا في عهد الخليفة الآمر بأحكام الله سنة (٤٩٥-٥٢٤هـ/١١٠١-١١٣٠م) وعند تولي المأمون البطائحي الوزارة له، توسعت نفقات الدولة فيما يخص الانفاق على جهات مختلفة، فقد بلغت رواتب الخاص ومايختص بالقصور من المستخدمين والحواشي والكتاب وصبيان الخاص، وهو ما تشتمل عليه جريدة المطابخ بما فيه من المواسم والأعياد وشهر رمضان والركوبات الدائمة في يومي السبت والثلاثاء، سبعة وخمسين الف دينار[١]، ومقرر الوزارة في الشهر عيناً من بيت المال ثلاثة آلاف دينار[٢].

ثانيا- نفقات القصر الفاطمي:

عند وصول الخليفة الفاطمي المعز لدين الله إلى القاهرة سنة ٣٦٢هـ/٩٧٢م هو وأسرته وأتباعه وغلمانه وعبيده، استقر في القصر الذي ابتناه له وأثثه القائد جوهر الصقلي واتخذ المعز عرشه حيث يصفه أحد المؤرخين قائلاً: "انه كان به من الذهب ما يزن ١١٠.٠٠٠ ألف مثقال، كما كان ما رُصع به من الستر ١.٥٦٠ قطعة من الجواهر المختلفة الألوان، -وكان هذا الستر- من عمل الوزير اليازوري موضوعاً قبالة العرش، وقد حلي بما زنته ٣٠٠.٠٠٠ الف مثقال من الذهب الخالص"[٣].

ولما حضر المعز من بلاد المغرب ودخل القاهرة كان يحمل معه توابيت آبائه الذين دفنوا في المغرب فدفنهم بالقصر الكبير في مقبرة جليلة أعدت لهم كانوا يسمونها تربة الزعفران، أو التربة المعزية، وبها دفن المعز وكافة الخلفاء الفاطميين

---

[١] المقريزي، المقفى الكبير، ج٦، ص٤٨٦.

[٢] المصدر نفسه، ج٦، ص٤٨٦.

[٣] المقريزي، الخطط، ج١، ص٣٥٨-٣٨٦؛ أحمد، منصور: الحضارة العربية الإسلامية (الشرق الأوسط في مركب الحضارة)، مكتب النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٠م، ج٣، ص٢٧٠.

وكان لهذه المقبرة حرمة ووقار يزورها الخلفاء وينزلون عندها في المواكب العامة وكانت داراً عامرة ملئت سقوفها بالتنانير وقناديل الذهب وسلاسل الفضة وقد قومت بخمسين الف دينار[١].

وكان هناك الإيوان الخاص باستقبال الرسول الآتي من البلدان الأخرى، وقد نقل كل تلك الجواهر إلى ذلك الإيوان وعلق على جدرانه، فغدا الإيوان كله يتلألأ ببريق الذهب، وقد وضع أمام الإيوان قطعة من العسجد على هيئة درقة مرصعة بالأحجار الكريمة. فكان لانعكاس أشعة الشمس عليها بريق يخطف الأبصار ويضيء ما حولها[٢]. وان ثروة مصر الفاطمية في ذلك لا تضاهيها ثروة أخرى ويتبين لنا من وصف الكسوة التي أمر بها المعز بعملها للكعبة المشرفة، وكان بعمله هذا يروم التفوق على غيره من الحكام ومنافسة القاهرة لبغداد، ففي يوم عرفه أمر الخليفة المعز بنصب الكسوة التي اتخذها للكعبة على الإيوان الذي جعله لعقد الجلسات الرسمية.

ووصف ابن ميسر[٣] ذلك بقوله: "كانت هذه الكسوة مربعة الشكل من ديباج أحمر، وسعتها مائة وأربع وأربعون شبراً، وكان في حافاتها إثنا عشر هلالاً ذهبياً، في كل هلال أترجة ذهبية، وفي داخل كل منها خمسون درة تشبه بيض الحمام في الكبر، كما كان فيها الياقوت الأحمر والأصفر والأزرق وقد نقش في حافاتها قوله تعالى: ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[٤]. وقوله تعالى: ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِن تُبْتُمْ

---

[١] جلال، إبراهيم، المعز لدين الله الفاطمي، وتشييد مدينة القاهرة، طبع ونشر دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٣م، ص١١١.

[٢] المقريزي، الخطط، ج١، ص٤١٥؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٢، ص٧٧.

[٣] أخبار مصر، ص٤٤.

[٤] سورة آل عمران، الآية ٣.

فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[1]. وقد نقشت الحروف بالزمرد الأخضر، وزينت هذه الكتابة بالجواهر الثمينة وعطرت بعطر المسك ووضعت في القصر في مكان يتسنى لجميع الناس رؤيتها من داخل القصر وخارجه[2].

-يبدو أن- الفاطميين أرادوا التفوق على الخلافة العباسية في بغداد، حيث يدل ذلك فضلاً عن الأسباب السياسية والعقائدية عن مدى الترف والبذخ وارتقاء النشاط الاقتصادي للخلافة الفاطمية، حيث يذكر عن مخصصات تبلغ قيمتها "٦٠٠.٠٠٠" ستمائة الف ديناراً أخذت من بيت المال عام ٥١٦هـ/١١٢٢م، لعمل الملابس المطلوبة لدار الكسوة التي انشأها المعز لدين الله سنة ٣٦٣هـ/٩٧٣م وبقيت حتى عام ٥٦٧هـ/١١٧١م. وهي السنة التي سقطت بها الدولة الفاطمية، وكان عدد الكسى التي منحت لموظفي الدولة على اختلاف مراتبهم سنة ٥١٦هـ/١١٢٢م كثيرة جداً وقد ذكر لنا أحد المؤرخين تنوع الملابس على اختلاف أصحابها فكانت ملابس الخليفة الآمر ٤٩٥هـ/١١١٠م، من الحرير المزركش بالذهب وقيمتها خمسمائة دينار[3]. أما كبار الأمراء فيمتازون بلبس الأطواق[4] والأساور وحمل السيوف المحلاة[5].

وقد تميز الوزير حيث لبس عقداً من الأحجار الكريمة ومنديلاً[6] يلفه تحت حلقه، وجلباباً[1] قصيراً، ودرعاً[2] مفتوحاً من النحر إلى أسفل، وازاره[3] من مشلك أو

---

[1] سورة التوبة، الآية ٣.

[2] ابن ميسر، أخبار مصر، ص٤٤؛ إبراهيم ، شحاته عيسى ، القاهرة (سلسلة الألف كتاب رقم ١٨٤) ، دار الهلال ، مصر ، القاهرة ، ص٥٦ .

[3] المقريزي، الخطط، ج١، ص٤٠٩.

[4] الأطواق ومفردها الطاق: وهو الطيلسان أو بالأحرى الطيلسان الأخضر وهو نوع من الثياب. دوزي، رينهارت، المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، ترجمة أكرم فاضل، سلسلة المعاجم، وزارة الاعلام، مديرية الثقافة العامة، بغداد، ١٩٧١م، ص٢٣٠.

[5] صبح الأعشى، ج٣، ص٤٩٠.

[6] لا وجود لهذه الكلمة في القاموس بالمعنى المراد وهي تشير إلى: أن طواقي الفرس تدعى مناديل وعمائم في اللغة التركية وهي مصنوعة من القطن أو من قماش حريري رفيع الخيوط له ألوان مختلفة وهم يلفونها عدة لفات وهي مخيطة ومقصبة بالذهب. دوزي، معجم الملابس، ص٣٥٠-٣٣٨.

لؤلؤ، وبذلك يمتاز عن سائر موظفي الدولة ومن الراجح ان بدر الجمالي أول من منح ذلك[٤].

وإذا أردنا أن نلقي نظرة عامة على القصر الفاطمي ومحتوياته لوجدناه مليئاً بما يتناسب وهيبة الدولة فقد احتوى على عدة خزائن منها: خزانة الكسوة[٥].

وخزانة الجوهر والطيب والطرائف[٦]، وخزانة البنود[٧]. وخزانة الكتب[١]، وخزانة السلاح[٢]، وخزانة التوابل[٣]، وخزانة الشراب[٤]، وخزانة الفطرة[٥]. وخزانة الأهراء

---

[١] تشير كلمة جلباب إلى الملحفة الهائلة- التي يلتحف بها النساء في الشرق- من الرأس إلى القدمين- حين يردن الخروج من منازلهن- وتشير الكلمة إلى سترة صغيرة من قماش غاية في الغلاضة لها كُمان ضيقان ومزودة بقبع كقبع الرهبان، وهذا الثوب قصير بحيث انه لا يتعدى الحزام. دوزي، معجم الملابس، ص١٠٢-١٠٤.

[٢] يفسر العرب كلمة درع بكلمة قميص، ويقول دوزي انه يجهل مايميز الدرع عن القميص، ولكن كلمة درع لاتنطبق إلا على قميص المرأة وكثيراً ما استعمل الشعراء هذه الكلمة للإشارة إلى المرأة نفسها. للمزيد ينظر: دوزي، معجم الملابس، ص١٤٤-١٤٥.

[٣] كلمة إزار في مصر تلفظ وتكتب (أيزار) وهو شملة المرأة المصنوعة على وجه العموم من الحرير الاسود أو من القطن من نفس اللون. دوزي، معجم الملابس، ص٣١-٣٩.

[٤] القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٤٩٠.

[٥] خزانة الكسوة: أو الكسوات، هناك دار للكسوة وهو عبارة عن خزانتين، الأولى الخزانة الظاهرة وهي غالباً ماكانت تتخذ مكاناً لصنع الملابس الرسمية من ثياب الخليفة والموظفين، وخزانة الكسوة الباطنية تتولاها امرأة تحت إمرتها ثلاثون جارية، حيث يغير الخليفة ملابسه عندها وتقوم بتعطير ملابس الخليفة يومياً، وكان لخزائن الكسوة ديوان يعرف بـ"ديوان خزائن الكسوة" ولصاحبه = =رتبة كبيرة ويذكر ان قيمة الإنفاق عليها بلغ ستمائة الف دينار(٦٠٠.٠٠٠) دينار وكذلك ان تذكرة الطراز في أيام الافضل بن أمير الجيوش بدر الجمالي، واحد وثلاثون الف دينار (٣١.٠٠٠) دينار، ثم اشتملت في أيام المأمون البطائحي على ثلاثة واربعين الف دينار (٤٣.٠٠٠) دينار وتضاعفت في أيام الخليفة الآمر. المقريزي، الخطط، ج١، ص٤٢٧؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٤٤٧؛ مشرفة مصطفى عطية، نظم الفاطميين، ص١٠٣.

[٦] احتوت هذه الخزانة على الجواهر والمطيبات (العطور) والاعلام التي غالباً ماكانت ترافق الخليفة عند ركوبه في الأعياد. المقريزي، الخطط، ج٢، ص٢٦٢؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٤٤٧.

[٧] خزانة البنود، ونقصد بها الرايات أو الألوية التي تتخذ للقتال شعاراً لها أو في المناسبات الدينية ومزينة بالآيات القرآنية وكان ينفق عليها في السنة من سبعين الف دينار (٧٠.٠٠٠) دينار إلى

السلطانية[٦]، ودار التعبئة[٧]، ودار العلم[٨]، وخزانة الفرش والأمتعة[١]، فضلاً عن خزائن أخرى لاتقل أهمية عن تلك الواردة الذكر، فكانت هناك خزانة السروج[٢] والمطعم[٣] والمطابخ[٤] ودار الضيافة[٥].

ثمانين الف دينار (٨٠٠٠٠) دينار من وقت دخول جوهر الصقلي إلى سنة ٣٥٨هـ وحتى نهاية الدولة الفاطمية. المقريزي، الخطط، ج١، ص٤٢٥.

[١] احتلت خزانة الكتب في العصر الفاطمي شأناً كبيراً فاحتوت على كثير من أمهات الكتب قدرت بما يزيد على مائتي الف مجلد تشتمل على أنواع العلوم المختلفة، وقد انفق الخلفاء الفاطميين أموالاً طائلة على الكتب سواء على إعادة نسخها أو اقتنائها أو اعداد قاعات خاصة بتلك الكتب والاهتمام بعمارتها من وقت لآخر. ونظراً لعشق الفاطميين لشراء الكتب فكان من عاداتهم زيارة خزانة الكتب واعطاء الشاهد والمشرف عليها عشرون ديناراً. المقريزي، الخطط، ج١، ص٤٠٨؛ حسن، حسن ، إبراهيم ، الفاطميون في مصر وأعمالهم السياسية والدينية بوجه خاص ، المطبعة الأميرية، القاهرة ، ١٩٣٢م ، ص١٣٧- ١٤٣.

[٢] ويوجد فيها الخوذ والسيوف والرماح والأسنة والقسي والنبل والدروع، واحتوت الخزانة على عمال ودهنة ومسحة، وهي من الخزائن المهمة التي كان الخلفاء يهتمون بها، وكان الخليفة الفاطمي يعطي مستخدميها خمسة وعشرين ديناراً ويخلع على المتقدم بها في المناسبات. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٤٧٧؛ المقريزي، الخطط، ج١، ص٤٠٧ .

[٣] خزانة التوابل: وهي ماتحتويه الخزانة كل أنواع التوابل وبلغ المتفق عليها كل عام ٥٠.٠٠٠ دينار. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٤٧٦؛ المقريزي، الخطط، ج١، ص٤٢٠..

[٤] وبلغ مقدار الانفاق على هذه الدار في السنة ستة آلاف وخمسمائة دينار (٦٥٠٠). القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٤٧٦ ؛ المقريزي، الخطط، ج١، ص٤٢٠؛.

[٥] يعد الخليفة العزيز بالله (٣٦٥-٣٨٦هـ)/(٩٧٥-٩٩٦م)، أول من رتب الفطرة، وأمر بان تعمل بالديوان، وتوزيعها على رجال الدولة كل حسب قدره، وبلغ حجم الإنفاق فيها عشرة آلاف دينار (١٠.٠٠٠) خارجاً عن جواري المستخدمين. المقريزي، الخطط، ج١، ص٤٢٧.

[٦] وهي الخزانة أو الدار التي وجدت لخزن مافي الأهراء من الغلال تحت يد الحكومة، وقد بلغت محتوياتها ثلثمائة ألف أردب ٣٠٠.٠٠٠ فلو جعلنا ثمن الأردب ربع دينار، فكانماينفق في ذلك ٧٥.٠٠٠ دينار في السنة. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٤٧٩؛ المقريزي، الخطط، ج١، ص٤٦٤؛

[٧] وتحفظ فيها أنواع الزهور الواردة من بساتين القاهرة والفيوم ومن الاسكندرية وكانت تحمل كل يوم وتوزع فضلاً عن قصر الخليفة إلى أقاربه ووزرائه وبعض كبار الموظفين وكان ينفق فيها عشرة دنانير في كل يوم. المقريزي، الخطط، ج١، ص٤٢٢.

[٨] دار العلم: وبلغ الإنفاق على دار العلم مائتين وخمسة وخمسين ديناراً عدا الأوقاف التي أوقفها الحاكم للدار من محابر وأقلام لطلاب العلم. المقريزي، الخطط، ج١، ص٤٤٠.

ثالثا-نفقات المؤسسة العسكرية:

أ-الجيش:

اهتم الفاطميون اهتماماً عظيماً بالمؤسسة العسكرية الضاربة سواءً كان الجيش أو الأسطول البحري أو القوة الأمنية، وقد أنفقت الدولة الفاطمية أموالاً ضخمة وبشكل أساسي على الجيش الذي كان يتألف من طوائف وعدة فرق، الأولى من السودان، والثانية من الأتراك، والثالثة من المغاربة. واختلفت أعدادهم حيث شكل السودان والأتراك خمسين ألف جندي، أمّا المغاربة فعددهم ستة وسبعون ألف جندي مقسمون على فرسان ومشاة.

وكانت الدولة الفاطمية تصرف رواتب الجند نقداً وعلى شكل وجبات، فمنذ قدوم الخليفة المعز لدين الله إلى مصر (٣٥٨هـ-٩٦٨م) تنوعت عناصر جيشه التي

---

(١) خزانة الفرش والأمتعة: وهي تحتوي على أثمن الفرش وأجملها وكان الخليفة يحضر اليها من غير جلوس ويطوف فيها، وكان الخليفة كل مامر على تلك الخزانة اعطى مستخدميها خمسة عشر ديناراً. المقريزي، الخطط، ج١٢ ص٢٦٦.

(٢) وهي قاعة كبيرة في القصر تحتوي على السروج واللجم وسائر آلات الخيل وكان فيها عمال من طرازين وصاغة. المقريزي، الخطط، ج٢، ص٤٢٠.

(٣) وهي خزانة كبيرة تحتوي على السكر والعسل والفستق والزيت والعسل والشمع وغير ذلك. المقريزي، الخطط، ج٢، ص٢٧٠.

(٤) المطابخ: هي أيضاً من محتويات القصر الفاطمي المهمة التي أوجدها الخليفة العزيز بالله، حيث انشأها خارج القصر وتتصل به عن طريق ممر تحت الأرض، فكان فيها خمسون طاهياً يعملون بصورة دائمية لتحضير طعام الخليفة والموظفين. ناصر خسرو، سفرنامة، ص١٨٥؛ المقريزي، الخطط، ج١، ص٤٢٣.

(٥) دار الضيافة: وهي الدار المخصصة لاستقبال السفراء والوفود القادمين إلى الدولة الفاطمية من الدول الأخرى. المقريزي، الخطط، ج٢، ص٤٦٩.

تكونت من الكتاميون[١]، وهم من القيروان حضروا لخدمة الخليفة المعز لدين الله وعددهم عشرون الف فارس وكانوا يمثلون طوال الحقبة الأفريقية العنصر المتفوق داخل الجيش الفاطمي، حيث احتاج الفاطميون إلى عصبية يعتمدون عليها في توطيد أركان دولتهم، فاعتمدوا على بربر كتامة وعهدوا لهم بالقيادات الهامة[٢].

أما العنصر الآخر فكان من الصقالبة[٣]، حيث جاء معظمهم من بلاد البلقان أو من البندقية إثر الغارات التي يقوم بها العرب أو نتيجة الأسر أثناء المعارك مع البيزنطيين الذين كان جيشهم يضم عدداً من الصقالبة[٤]، أدى الصقالبيون دوراً كبيراً لا يقل عن دور أهل كتامة.

أما العنصر الرابع للجيش الفاطمي فيسمى بـ"الزويليون"[٥] ينسبون إلى زويلة قاعدة إقليم فزان بالقرب من بلاد الكانم "تشاد الحالية" وكانوا يؤلفون داخل الجيش الفاطمي فيلقاً خاصاً كما كانوا يمثلون العبيد السود داخل الجيش الفاطمي.

أما العنصر الآخر فكان العنصر العربي فهو يمثل بقايا الجنود الإفريقيين بعد زوال حكم الأغالبة وهم في الحقيقة يمثلون الأقلية في الجيش الفاطمي أطلق عليهم اسم الجنود أو "أهل أفريقية"[٦]. وقد إنضمت فرق أخرى في تنظيمات الجيش

---

[١] النعمان، المجالس والمسايرات، ص٥٤٤ ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج١، ص١٠٧؛ ؛ موسى، لقبال محمد، دور قبيلة كتامة في تاريخ الدولة الفاطمية، القاهرة ، مطبعة الجامعة، ١٩٧٤، ص١٩٩؛ حسن، علي إبراهيم، تاريخ جوهر الصقلي، ص٢٧.

[٢] النعمان، المجالس والمسايرات، ص٩٦، ٢٠٣، ٢١٨.

[٣] الصقالبة : أجناس مختلفة مساكنهم بالحربي إلى شَلُو في المغرب وبينهم حروب ولهم ملوك منهم من ينقاد إلى دين النصرانية ومنهم لا كتاب له ولا شريعة، واشجعهم جنس يقال السري يحرقون أنفسهم بالنار إذا مات منهم ملك أو رئيس . ينظر : النعمان، المجالس والمسايرات، ص٥٤٤ ياقوت ، معجم البلدان ، ج٣، ص٤١٦.

[٤] سيد، أيمن فؤاد، الدولة الفاطمية في مصر، ص٦٥٨.

[٥] وهم من قبيلة زويلة، جاءت بصحبة القائد جوهر سنة ٣٥٨هـ/٩٨٦م عند دخوله مصر، وقد سميت باسمهم حارة زويلة، بعد بناء جوهر القاهرة. ينظر: خسرو، ناصر، سفرنامة، ص٩٩، ص٣٧؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٤٠٢؛ المقريزي، الخطط، ج٢، ص٤٤٤؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٤، ص٥٢؛ هوبكنز، النظم الإسلامية ، ص١٤٠-١٤١.

[٦] سيد، أيمن فؤاد، الدولة الفاطمية، ص٦٦٠.

الفاطمي جاءت نتيجة التحديات التي واجهها الفاطميون، وكان لابد من إدخال الإصلاح داخل المؤسسة العسكرية.

إن الجيش الفاطمي لم يمتلك أسلحة متطورة في بداية أمره في ذلك العصر، فمثلاً كان الكتاميون لايستخدمون القوس المركب كسلاح، فكان غياب رماة السهام من القوس المركبة بين صفوف جيش الفاطميين يعوق كفاءة هذا الجيش العسكرية ويلحق الهزيمة به[1]، وحتى يتغلب الخليفة الفاطمي العزيز بالله على مواجهة التحديات لجأ إلى تطعيم جيشه بمجموعات أخرى وقد وصف الرحالة ناصر خسرو العرض العسكري الذي شاهده في القاهرة سنة ٤٤١هـ/١٠٤٩م بمناسبة الاحتفال بركوب فتح الخليج، يعبر عن فرق الجيش الفاطمي وتنظيمها، قائلاً "وحين يركب السلطان يصطف عشرة آلاف فارس، على خيولهم سروج مذهبة، وأطواق وألجمة مرصعة، وجميع لبد السروج من الديباج الرومي والبوقلمون، نسجت لهذا الغرض خاصةً، فلم تفصل ولم تُخط، وطرزت حواشيهم باسم سلطان مصر، وعلى كل حصان درع أو جوشن، وعلى قمة السرج خوذة وجميع أنواع الأسلحة الأخرى.

في ذلك اليوم، يخرج جيش السلطان كله، فرقة فرقة، وفوجاً فوجاً فرقة تسمى "الكتاميين"[2]، وهم من القيروان، أتوا في خدمة المعز لدين الله، وقيل إن عددهم عشرون ألف فارس.

وفرقة تسمى "الباتلين" وهم رجال من المغرب دخلوا مصر قبل مجيء السلطان إليها، وقيل أن عددهم خمسة عشر الف فارس.

وفرقة تسمى "المصامدة" وهم سود من بلاد المصامدة، وقيل إن عددهم عشرون ألف رجل.

---

[1] المسبحي، نصوص ضائعة من أخبار مصر، ص١٣؛ المقريزي، الخطط، ج١، ص٤٥١.

[2] المقيريزي ، الخطط ، ج١، ص٩٤ ؛ لقبال ، موسى ، دور قبيلة كتامة في الدولة الفاطمية، مجلة الثقافة الجزائرية، العدد١٢، لسنة ١٩٧٣م، ص٤٥ .

وفرقة تسمى "المشارقة" وهم ترك وعجم، وسبب هذه التسمية أن أصلهم ليس عربياً، ولو أن أكثرهم ولد في مصر، وقد اشتق اسمهم من الأصل، وقيل أنهم عشرة آلاف رجل وهم ضخام الجثة.

وفرقة تسمى "عبيد الشراء"[١] وهم عبيد مشترون، وقيل أن عددهم ثلاثون ألف رجل.

وفرقة تسمى "البدو" وهم من أهل الحجاز، يقال لهم الرماة وهم خمسون الف فارس.

وفرقة تسمى "الأستاذين" كلهم خدم بيض وسود، اشتروا للخدمة، وهم ثلاثون ألف فارس.

وفرقة تسمى "السرائيين" وهم مشاة جاؤوا من كل ولاية ولهم قائد خاص، يتولى رعايتهم، وكل منهم يستعمل سلاح ولايته وعددهم عشرة آلاف رجل.

وفرقة تسمى "الزنوج" يحاربون بالسيف وحده، وقيل إنهم ثلاثون ألف رجل.

ونفقة هذا الجيش كله من مال السلطان، ولكل جندي منه مرتب شهري على قدر درجته، ولايجبر على دفع دينار منها أحد الرعايا أو العمال، والذين يسلمون للخزانة أموال ولايتهم سنة فسنة، وتصرف أرزاق الجند من الخزانة في وقت معين، بحيث لايرهق والٍ أو واحد من الرعية بمطالبة الجند"[٢].

ويتضح من ذلك ان الجيش الفاطمي النظامي فقط دون القوة الأمنية الداخلية بلغ "٢١٥.٠٠٠" ألف جندي وهذا الرقم هائل إذا ماقارناه بحجم الصرف ومقدار ما ينفق عليه كل شهر، فلا لاشك يكلف بيت المال مبالغ طائلة سواء كراتب شهري أو تجهيزه بالسلاح والعتاد. فضلاً عن قيام الدولة الفاطمية بشراء المماليك[٣] حيث كانوا

---

[١] المقريزي ، المصدر نفسه ، ج١، ص٩٤.

[٢] خسرو، ناصر ، سفرنامة، ص٩٣-٩٥.

[٣] كان المصدر الأول للمماليك بلاد الأتراك ثم أواسط آسيا ثم امتدت مصادرهم لتشمل بلاد غرب آسيا وأوربا وبحر البلطيق، ولذا غلبت عليهم تسمية الأتراك. ينظر: فايد، حامد عاشور، العلاقات السياسية بين المماليك والمغول، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٤م، ص١٢-١٣؛ رزق، علاء طه، عامة القاهرة في عصر سلاطين المماليك، ط١، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، دمياط،

في حاجة إلى جيش قوي يستطيعون به حماية سلطانهم، فلجأوا إلى شراء المماليك الأتراك الذين حافظوا لهم على استقلال دولتهم واستقرار وجودهم السياسي في القاهرة لأكثر من قرنين من الزمان.

كان للمال دور فعال في الكثير من التنظيمات العسكرية، فهو فضلاً عن دوره في شراء الأسلحة والمعدات وتصنيع الآلات الحربية، فهو سلاح يستخدم في الحرب لاتقل أهميته عن المعدات، وقد أدرك الخليفة المعز أهمية القوة العسكرية، فنظمها، وأنفق عليها الأموال، ورتب قادتها، لكنه في الوقت نفسه لم يغفل أثر المال كرديف للقوة العسكرية، استخدمه بذكاء وتنظيم في كسب ولاء بعض القوى العسكرية أو تجنيدها، عندما قام بشراء انسحاب حسان بن الجراح الطائي من جيش الأعصم بـ"مائة الف دينار"[(١)]. وقد حرص المعز على رفع الروح المعنوية لجنده بالمال أولاً ،ووعدهم بالمناصب في بلاط الدولة ثانياً ،وقد فرق المعز الكثير من الأموال على جنده، حتى وصف بأن إنفاقه عليهم لايقارن بما أنفقه الخلفاء الأمويون والعباسيون وغيرهم من الملوك والسلاطين على جنودهم، فقد كان يهب الجنود من الأعطيات والأموال الشيء الكثير، وليس هذا فحسب، بل جعل الإنفاق على ذويهم أثناء غيابهم، وتكليفهم بالحملات العسكرية، وتعهد بالإنفاق الدائم على من يموت (عائلهم) بالجهاد وأمد المحاربين بالمؤن والسلاح والى غير ذلك[(٢)].

-والظاهر أن- الدعم المالي الذي أكد عليه الخليفة المعز للجند المحاربين وذويهم بهذا الشكل إنما يفسر لنا سبب مغالاة جيوشه في طاعته وإحراز الانتصارات في معظم الحملات العسكرية التي سيرهم لخوضها.

١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص١٦. وهنا نود أن نذكر ان الجيش الفاطمي كان تعداده (١٠٠.٠٠٠) رجل عندما غزا مصر. ينظر: أشتور، التاريخ الاقتصادي، ص٢٤١.

(١) ابن ظهيرة ، جار الله جمال الدين محمد بن نور الدين (ت٩٨٦هـ/١٥٧٨م) ، الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة، تحقيق مصطفى السقا وكامل المهندس ، مطبوعات دار الكتاب، لبنان، ١٩٧٩م ، ص١٨٠ .

(٢) النعمان، المجالس والمسايرات، ص٢٥٦؛ آشتور، التاريخ الاقتصادي، ص٢٤٢.

ومن الوسائل الأخرى التي اتبعها المعز لتكريم جنده تظمينهم[١] قسماً من أملاكه العامة من الأراضي التي استحوذ عليها في مصر من أملاك الأخشيديين لاسيما أولئك الذين أثبتوا كفاءة عالية وولاء للدولة الفاطمية[٢]. من ناحية أخرى منح المعز قادته هدايا قّيمة تقديراً لجهودهم العسكرية، ويظهر ذلك عندما أهدى بلكين[٣] سيفه ولباسه وأربعين فرساً بسروج محلاة بالذهب وأربعين صندوقاً مليئة بأحسن الثياب إثر انتصاره في الحملة الثانية لاخضاع المغرب سنة ٣٦٠هـ/٩٧٠م[٤]. واتبع الأمر نفسه مع القائد جوهر، فبعد وصوله القاهرة "خلع على جوهر خلعة مذهبة، وعمامة حمراء، وقلده سيفاً، وقاد بين يديه عشرين فرساً مسرجة ملجمة، وحمل بين يديه خمسين الف دينار، ومائتي الف درهم وثمانين تختاً من الثياب"[٥].

ب- الأسطول البحري :

اهتم الخليفة المعز لدين الله بأمر الأسطول البحري وعمل على تطويره لأنه يعد من المقومات العسكرية للدولة الفاطمية خاصة وموقعها الجغرافي يؤهلها لذلك فضلاً عن موقعها البحري الذي يفرض عليها الاستعداد الدائم للمواجهة البحرية بأسطول بحري قوي على استعداد دائم للمواجهة ولحماية سواحل الدولة الفاطمية من أنطاكيا إلى الاسكندرية من غارات البيزنطيين[٦].

---

[١] لم يكن في الدولة الفاطمية بديار مصر ولا فيما مضى قبلها من دول أمراء مصر لعساكر البلاد اقطاعات بمعنى ماعليه الحال في أجناد الدولة التركية [المملوكية]، وإنما كانت البلاد تضمن بقبالات معروفة لمن شاء من الأمراء والأجناد والوجوه وأهل النواحي من العرب والقبط وغيرهم. المقريزي، الخطط، ج١، ص٨٥.

[٢] المقريزي، الخطط، ج١، ص٨٥؛ مشرفة، مصطفى عطية، نظم الحكم، ص١٨٦.

[٣] بلكين ، أبو الفتح يوسف بلكين بن زيري رئيس قبيلة صنهاجة وقد ولاه المعز لدين الله حكم بلاد المغرب عدا صقلية وطرابلس سنة٣٦١هـ/٩٧١م، توفي سنة٣٧٣هـ/٩٨٣م. ينظر ابن الأثير، الكامل،ج٧، ص١٢١ .

[٤] المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج١، ص١٣٩.

[٥] المقريزي، اتعاظ الحنفا ، ج١، ص١٣٩.

[٦] مؤنس ، حسين ، أطلس تاريخ الاسلام، مصر ، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧، ص١٠٤.

ويذكر لنا ابن الطوير ذلك بقوله : "ولهذا أصبح من الضروري أن يكون للبلاد اسطول قوي يذود عن سواحلها خاصة، وقد أخذ البيزنطيون في تهديد بلاد الشام واستولوا على بعض مدنها الكبرى أمثال أنطاكيا وحلب"[١]. فقويت العناية بالاسطول في مصر حيث اقتدى به من جاء بعده، وقد وضح ذلك ابن الطوير وهو يتحدث عن اهتمام وعناية الفاطميين بالأساطيل وحفظ الثغور قائلاً : "وأما اهتمامهم بالأساطيل والأجناد وحفظ الثغور واعتناؤهم بأمر الجهاد فكان من أهم أمورهم، وأجل ما وقع الاعتناء به عندهم، وكانت أساطيلهم مرتبة بجميع بلادهم الساحلية كالاسكندرية ودمياط[٢] من الديار المصرية وعسقلان[٣] وعكا[٤] وصور[٥] وغيرها من سواحل الشام حين كانت بأيديهم قبل أن يغلبهم عليها الفرنج"[٦].

– والظاهر أن– اهتمام المعز بإنشاء الأسطول البحري لم يكن فقط لصد هجمات الروم والقرامطة على مصر وإنما كان اهتمامه أبعد من ذلك وهي رغبته في بسط نفوذه على البلاد التي كان يتخذها الأعداء طريقاً للإغارة منه على مصر،

---

[١] نزهة المقلتين، ص٩٥؛ مشرفة، مصطفى عطية، نظم الحكم في عهد الفاطميين، ص١٨٠.

[٢]نزهة المقلتين، ص٩٥؛ مشرفة، مصطفى عطية، نظم الحكم في عهد الفاطميين، ص١٨٠.

[٢] دمياط: مدينة قديمة بين تنيس ومصر وعلى زاوية من بحر الروم والنبل، طيبة الهواء، وهي ثغر من ثغور الاسلام. ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٤٦٥.

[٣] عسقلان: وهي مدينة بالشام من أعمال فلسطين على ساحل البحر بين غزة وبيت جبرين ويقال لها عروس الشام وهي غير عسقلان القرية من قرى بلغ. ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص١٢١.

[٤] عكا أو عكه: بلد على ساحل بحر الشام من عمل الأردن وهي من أحسن بلاد الساحل، وهي مدينة حصينة كبيرة الجامع فيها غابة و.... ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص١٤٣.

[٥] صور: مدينة مشهورة سكنها خلق من الزهاد والعلماء وكان من أهلها جماعة من الأئمة كانت من ثغور المسلمين وهي مشرفة على بحر الشام. ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٤٣٣.

[٦] ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص٩٥.

فضلاً عن اتخاذه قوة عسكرية مقتدرة قد يستطيع بوساطتها التوجه إلى بغداد حاضرة العباسيين[١].

بلغ عدد مراكب الاسطول الفاطمي في خلافة المعز ما يزيد عن ستمائة مركب بحري مابين شواني[٢] بحرية ومسطحات وحمالات ومراكب نيلية، وقد وصفت بأنها لمّ ير مثلها فيما تقدم كبراً ورشاقة وحسناً "[٣] وقد شاهد الرحالة ناصر خسرو السفن التي حضر بها المعز إلى مصر سنة ٣٦٢هـ/٩٧٣م في مكان قرب القاهرة، وهي سبع سفن طول الواحدة مائة وخمسون ذراعاً وعرضها سبعون[٤]. وقد بلغ عدد السفن في أواخر الدولة الفاطمية (١٠) شواني عليها عشرة آلاف مقاتل والاسطول التجاري النهري الذي يحمل الغلال السلطانية والاحطاب الذي تألف من (٥٠)عشارياً [٥]، و(٢٠)ديماساً .

وقد جرت العادة عند دفع نفقات الاسطول، أن يحضر الخليفة ويجلس الوزير إلى جواره، ويحضر صاحب ديوان الجيش، ويجلس بداخل عتبة المجلس، ويجلس كاتب الجيش إلى جانبه تحت العتبة على حصر مفروشة، ويفرش أمام المجلس مائة من البحارة كل بحسب نوع عمله، فيقفون بين يدي الخليفة، ويقرأ مستوفي الجيش أسماؤهم واحداً واحداً من الكشوف التي دونت بها، فإذا نودي اسم البحار عبر إلى

---

[١] جاءت رغبة المعز لدين الله لسيطرته على بغداد من خلال مخاطبة سفير الروم في مصر قائلاً له: أتذكر إذ أتيتني رسولاً وأنا بالمهدية، فقلت لك، لتدخلن علي وأنا بمصر مالكاً لها، قال نعم: قال، وأنا أقول لك لتدخلن علّي ببغداد وأنا خليفة". المقريزي، اتعاظ الحفاظ، ج١، ص٢٢٦.

[٢] الشواني: وهي السفن الكبيرة الحجم تستعمل لحمل الأبراج الكبيرة والعتاد الثقيل ولعلها أشبه بالبوارج الحربية الضخمة التي تستعمل الآن، وكانت الشواني تسير بمائة واربعين مجدافاً . ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص١١٦؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٥١٩؛ النخيلي درويش ، السفن الإسلامية على حروف المعجم، جامعة الاسكندرية، ١٩٧٤م، ص٨٣.

[٣] خسرو، سفرنامة، ص٤٧؛ المقريزي ، السلوك لمعرفة الملوك، ج١، ص٤٥؛.

[٤] سفر نامة، ص٨٧.

[٥] العشاريات: نوع من السفن الصغيرة الخفيفة الملحقة بالاسطول الحربي لنقل المسافرين فيها إلى الساحل، أو لنقل الغلال السلطانية، وكان منها ما يعرف باسم الديماس وهي خاصة برسم الخليفة للخروج بها في فتح الخليج. النخيلي، السفن الإسلامية، ص٧٦-٨٧.

الجانب الآخر، واذا بلغ عددهم عشر وزن الوزانون نفقتهم وأعطى كل واحد منهم خمسة دنانير، يساوي كل دينار ٣٦درهماً ، فإذا دفعت نفقات الجند عن آخرها، تجهزت للسفر[١].

–يبدو أن– ما يأخذه الجندي البحري هو متوسط ما دفع له لأن راتب الجندي وكما ذكرنا بين الدينارين وعشرين ديناراً، فإن متوسط راتب البحار إحدى عشر ديناراً وهذا بخلاف عمل كل حسب وظيفته، فالبحار يمكن ان يكون راتبه الشهري خمسة دنانير والقواد فيكون ما يتقاضاه أحد عشر ديناراً . إذا ما علمنا ان الدولة كانت تملك ٥٠٠٠بحاراً . وهذا يعني أنها تنفق في الشهر ما يقارب ٥٥.٠٠٠ الف دينار شهرياً .

وهناك إشارات تؤكد أن رواتب الجيش في الدولة الفاطمية كانت تدفع نقداً وعلى شكل دفعات مختلفة خلال السنة، فعند الاحتفال بتنصيب الخليفة الحاكم بأمر الله سنة ٣٨٦هـ/٩٩٦م اتفق الحسن بن عمار[٢] مع الكتاميين على أن يطلق لهم ثماني "إطلاقات" كل سنة على أساس ثمانية دنانير لكل رجل منهم، بالإضافة إلى الفضل وهو عشرون ديناراً لكل واحد دُفعت بحضرة الخليفة بوساطة (عرفائهم)[٣]، وتكرر ذلك أثناء تنصيب الخليفة الظاهر لاعزاز دين الله سنة ٤١١هـ/١٠٢٠م والخليفة المستنصر بالله سنة ٤٢٧هـ/١٠٣٥م[٤]. وأصبح ذلك تقليداً منح مال "الفضل" للجند،

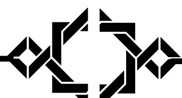
---

[١] المقريزي، الخطط، ج١، ص٤٨٣؛ حسن، ابراهيم حسن، تاريخ الدولة الفاطمية، ص٥٦٤.

[٢] الحسن بن عمار بن علي الكلبي الملقب بـ"أمين الدولة" أبو محمد: من وزراء الحاكم بأمر الله في مصر ولى الأمور والتدبير سنة ٣٨٦هـ/٩٩٦م، اغتيل سنة ٣٩٠هـ/ ٩٩٩م في القاهرة. ينظر : ابن منجب الصيرفي : أمين الدين تاج الرياسة أبو القاسم علي (ت٥٤٢هـ/١١٤٧م) ، الإشارة إلى من نال الوزارة ، القاهرة، ١٩٢٤م، ص٢٦وسوف أرمز له بالصيرفي ؛ المقريزي، الخطط، ج٢، ص٩٣؛ الزركلي، الاعلام، ج٢، ص٢٢٥.

[٣] ابن ميسر، أخبار مصر، ص١٧٨.

[٤] المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص١٢٥، ١٨٤، ١٨٥.



ثم في سنة ٤١٥هـ/١٠٢٤م طالب الرجال السودان الذين أرسلوا لحفظ مدينة تنيس "ارزاقهم"[١] .

ومهما يكن من الأمر –إن ميزانية الجيش الفاطمي والاسطول البحري كانت كبيرة جداً، إذ لو جعلنا متوسط "الجامكية"[٢] في الشهر ثمانية دنانير لبلغ المقرر شهرياً (٤٠٠٠) دينار، وهذا خلاف ماكان يطلق لرجال الاسطول من الجرايات والأقوات والكسى، ولاشك أن الميزانية كانت تزيد عن هذا الرقم في أوقات الحرب. والى جانب المؤسسات العسكرية المتمثلة بالجيش كانت هناك مؤسسة أمنية أخرى، فهي فضلاً عن تنفيذ العقوبات الطويلة الأمد التي ينطق بها الخليفة أو الوزير[٣]. فتعد الشرطة من الأجهزة الأمنية المهمة في الدولة، فهي عليها واجبات تؤديها لحفظ النظام والاستقرار الداخلي للدولة، ورد الحقوق ومعاقبة المسيء ولها في المقابل حقوق على الدولة، فقد تقاضى صاحب الشرطة راتباً من ٣٠-٥٠ دينار جيشي[٤] شهرياً . أمّا بقية أفراد الشرطة "الأعوان" فكانت رواتبهم تتراوح بين ٢٠-٥٠ دينار جيشي شهرياً حسب الرتبة[٥].

---

[١] المسبحي، أخبار مصر، ص٥٧ ؛ الصيرفي ، الإشارة إلى من نال الوزارة ، ص٩٣.

[٢] الجامكية: مشتقة من جامكي أي ثوب بالفارسية، وكان المقصود بها في الأصل النقود اللازمة لشراء الثياب، ثم صارت تطلق على الأجر أو الراتب، لاسيما الذي كان يتناوله الأجناد ممن لم يعطوا شيئاً من الأرض. المقريزي، الخطط، ج١، ص٤٧٠-٤٨٧؛ دوزي، تكملة المعاجم، ج١، ص١٦٨.

[٣] المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص٧؛ ماجد، نظم الفاطميين، ج١، ص١٧٤-١٧٥؛ الرمادي، جمال الدين، الأمن والسلام في الإسلام (سلسلة اقرأ)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣م، ص٣٠.

[٤] الدينار الجيشي: وهو يعادل ثلاثة عشر وثلث الدرهم. ينظر: ابن فضل الله العمري، أبو العباس، شهاب الدين أحمد بن علي، (ت٧٤٩هـ/١٣٤١م)، مسالك الابصار في ممالك الأمصار، تحقيق أحمد زكي باشا، دار الكتب المصرية، مصر، ١٩٢٤م، ج٢، ص٢٠٠.

[٥] القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٤٩٠؛ حسن، إبراهيم، تاريخ الدولة الفاطمية، ص٥٦١.

إلى جانب ذلك أنفقت الدولة الفاطمية مالاً غير محدود على الحملات الحربية ومساندة الحركات الانفصالية سواءاً ضد الدولة العباسية أو بوجه الخلافة الفاطمية، فكانت أولى الحركات الانفصالية التي واجهت الخلافة الفاطمية والتي دعت إلى اعداد جيش ضخم للقضاء عليها زمن الخليفة الحاكم بأمر الله، هي الحركة التي قام بها أبو ركوة[1] في برقة، حيث استعد بالخليفة الحاكم بحملة اشتملت على المشارقة والمغاربة حتى يتلافى ما حدث في الحملة الأولى، وقد ساعد انتصار الخليفة على أبو ركوة وقوف المصريين من المدن الأخرى إلى جانبه، وقد عدّ الحاكم هذا الحدث نصراً عظيماً وكان ذلك سنة ٣٩٧هـ/١٠٠٦م[2].

ولنا أن نتصور حجم الإنفاق على تلك الحملات المتكررة التي أرسلها الحاكم بأمر الله للوقوف بوجه القوى المعارضة لخلافته، فقد ذكر المقريزي ان الإنفاق على تلك الحملات بلغ ألف ألف ديناراً ذهباً[3].

أًما الحركة الانفصالية الثانية فكانت هي التي قام بها البساسيري[4] ضد الخلافة العباسية وإقامة الخطبة للفاطميين زمن الخليفة الفاطمي المستنصر بالله في بغداد

[1] أبو ركوة: هو الوليد بن هاشم بن عبد الملك بن عبد الرحمن الداخل، ينتسب إلى بني أمية من بني مروان، هرب من الأندلس زمن الوزير المنصور بن أبي عامر، وزير وحاجب الخليفة هشام المؤيد الأموي بالأندلس، وجاء إلى مصر لسماع الحديث ثم انتقل إلى مكة ثم اليمن ثم عاد إلى مصر ثم القيروان ومنها إلى برقة وعرف بأبي ركوة لأنه كان يظهر النسك ويحتفظ معه بركوة على عادة أهل الصوفية، ويرجح البعض هذه التسمية إلى أهل مصر كنوع من السخرية. المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م)، البيان والاعراب عما بأرض مصر من الإعراب– مع دراسات في تاريخ العروبة في وادي النيل، تحقيق: د. عبد المجيد عابدين، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٨٩م، ص١٢٤–١٢٥.

[2] المقريزي ، البيان والاعراب ، ص١٢٥ .

[3] المصدر نفسه ، ص١٢٥ ؛ الخطط ، ج١، ص١٨٠ .

[4] البساسيري: هو ابو الحارث أرسلان، الملقب بالمظفر البساسيري، كان مولى لأبي علي الفارسي النحوي وتنقلت به الأحوال حتى ملكه بهاء الدولة ابن عضد الدولة بن بويه، فقد تقلبت به الأحوال وترقى حتى صار من كبار قواد الاتراك في المنيا بالاسفهسلارية وهم كبار الاتراك ببغداد، وقد عرف البساسيري نسبة إلى بلدة بفارس يقال لها "بسا" وتقع على أربع مراحل في شيراز وبها جمع كبير من الديلم. ينظر: ابن الاثير، الكامل

سنة ٤١٥ هـ ، فمنذ أن استقر الفاطميون بمصر وهم يبذلون أقصى ما في وسعهم لتوطيد دعائم دعوتهم في العراق، لذلك اهتموا بإرسال دعاتهم إلى بغداد حاضرة الدولة العباسية وأمدهم بالمال[(١)]. فبعد سيطرة البساسيري الذي هو من الأتراك من اتباع بني بويه على الأمور في بغداد، سارع الخليفة الفاطمي بإمداد البساسيري بالأموال والخيل والسلاح وكلف بحمل تلك الإمدادات المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي، وأقنعه الوزير اليازوري بالقيام بهذه المهمة ؛ لكونه سفير من قبل الخليفة إلى البساسيري، وقد قبل المؤيد هذه المهمة واصطحب الامدادات وسار إلى نجدة البساسيري تصحبه فئة من الرجال تحمل الأموال والخلع والسلاح التي اشتملت على ألف ألف وثلثمائة الف دينار والعين ألف ألف وتسعمائة الف دينار، والعروض أربعمائة الف دينار، كان ذلك سنة ٤٤٨هـ/١٠٥٦م[(٢)].

رابعا- نفقات المواكب والمواسم الاحتفالية:

امتازت الدولة الفاطمية بكثرة ما كانت تنفقه من أموال طائلة في المواسم والأعياد على المواكب بالإضافة إلى الهبات التي كانت تمنح لمختلف طبقات الشعب، وصاحب اهتمام الفاطميين بالأعياد الشيء الكثير من الأبهة والعظمة، فكانت هذه الأعياد والمناسبات من الكثرة بحيث يخيل للإنسان أنه قد كانت وراء كثرتها ومراسيمها والاهتمام الرسمي بها حملة إعلامية لتثبيت هيبة الدولة من جهة واتخاذها وسيلة لتطويع الجماهير للتعاليم المذهبية من جانب آخر.

في التاريخ، مج٩، ص٦٥٠. ياقوت، معجم البلدان، مج١، ص٣٢٦. مادة: بسا ؛ المعاضيدي ، خاشع : الحياة السياسية في بلاد الشام خلال العصر الفاطمي ، دار الحرية للطباعة بغداد ، ١٩٧٦م، ص٨٤.

(١) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، مج٩، ص٦٤٠؛ القيسي، ناهض عبد الرزاق، موسوعة النقود العربية الاسلامية، دار أسامة للنشر والتوزيع، الاردن، عمان، ط١، ٢٠٠١م، ص١٩٣.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٩، ص٦٤١؛ منيمنه، حسن، دراسات في التاريخ العباسي (تاريخ الدولة البويهية السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي، الدار الجامعية، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص٢٠٤-٢١٥.

فلو ألقينا نظرة على عدد المناسبات وأعياد مصر في العصر الفاطمي لوجدناها تزيد عن الثلاثين مناسبة سنوياً[1]، منها: الاحتفال برأس السنة الهجرية، والمولد النبوي، وأول شهر رجب، ونصف رجب، وأول شهر شعبان، ونصف شعبان، وأول شهر رمضان، ونصف رمضان، وعيد الفطر، وعيد النحر، ومولد الإمام علي (عليه السلام)، والإمامين الحسن والحسين (عليهما السلام)، ومولد السيدة فاطمة (عليها السلام)، ويوم عاشوراء، وعيد فتح الخليج وعيد النيروز، وعيد الشهيد، وعيد النصر، والمواليد الستة، وليالي الوقود الأربع، وشهر رمضان بأكمله، وقافلة الحج، وعيد الغدير، وكسوة الشتاء والصيف، وميلاد المسيح، والغطاس، وخميس العهد، والسبت والثلاثاء من كل أسبوع، وصلاة الجمعة، وعيد الصليب[2].

وقد عنى الفاطميون عناية خاصة ببعض المواكب التي كانت تسمى "المواكب العظام" ويصاحب معظمها ركوب الخليفة وهي ستة ركوبات يتم كل منها برسوم محددة، منها أربعة خاصة بمناسبات دينية وهي على الترتيب: "ركوب أول العام، ركوب أول شهر رمضان، ركوب أيام الجمع الثلاثة من شهر رمضان، ركوب صلاة عيدي الفطر والأضحى" واثنان خاصان بأعياد مصرية قومية هي: "ركوب تخليق المقياس وركوب فتح الخليج"[3]. أمّا الاحتفال الفاطمي الذي يصحبه ركوب للخليفة فهو الاحتفال بركوب عيد الغدير[4] الذي يعد من الاحتفالات الدينية الرئيسية للفاطميين.

---

[1] المقريزي، الخطط، ج١، ص٤٩٠-٤٩٥؛ اتعاظ الحنفا، ص١٤٢-٢٧٢؛ عمارة، محمد، عندما أصبحت مصر عربية، دراسة عن المجتمع المصري في العصر الفاطمي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٧٤م، ص٥٤.

[2] المقريزي، الخطط، ج١، ص٤٩٠-٤٩٥؛ اتعاظ الحنفا، ص١٤٢.

[3] القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٤٩٩؛ ماجد، نظم الفاطميين ورسومهم، ج٢، ص٩٣.

[4] ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص١٨٦، ١٨٩؛ الأميني ، محمد هادي ، عيد الغدير في عهد الفاطميين ، النجف الأشرف، ١٩٩٢ ، ص٤٥ -٥٠ .

لم يحتفل الفاطميون بأول العام في الفترة الفاطمية المبكرة، حيث يذكر لنا المقريزي في أحداث سنة ٣٩٠هـ/٩٩٩م أن الفاطميين كانوا يستقبلون التهاني فقط: "في أول يوم من المحرم ظهر الحاكم ودخل الناس فهنئوه بالعام"[١].

وأول إشارة تفصيلية إلى هذا الاحتفال نجدها في سنة ٥١٧هـ/١١٢٣م عندما أصبح المأمون البطائحي وزيراً للآمر بأحكام الله[٢]. فكان الخليفة والوزير يجلسان في صبيحة هذا اليوم ويحضر "من جرت العادة بحضوره للتهنئة"[٣]، حيث كانت تفرق عليهم دنانير الغرة التي كانت تضرب بدار الضرب في العشر الأواخر من ذي الحجة بتاريخ السنة التي ركب أولها في هذا اليوم خصيصاً لهذه المناسبة، فكان الأمام يوزع ذلك على "إخوته وجهاته وقرابته وأرباب الصنائع والمستخدمات وجميع الاستاذين العوالي والادوان"[٤].

أمّا ما يختص بالوزير المأمون فكان يوزعه على "أولاده وإخوته والأصحاب والحواشي والأمراء والضيوف والأجناد، والذي اشتمل عليه المبلغ في هذه السنة نظير ماكان قبلها"[٥]. نرى أن ابن المأمون لم يحدد مقدار ما كان ينفق، إلا أن ابن الطوير ذكر: أنها كانت تقرب من ثلاثة آلاف دينار[٦].

وقد وصف المؤرخون ركوب الخليفة في المناسبات وما كان ينفق لها من رسم، فقد وصف ابن المأمون الموكب الذي تم في سنة ٥١٧هـ/٢٢٣ام، قائلاً: "ثم ركب الخليفة واستدعى الوزير المأمون، ثم خرج من باب الذهب وقد نشرت مظلته... ومصفات العساكر على يمينه ويساره وجميع تجار البلدين (القاهرة والفسطاط) من الجوهريين والصيارف والصاغة والبزازين وغيرهم قد زينوا الطريق بما تقتضيه تجارة

---

[١]اتعاظ الحنفا، ج٢، ص٢٥.

[٢] ابن المأمون، اخبار مصر، ص٥٨-٥٩.

[٣]المصدر نفسه، ص٥٩ ؛ حسن ، محمد زكي، كنوز الفاطميين ، دار الرائد العربي ، لبنان ، ١٤٠١ هـ/١٩٨١م ، ص١١٨ .

[٤] ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص١٦٧.

[٥] ابن المأمون، أخبار مصر، ص٥٨.

[٦] ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص١٦٧.

كل منهم ومعاشه لطلب البركة بنظر الخليفة"[١]، وكانت الصدقات تعم المساكين والرسوم تفرق على المستقرين من شيوخ الجوامع والمؤذنين والقومة [٢].

أمّا الوصف النموذجي لركوب الخليفة في أول العام فقد أورده ابن الطوير (٥٢٤هـ/١١٣٠م)وهو يعود إلى العقود الأخيرة من عمر الدولة الفاطمية قائلاً : "... ثم يحضر ما في خزائن السروج وهو من الاستاذين المحنكين، إليها مع مشارفها وهو من الشهود المعدلين، فيخرج منها برسم خاص الخليفة من المركبات الحلى ما هو برسم ركوبه وما يجلب في موكبه مائة بغل وأتان، كل مركب مصوغ من ذهب أو من فضة منزلة بالمينا، وروادفها وقرابيسها[٣] من نسبتها، ومنها ماهو مرصع بالجواهر الفائقة وفي أعناقها الأطواق الذهب وقلائد العنبر، ... قيمة كل دابة وما عليها من العدة ألف دينار،... ثم يخرج من الخزانة المذكورة لأرباب الدواوين المرتبين في الخدم على مقاديرهم... رسوم من دينار إلى نصف دينار إلى ثلث دينار [٤].

أمّا ركوب أول شهر رمضان يجري أمر هذا الاحتفال الموكبي مثل ماكان يجري في ركوب أول العام، فبعد إنقضاء ركوب أول شهر رمضان يستريح الخليفة في أول جمعة[٥]، فإذا كانت الثانية ركب الخليفة إلى الجامع الأنور الكبير "الحاكم" وفي الجمعة الثالثة إلى الجامع الأزهر بالقاهرة والى الجمعة الأخيرة إلى جامع عمرو بن العاص بالفسطاط،... وكان الخليفة يقوم بعد إتمام الصلاة بتفريق رسوم على الذين صحبوه في الصلاة وهي: ثلاثة دنانير لكل من النائب في الخطابة وللنائب في

---

[١] ابن المأمون، أخبار مصر، ص٥٨.

[٢] نزهة المقلتين ص ١٦٧.

[٣] القرابيس ومفردها قربوس: وهي الخشبة الصغيرة القائمة في مقدم السرج. ينظر: دوزي، رينهارت، تكملة المعاجم، ص١-١١.

[٤] نزهة المقلتين، ص٨٥، ص١٢٤.

[٥] ابن المأمون، أخبار مصر، ص٥٤، ٨١؛ ابن عبد الظاهر، محيي الدين أبو الفضل عبد الله بن عبد الظاهر المصري(ت٦٩٢هـ/١٢٩٢م)، الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية ، القاهرة ، تحقيق وتقديم وتعليق أيمن فؤاد سيد ، أوراق شرقية ،بيروت ، ١٩٩٦، ص٣٦، ٣٩.

الصلوات الخمس، وأربعة دنانير للمؤذنين والقومة، وثلاثة دنانير لكل من خازن خزانة الفرش وفراشها ومتوليها، وديناران لصبيان بيت المال ومعبئي الفاكهة ويطلق الخليفة الرسوم للقراء في كل ركوب حين يركب، ويرجع إلى القصر وتعم الصدقات جميع الناس، أّما الفواكه التي تعبأ بالجامع فإنها تباع بجملة كبيرة ويتزاحم الناس على شرائها تبركاً بها ويقسم ثمنها بالتساوي بين شيخ الجامع والمؤذنين والقومة[١].

وهنا لابد من الإشارة إلى ان الرسوم التي يطلقها الخليفة عند ركوبه في المناسبات والأعياد لا تدخل ضمن جراياتهم الشهرية، أي خارجة عن رواتبهم المتبعة صرفها لهم شهرياً، وهذا مما يجعل جميع حاشية الخليفة لايتخلفون عن مرافقة الركوب إذا ماعلمنا ان صبيان الركاب وحدهم يزيدون على الفي رجل ولهم اثنا عشر مقدم ولكل مقدم في كل شهر خمسون ديناراً[٢].

أّما فيما يخص الركوب لصلاة عيد الفطر عند الفاطميين فهو الموسم الكبير ويسمى "عيد الحلل" لأن الحلل تعم فيه الجماعة وفي غيره تكون للأعيان خاصة، وقد كانت توزع الكسوة على الرعية والمحتاجين والفقراء، فبلغت قيمة الكسوة التي وزعت في عيد الفطر سنة ٥١٦هـ/١١٢٣م، حوالي العشرين الف دينار[٣]. وقيل ذلك كان أول صلاة عيد فطر أداها الخليفة المعز لدين الله بالقاهرة سنة ٣٦٢هـ/٩٧٣م[٤]. وفي آخر رمضان سنة ٣٨٠هـ/٩٩١م، حيث لم يكن الاستعداد للركوب في أول الدولة الفاطمية مثل ماهو عليه في السنوات الأخيرة منها.

ويذكر أن الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله، أدى صلاة عيد الفطر سنة ٤١٥هـ/١٠٢٥[٥] وركب الخليفة المستنصر بالله لصلاة عيد الفطر في السنوات

---

[١] سيد، أيمن فؤاد، الدولة الفاطمية في مصر، تفسير جديد، ص٤٣٨.

[٢] ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص٨٥، ١٢٤.

[٣] ابن المأمون، أخبار مصر، ص٣٨؛ المقريزي، الخطط، ج١، ص٤٥٢.

[٤] ابن ميسر، أخبار مصر، ص١٥٩؛ المقريزي، المصدر نفسه، ج١، ص٤٥١.

[٥] المسبحي، أخبار مصر، ص٦٥، ٦٧؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص١٦١.

٤٢٥ و ٤٥١ و ٤٧٦ و٤٧٨ و ٤٨٠هـ[١]. ويبدو أن الوزير الأفضل قلل من دور (الإمام) الخليفة في صلاة العيد خاصة بعد انتقاله إلى دار الملك بالفسطاط سنة ٥٠١هـ/١١٠٧م، فيذكر المقريزي، أن ركوب الخليفة لصلاة العيد في المصلى ظاهر باب النصر وإلقائه خطبة العيد "كان قد بطل في الأيام الجيوشية والافضلية"[٢].

لاشك ان ذلك كان بعد سنة ٤٨٠هـ/١٠٨٨م، وهو آخر تاريخ في السجلات المستنصرية يخبر فيه الخليفة دعاته باليمن عن ركوبه لصلاة العيد –وكان ذلك بإيعاز من الأفضل الذي شارك والده أمير الجيوش في أعقاب هذا التاريخ[٣]. وان تقليص دور الخليفة في احتفال صلاة العيد كان من بين الأمور التي طلبها الخليفة الآمر بأحكام الله من وزيره المأمون أن يعيدها إلى سابق عهدها، حيث طلب الخليفة من المأمون: أريد الأموال لاتجبى إلا بالقصر ولا تصل الكسوات من الطراز والثغور الا إليه، ولا تفرق إلا منه، وتكون أسمطة الأعياد فيه، ويوسع في رواتب القصور من كل صنف وزيادة رسم المنديل الذي برسم الكم، فقد كان الرسم في كل يوم ثلاثين ديناراً، وسيكون في كل يوم مائة دينار[٤].

كان مبلغ الاستيمار في الأيام الأفضلية في الشهر (١٢.٠٠٠) اثني عشر ألف دينار، فتوسع مقدار الإنفاق حيث أصبح مبلغ الاستيمار في الأيام المأمونة حتى سنة ٥١٧هـ/١١٢٣م، (١٦.٠٠٠) ستة عشر الف دينار[٥]. وكانت توزع في عيد الفطر النقود الذهبية والفضية والملابس والأطعمة على الأضياف والموظفين على اختلاف درجاتهم، هذا إلى ماكان يمنحه كبار الموظفين إلى غرة المحرم من النقود الذهبية التي كانت تضرب خصيصاً لهذا اليوم في العشر الأخير من ذي الحجة،

---

[١] السجلات المستنصرية: "سجلات وتوقيعات وكتب لمولانا المستنصر بالله إلى دعاة اليمن وغيرهم قدس الله أرواح جميع المؤمنين"، تحقيق: عبد المنعم ماجد، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٩٤م، الصفحات، ١٣، ٢١، ٣١، ١٩، ١٨؛ سيد، أيمن فؤاد، الدولة الفاطمية، ص٤٣٩.

[٢] اتعاظ الحنفا، ج٣، ص٨٣.

[٣] ابن ميسر، أخبار مصر، ص٨١.

[٤] المقريزي، المقفى الكبير، ج٦، ص٤٨٢.

[٥] المصدر نفسه، ج٦، ص٤٨٦.

وتسمى نقود الغرة، وهي دنانير رباعية ودراهم خفاف مدورة، وكان هؤلاء الموظفون يقبلونها على سبيل التبرك من الحكومة[١].

أمّا الركوب لصلاة عيد النحر (الأضحى) فيبدأ في اليوم التاسع من ذي الحجة ويعرف بـ"يوم الهناء بعيد النحر" حيث كان الناس يتوجهون عند آذان الصبح إلى دار الوزير لخدمته وتهنئته على طبقاتهم: أرباب السيوف والأقلام، ثم الأمراء والأستاذون المحنكون، ومن بعدهم الشعراء، وقد وصف أحد المؤرخين الركوب الاحتفالي قائلاً: "فيخرج الخليفة بنفسه من باب الرّيح[٢] ويكون الوزير واقفاً عليه ويدخل ماشياً بين يديه، وهذا بعد انفصالهما من المصلى، ويكون قد قيد إلى هذا المنحر أحد وثلاثون فصيلاً وناقة أمام مصطبة يطلع عليها الخليفة والوزير، ... فأول نحرة هي التي تقدد وتسير إلى داعي اليمن[٣]. وهو الملك فيه فيفرقها على المعتقدين وزن نصف درهم إلى ربع درهم، ثم يعمل ثاني يوم كذلك، فيكون عدد ما ينحر سبعاً وعشرين، ثم يعمل في اليوم الثالث كذلك وعدد ما ينحر ثلاثاً وعشرين، هذا وفي مدة الايام الثلاثة[٤] يسير رسم الأضحية إلى أرباب الرتب والرسوم، كما

---

[١] القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٥٠٥؛ سرور، جمال الدين، الدولة الفاطمية في مصر، ص١٧١.

[٢] باب الريح : هو أحد أبواب القصر الكبير الذي يسمى بالقصر الشرقي وقد بني هذا الباب من الحجر وسمي باب الريح لهبوب الرياح الشمالية الرطبة من خلاله ولوقوعه في الجهة البحرية = =للقصر. ابن دقمان ، الانتصار ، ج٢، ص٣٦ ؛ القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٣، ص٣٩٥؛ المقريزي ، الخطط ، ج١ ، ص٤٣٤؛ مبارك ، الخطط التوفيقية ، ج٢ ، ص٩٤ .

[٣] كان هذا التقليد بدأ منذ ان تولّى الدعوة الفاطمية في اليمن الداعي علي بن محمد الصليحي سنة ٤٥٥هـ وهو يدل على مدى أهمية دعوة اليمن للفاطميين، وظل كذلك إلى سنة ٥٢٤هـ سنة وفاة الخليفة الآمر بأحكام الله فانفصلت الدعوة اليمنية عن الدعوة الفاطمية. سيد، أيمن فؤاد، تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن حتى نهاية القرن السادس الهجري ، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٨٨م، ص١٧١-١٩٠.

[٤] جملة ما يفرق من رسوم على من جرت عاداتهم بها (١٧٦٠٠) ديناراً وبلغ المصروف على الاسمطة من ثلاث أيام عيد النحر (٩٤٦) رأساً و١٣١٦٤٨ قنطار من السكر لعمل الحلاوة. المقريزي، المقفى الكبير، ج٦، ص٤٩٦.

سيرت الغرة في أول السنة من الدنانير بغير رباعية ولا قراريط على مثال الغرة بعد الطبقة العليا إلى ما دونها مع عشرة دنانير إلى دينار وكان ثمن الضحايا ما يقارب من الفي دينار"[1]. واستمر الإنفاق الفاطمي طيلة أيام الاحتفالات الموكبية التي انفردوا بها.

أننا نجد أن الاحتفال بالركوب لعيد الغدير (غدير خم)[2]، هو الاحتفال الوحيد الذي له أصول مذهبية، ومع ذلك فقد خضع هذا الاحتفال لتغييرات مماثلة لبقية الاحتفالات الفاطمية الأخرى، فكان الاحتفال بعيد الغدير مثله مثل الاحتفال بيوم عاشوراء، ولكن في الفترة الأخيرة من الدولة الفاطمية أخذت الحكومة تنظم احتفالاً موكبياً خاصاً، فعن الاحتفال بيوم الغدير يذكر لنا ابن المأمون قائلاً: "... ففي هذه المناسبة هاجر إلى باب الوزير الضعفاء والمساكين من البلاد وانضم اليهم العوالي والأدوان إلى عادتهم في طلب الحلال... حتى أصبح موسماً يرصده الناس ويرتقبه كل غني وفقير،.. ويفرق على العساكر سبعمائة وتسعن ديناراً عيناً ومائة واربع وأربعين قطعة من الكسوة"[3]. وكان يفرق من مال الوزير بعد الخلع عليه (٢٥٨٠) ألفين وخمسمائة دينار وثمانين دينار. وأمر بتعليق جميع أبواب القصور وتفرقة المؤذنين بالجوامع عليها، وتقدم بأن تكون الأسمطة بقاعة الذهب على حكم سماط أول يوم عيد النحر"[4]. وكان القاضي يحصل قبل القاء خطبة العيد على بدلة مميزة

---

[1] ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص١٨٢-١٨٥؛ المقريزي، الخطط، ج١، ص٤٣٧؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٥١١؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٤، ص٩٨-٩٩.

[2] نسبة إلى خم وهو موضع بين مكة والمدينة به غدير وحوله شجر كثير، كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عند عودته من مكة بعد حجة الوداع في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة سنة ١٠هـ، نزل به وآخى بينه وبين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) وأول القول (من كنتُ مولاه فعلي مولاه). للمزيد ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢، ص١٣٦؛ ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص١٢٧٠؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٣٨٩؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص١٦٨.

[3] ابن المأمون، أخبار مصر، ص٤٣؛ المقريزي، المقفى الكبير، ج٦، ص٤٩٦.

[4] ابن المأمون، أخبار مصر، ص٤٣.

يلبسها للخطبة وخمسين ديناراً، إلى جانب إنفاق الخلفاء مبالغ طائلة من أجل توزيعها على الفقراء في ذلك اليوم(١).

أمّا الاحتفال في موسم شهر رمضان فكان مبلغ ماينفق على اعداد سماط شهر رمضان لمدة سبعة وعشرين يوماً (٣٣٧٠) ثلاثة آلاف وثلاثمائة وسبعين ديناراً على وجه التفرقة وللأسمطة (١٣٣٣) ألف وثلاثمائة وثلاث وثلاثين ديناراً غير نفقات الأيام الثلاث(٢).

وقد جرت عادة الخلفاء الفاطميين على ضرب خمسمائة دينار من الذهب وتحويلها إلى عشرة آلاف "خروبة" وهي عملة تذكارية صغيرة الحجم خفيفة الوزن حيث يبلغ وزنها ٠.١٩٤ غرام لتفريقها على جميع رجال الدولة في هذا اليوم(٣). وهناك الاحتفال بعيد النيروز حيث بلغ الانفاق سنة ٥١٧هـ حوالي ٤٠٠٠ دينار(٤).

وقد اعتاد الخلفاء عند ركوبهم إلى المنظرة(٥)، أن يمنحوا رجال القصر والشعراء(٦) والمؤذنين والقراء ومن إليهم في الحاشية المنح الوفيرة، فيحمل أحد الموظفين كيساً من الحرير فيه خمسمائة دينار لتوزع في الطريق الذي يجتازه الخليفة على الرجال والنساء والقراء الذين يقرآون القرآن على جانبي الطريق(٧).

---

(١) المقريزي، المقفى الكبير، ج٦، ص٤٩٦.

(٢) المقريزي، المقفى الكبير ، ج٦، ص٤٩٥؛ خسرو، سفرنامة، ص١٧٨.

(٣) المقريزي ، المقفى الكبير ، ج٦، ص٤٩٥.

(٤) المصدر نفسه، ج٦، ص٤٩٧.

(٥) المنظرة: وجمعها مناظر وهي دور بناها الخلفاء الفاطميون في القاهرة والفسطاط والروضة والقرافة خاصة للنزهة والاشراف على الاحتفالات وتوديع الحملات الحربية؛ خسرو ، سفرنامة، ص٤٣٤ ياقوت ، معجم البلدان ، ج٥،ص٢١٢ ؛.

(٦) يذكر أنه كانت منظرة الجيش مصنوعة من خشب مدهون فيها صور الشعراء، كل شاعر وبلده، وعند رأس الشاعر أبيات نظمها في ذكر المنظرة وبجانب كل صورة رف لطيف مذهب، فإذا دخل الخليفة وقرأ الأشعار أمر أن يحط على كل رف صرة مختومة فيها خمسون ديناراً، فيدخل الشاعر ويأخذ صرته. المقريزي، الخطط، ج١، ص٤٨٦.

(٧) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٥٠٥؛ سرور، الدولة الفاطمية، ص١٧١.

لم تتوقف انفاقات الحكومة الفاطمية بل زادت واستمرت والى جانب ذلك: منح الخليفة الهدايا والعطايا والجرايات وهذا إنما يعبر عن الغنى والترف في الدولة الفاطمية وبالتالي يعود نفعاً على ازدهار الحياة الاجتماعية، وثراء بيت مال الدولة.

إلى ذلك كانت هناك مواكب أخرى وهي تعد مختصرة قياساً للمواكب العظام وغالباً ما كانت تحدث أربع أو خمس مرات في السنة، حيث يذكر لنا احد المؤرخين قائلاً : إنه كان من عادة الخلفاء الفاطميين أن يقيموا مواكب يركبون فيها في أيام السبت والثلاثاء سائر الشهر، كما كانوا يركبون في الاحتفال بأول محرم، وفي هذه الأيام كان يصحب الخليفة وزيره وحوله حرسه الخاص وكانوا يسمون صبيان الركان، فيمر الموكب كذلك بالطرق الرئيسة حتى الجامع العتيق، وبيده مصحف كتب بخط الإمام علي (عليه السلام) فإذا قرب الخليفة من الخطيب، تناول المصحف منه، فقبله مرات عدة، وأمر صاحب الكيس "المشتمل على المال المعتاد توزيعه في هذه المناسبة، أن يعطيه ثلاثين ديناراً، فيكون نصيب الخطيب والمشرف على الجامع خمسة عشر ديناراً، وتقسم الخمسة عشر الأخرى على المؤذنين، فإذا ما انتهت الصلاة، عاد الخليفة إلى القصر، وعند عودته في طريقه يعطي كل خادم مسجد ديناراً [(١)].

ومن الطبيعي أن هذه الاحتفالات والمواكب الرسمية وغير الرسمية للدولة، لم تكن تمر دون إرهاق ميزانية الدولة الفاطمية –ومن الواضح– أن المناسبات الرسمية للدولة كانت تنفق الأموال لها من بيت مال الدولة، أي من الخزينة المركزية، أما المناسبات الأخرى التي أوجدها الفاطميون عند مجيئهم مصر شاكلها.

فبمطالعة الاستيمار الذي يتضمن ماأنفق عيناً من بيت المال في مدة أولها محرم سنة ٥١٧هـ وآخرها ذي الحجة، يمكن ان نرى حجم المبالغ المنفقة في هذا العام بعد خمسة عشر شهراً فقط من تولي المأمون البطائحي الوزارة، فقد بلغ حجم المنفق عيناً: "٤٦٧١٤٠.٥٠٠،وقد وفر من أبواب الصرف هذه الاستيمار ثمان وتسعون الف وثلثمائة وسبع

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٥٠٣.

وتسعون ديناراً، حملت إلى الصناديق الخاص برسم المهمات العسكرية الاستثنائية[1].

ومع إن الدقة والأمانة التاريخية، تأخذنا لتدقيق حقيقة هذه الاموال الطائلة التي تصرف في هذه الاحتفالات، وهل كانت بهذه المقادير الكبيرة، فإذا صح ذلك، اعتماداً على روايات المصادر، فالحالة تؤشر اهتمام الفاطميين بهذه الاحتفالات لأسباب دينية تكرس مكانتهم وتدعم توجهاتهم. ولننظر الآن إلى الأموال التي تصرف على الخدمات العامة، التي تهم الناس كلهم.

خامسا- نفقات الخدمات العامة :

لعل الجزء الأكبر من المال الذي يأتي من الإيرادات السالفة الذكر ينفق جله على ما يتطلبه البلد من وجوه الإعمار والإصلاح في مرافقه العامة، من كري الأنهار وإصلاح مجاريها وحفر الترع لتحسين حالة الزراعة التي تعد العمود الفقري لواردات الدولة، ولأهمية ذلك يذكر لنا الرحالة خسرو. أن صرف راتب عدّ لهذا الغرض قدره الف دينار شهرياً لموظف مهمته المحافظة على مقياس وعلامات منسوب مياه النيل الذي كان له الأثر في الانتاج الزراعي[2] ومصدر معظم ثروة البلاد.

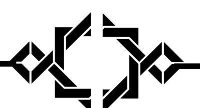
ونفذت الحكومة في خلافة الحاكم بأمر الله، مشروعاً مهماً سنة ٤٠٤هـ/١٠١٣م، حيث طهر خليج الإسكندرية بعد أن طم بصورة تامة من جزئه الأول عند خروجه من فرع الرشيد، فقد بلغ مجموع ما أنفقته الحكومة على هذا العمل خمسة عشر الف دينار[3]. وعاد هذا المشروع بالنفع على منطقة واسعة لمديرية

---

(1) المقريزي، المقفى الكبير، ج٦، ص٤٦٨.

(2) خسرو، ناصر، سفرنامة، ص٨٨.

(3) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٢١٢.



البحيرة، إذ كان الخليج يغذي عدداً كبيراً من الترع[١] حتى كان كل امرءٍ مطمئناً على حياته وماله[٢].

أ- الجسور :

اهتم الفاطميون بالمشروعات التي تساعد على المحافظة على مياه النيل وعلى ري الأراضي. ومن هنا نجد الاهتمام الكبير بشبكة الترع والقنوات والجسور المنتشرة في أنحاء البلاد والاهتمام بتطهيرها وإقامة القناطر وتشييد الجسور وكلها مشروعات أساسية الغرض منها تقديم أفضل الخدمات للشعب من ناحية والمحافظة على مياه النيل لاستخدامها في ري أكبر مساحة ممكنة من الأراضي الزراعية.

إن الاهتمام بحفر الترع والخلجان وإنفاق إقامتها وعمارتها كانت من المهام الأساسية التي يضعها الخلفاء على عاتقهم للمحافظة على كل قطرة مياه لاستخدامها في الزراعة، وقد استمر الاهتمام بشؤون الري قبل الفتح وبعده وحتى زمن الحكومات المتعاقبة على مصر.

أمّا في الدولة الفاطمية فقد زاد الاهتمام بهذه الأمور فنجد أن الفاطميين يهتمون ببناء القناطر وإقامة الجسور ويظهر هذا من خلال ما ذكره المقريزي من ان الخليفة المعز لدين الله أمر بإصلاح جسر الفسطاط بعد ان استمر سنين معطلاً دون استخدام[٣]. هذا إلى جانب قيامه بتفقد أحوال الجسور من وقت إلى آخر حيث كان يسير على شاطئ النيل ويعبر الجسر المؤدي إلى الجزيرة.

ويذكر الرحالة خسرو، أن الفاطميين شيدوا على شاطئ النيل من أول الولاية إلى آخرها جسراً من الطين ليعبر عليه الناس، وتصرف خزانة السلطان في كل سنة للعامل المعتمد عشرة آلاف دينار مغربي لتجديد عمارته[٤].

من ناحية أخرى كانت الحكومة الفاطمية تقوم بالأنفاق على الجسور وعمارتها حيث يذكر لنا ناصر خسرو : ان خزانة السلطان كانت تصرف في كل سنة للعامل

---

[١] ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص٧٨.

[٢] خسرو، سفرنامة، ص١٥٥-١٥٦.

[٣] الخطط ، ج١، ص١٧١ .

[٤] خسروا ، سفر نامة، ص٩٠ – ٩٩ .

المعتمد عشرة آلاف دينار مغربي لتجديد عمارة الجسور [١]، وأن أموال تلك الخزينة كانت مقررة من خلال ضريبة تفرض عدة نواح تحددها الحكومة من أجل المنفعة العامة والاهتمام بالخدمات في هذه النواحي من إصلاح وصيان الجسور ، لذا كانت تقرر قطيعة معنية تمثل على العلف والمؤن والحبوب والحشائش والأتبان، ثم فرض على كل قطعة عشرة دنانير تدفع من قبل الفلاحين إلى بيت المال وكأنها جزء من الخراج المقرر على الأرض وكانت تجبى بنسبة ما يتبرع منها [٢] .

والى جانب ما يخرج من ميزانية الدولة وكانت الحكومة تهتم بالجسور الموجودة في أعمال الغربية وجزيرة قويسنا والشرقية، أمّا ماعدا ذلك فكان يتولاه المقطعون والمزارعون كل في منطقته.

وغالباً ما كانت الحكومة تسخر أهل البلاد في إقامة الجسور حتى يتسنى لها المحافظة على ماء النيل وكانت الجسور على نوعين: جسور سلطانية وهي الجسور الرئيسة جسور بلدية وهي الجسور الفرعية.

فالجسور السلطانية: هي الجسور التي تقيمها الدولة لتنظيم الانتفاع بماء النيل، وقد ذكرها المقريزي بقوله: أن الجسور السلطانية "هي العامة النفع في حفظ النيل على البلاد كافة من حين يستغنى عنه"[٣].

ينفق عليها من الديوان السلطاني بالوجهين القبلي والبحري ويعين لها موظفون على الأعمال الشرقية والأعمال الغربية إلى جانب تعيين مشرف أو أمير للإشراف العام على عمارة الجسور إلى جانب تعيين مهندسين وخَوَلَه لكل عمل، يقومون بالإشراف على عمارة تلك الجسور ويخصص لكل جسر جراريف ومحاريث وأبقار من أجل المساعدة في عمارة تلك الجسور[٤]. وقد ذكر المقريزي أن الحكومة الفاطمية كانت تصرف على هذه الجسور ربع خراج البلد[٥].

أمّا الجسور البلدية: فهي الجسور المحلية التي تقام في منطقة دون أخرى أو تخدم منطقة بعينها وكان يتولى عمارتها المقطعون والفلاحون بالبلاد والأمراء والأخيار.

---

[١] المصدر نفسه ، ص١٧٥ .

[٢] المقريزي ، الخطط ،ج١، ص٣٤١.

[٣] المصدر نفسه ،ج١، ص١٧١ ؛ زكي ، عبد الرحمن ، موسوعة مدينة، القاهرة في ألف عام ، مكتبة الأنجلو المصرية ، مصر ، ١٩٦٩، ص٤٠ .

[٤] المقريزي ، الخطط ،ج١، ص٣٦١ ؛ الباشا ، حسن وآخرون ، القاهرة، تأريخها ، ص٤٧٩ .

[٥] الخطط ، ج١ ، ص٣٦١؛ الباشا، حسن وآخرون، القاهرة، تاريخها ، ص٤٧٩ .

وصرف على عمارتها من أصل مال الناحية وكانت أموال عمارة تلك الجسور تخصم من الخراج الذي يتعين على أهل الناحية دفعه توزع الأموال المنفقة في هذه الأمور على الأفراد بالتساوي ويلتزم صاحب كل دار برعاية جزء معين من الجسر [١].

والى جانب الاهتمام بالجسور سواء البلدية أو السلطانية، فقد اهتم الفاطميون أيضاً بعمارة السدود الموجودة على نهر النيل حيث كان على نهر النيل في جزئه الأول سدان أحدهما بعين الشمس وكان سداً ترابياً مدعماً بالجلف و شّيد قبيل الفيضان بوقت فإذا كان وقت الفيضان وزاد الماء رد هذا السد الماء فزاد ارتفاعه فيؤدي ذلك إلى ري الضياع التي خلف السد، وهذا كان يسمى سد خليج المؤمنين وكان يتم فتحه في يوم عيد الشهيد[٢] ويعطي الخليفة أوامره فتفتح جميع السدود الصغيرة على الترع المتصلة بالنهر.

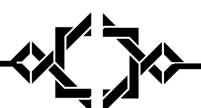
أمّا السد الآخر فكان بمنطقة سردوس ويقع هذا السد على خليج سردوس الذي يخرج من الضفة الشرقية للنيل عند قرية باسوس- وهي إحدى قرى مركز قليوب- واستمر هذا الخليج يمد المناطق المحيطة به بالماء طوال العصر الفاطمي الأول فقد كان من أكبر الترع ولكن فقد أهميته وخصوصاً بعد حفر خليج أبو المنجا. ويذكر أنه كانت خلجان مصر سبعة على جوانبها الجنان، منها خليج سردوس [٣] وهي منطقة أسفل عين شمس. والى جانب السدود اهتم الخلفاء الفاطميون أيضاً بالخلجان وقد بلغ عدد الخلجان بمصر ثمانية وعدد الأبحر خمسة وعشرين. أمّا الترع فقد بلغت عدتها مائة وسبع عشرة في الوجهين البحري والقبلي، واهتم الفاطميون بمواعيد

---

[١] المقريزي ، الخطط ، ج١، ص٣٦١ .

[٢] وهو من الأعياد التي يحتفل بها أقباط مصر في السابع عشر من شهر مايو ويرتبط الاحتفال بنهر النيل مصدر الحياة والنماء والنصارى يعتقدون ان النيل لا يبلغ زيادته وتمام فيضانه في كل عام إلا إذا ألقوا فيه تابوتاً من خشب فيه اصبع من أصابع أسلافهم الموتى ويحتشد أهل البلاد على ضفتي نهر النيل وينصبون أعداداً كبيرة من الخيام ويكثرون من اللهو وشرب الخمر والاستمتاع بالغناء والطرب ولم يكن هذا العيد يخص ديانة أو عقيدة معينة على الرغم من ارتباطه بإلقاء التابوت وإنما كان احتفالاً شعبياً لجميع طبقات الشعب المصري. ينظر : المقريزي، الخطط،ج١، ص٤٩٠-٤٩٥؛ عماره ، محمد، عندما أصبحت مصر عربية، ص٥٤.

[٣] ياقوت معجم البلدان، ج٣، ص٢١٠ .



صيانة الجسور والسدود والترع وتحديد مواعيد فتحها وغلقها وتطهيرها حتى يحافظوا على الإنتاج الزراعي.

إن استخدام الفاطميون الدقة والانضباط حيال تلك الأمور تساعد على المحافظة على مياه النيل مما يؤدي إلى زراعة أكبر قدر من الأراضي الزراعية فزيادة المحصول ويوفي الخراج.

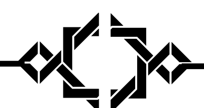
اهتمت الحكومة الفاطمية بتشييد المقابر والمساجد والقصور والمناظر، وقد أنفقت الشيء الكثير على تشييد المقابر، حيث أدت عناية الفاطميين بتاريخ آبائهم وأجدادهم حرصاً منهم على تأكيد الانتساب إلى الإمام علي والسيدة فاطمة الزهراء (عليهما السلام)، وهذا الاهتمام أدى إلى إعطاء المزيد من الإنفاق والبذخ للأضرحة وإسباغ كل ما هو فني وجميل على المزارات الخاصة بالأولياء والصالحين وما يحيط بهذه المزارات من مساجد ودور للعبادة حتى تحولت "الجبانة المعروفة بالقرافة" إلى إحدى عجائب الدنيا، لما تحتوي عليه من مشاهد الأنبياء.. وأهل البيت... والصحابة التابعين والعلماء والزهاد والأولياء.

وإذا كان الفاطميون قد جاؤوا إلى القاهرة برفات خلفائهم الذين ماتوا في بلاد المغرب منذ فتحهم لمصر، واتخذوا من بناء مسجد الحسين (عليه السلام) وقصة وجود رأسه الشريف في هذا المسجد سبباً لمنافسة العباسيين، فإنهم قد قطعوا شوطاً أطول في هذا المجال، حتى رأيناهم يشرفون على تعميرها وزخرفتها على اعتبار أن في هذه الجبانة: "قبر ابن النبي صالح، وقبر روبيل بن يعقوب بن اسحق... وقبر آسية إمرأة فرعون.. ومشاهد أهل البيت... أربعة عشر من الرجال وخمسة من النساء، وأقيم على كل واحد منها بناء حفيل، فهي بأسرها روضان بديع الاتقان عجيبة البنيان، وقد وكل بها قومه يسكنونها ويحفظونها ومنظرها منظر عجيب، والجرايات متصلة لقوامها في كل شهر"(١).

ب- المنشأة والعمران :

---

(١) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص٤٩.



لن يغفل التاريخ اهتمام الفاطميين الكبير بالمساجد وإنشائها لاسيما تلك التي لازالت آثارها موجودة إلى اليوم وعلى الذين لا يستسيغوا عناية الفاطميين الكبيرة التي بذلوها على المقابر والمساجد والمزارات أن يعلموا أن ما تبقى لنا من عادات خاصة ببناء الأحواش والمنازل على المقابر ومن حولها، إنما تعود إلى ذلك الميراث الذي خلفه لنا الفاطميون[١].

من الواضح أن المصريين كانوا على درجة كبيرة من التواصل والانسجام مع الفاطميين فحالة التأثر بالعادات والتقاليد والعناية والاهتمام بكل ماأوجده الفاطميين إنما يعود للسياسة الفاطمية المبنية على أسس دينية تكسب حكمهم الشرعية.

ولم يبين لنا المؤرخون كم خصص الخليفة الفاطمي لكل ما سلف ولكننا نستطيع أن نتصور حجم الانفاق التي كانت كثيرة جداً والتي تدل على مظاهر الأبهة والعظمة التي تجلت في البلاط الفاطمي، ولنا هنا أن نبين عظمة الإنفاق على مجموعة من المساجد التي أنشئت خلال الحكم الفاطمي

والجامع الأزهر [٢] هو أول جامع للدولة الفاطمية في مصر حيث وصفه ابن حوقل بأنه "مسجد نظيف حسن غزير القوم والمؤذنين"[٣]، وقد أطلق على الجامع الأزهر عند بنائه "جامع القاهرة" واستمر هذا الاسم إلى زمن الخليفة العزيز بالله (٣٦٥هـ/٩٧٥م) عندما اقترح عليه وزيره ابن كلس تغيير اسمه

---

[١] عمارة، محمد، عندما أصبحت مصر عربية، ص١٨٠؛ زكي ، عبد الرحمن ، نشأة القاهرة وامتدادها في أيام الأيوبيين (القاهرة في أيام الفاطميين –٩٦٩هـ/١١٧١م) ، المجلة التاريخية المصرية، مج١، لات ، ص١٤٤.

[٢] المقريزي، الخطط، ج٢، ص٢٧٣–٢٧٧؛ عبد الوهاب، حسن، تاريخ المساجد الأثرية، القاهرة، ١٩٤٦م، ج١، ص٤٧؛ الفقي ، عصام الدين عبد الرؤوف، معالم تاريخ الإسلام ، مكتبة الفلاح للتوزيع والنشر، الكويت، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ط١، ص٢٦٢؛ زكي ، عبد الرحمن : الأزهر وما حوله في الآثار ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر،١٩٧٠م، ص٢٦.

[٣] ابن حوقل، صورة الأرض، ص٩٥ ؛ زكي : عبد الرحمن ، هذه هي القاهرة ،ط٢، مصر ، ١٣٩٢هـ/١٩٤٣م، ص٥٠.

إلى جامع الأزهر نسبة إلى فاطمة الزهراء، وقد اهتم الخليفة العزيز بالله بتجديده في سنة ٣٧٨هـ/٩٨٨م وزاد في بنائه.

وأنشئت مساكن لطلاب العلم بجوار الجامع الأزهر وكان الخليفة العزيز بالله أول من اهتم بالفقهاء وأطلق لهم أرزاقاً وأقام مساكناً لإقامتهم بجوار الجامع، فأصبح جامعاً وجامعة. ومن هذا المنطلق قرر الخليفة العزيز بالله مخصصات لطلاب العلم ورواتب للعلماء وموظفي وخدام الجامع الأزهر[(١)].

وجرت العادة أن توزع الحلوى الملوكية بالجامع الأزهر على طلاب العلم والقراء في أيام ليالي الوقود، عاشوراء وموكب الرؤيا وغيرها من المناسبات. فيذكر المقريزي: أن أرباب الأموال يمدون هذا الجامع بأنواع مختلفة من البر فيقدم له من الذهب والفضة والفلوس إعانة للمنقطعين لعبادة الله تعالى فتحمل إليهم أنواع الأطعمة والخبز والحلوى ولاسيما في المواسم والأعياد[(٢)].

أمّا الخليفة الحاكم بأمر الله فقد اهتم بأمر الجامع الأزهر وزاد فيه وأحدث بعض التعديلات ووقف عليه أوقافاً كثيرة حتى يضمن تدبير مورد مال ثابت للإنفاق عليه حتى يستمر في أداء وظيفته كجامع وجامعة[(٣)]. وقد تحول الجامع الأزهر من مسجد للصلاة ونشر المذهب الفاطمي إلى مركز من أهم المراكز العلمية في العالم الإسلامي في ذلك الوقت.

أمّا جامع القرافة فهو من الجوامع الفخمة زمن الدولة الفاطمية الذي شيد للسيدة المعزية زوجة المعز لدين الله وأم الخليفة العزيز بالله سنة ٣٦٦هـ/٩٧٦م. وفي هذا الصدد يذكر أحد الاساتذة قائلاً : "جامع القرافة بأنه بني على نسق الجامع الأزهر وكانت فيه نقوش سماوية اللون وحمراء وخضراء ورسوم ذات الوان أخرى وكانت

---

(١) المقريزي، الخطط، ج٢، ص٤٥٧؛ قراعة سنية ، تأريخ الأزهر في ألف عام ، مكتبة الصحافة الدولية ، القاهرة، ١٩٦٨م، ص١٨٠.

(٢) المقريزي، الخطط ، ج٢، ص٤٥٧.

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص٤٦١ ؛ زكي : عبد الرحمن ، القاهرة تاريخها وآثارها (٩٦٩هـ/١٨٢٥م) من جوهر القائد إلى الجبرتي المؤرخ ، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٣٨٦هـ/١٩١٦م، ص١٧.

السقوف مزوقة كلها وكذلك الحنايا وباطن العقود وظاهرها كل ذلك على يد نقاشين أصلهم من البصرة ومعهم بنو المعلم النقاشون المصريون"[١].

ومن الجوامع الأخرى المشهورة جامع راشدة الذي بدأ بتشييده سنة ٣٩٣هـ، وقد أنفق الحاكم بأمر الله على بناء هذا الجامع وفرشه وتعليق قناديله أموالاً طائلة قدرت بأربعين الف دينار[٢]. وأُنهي تشييده في رمضان سنة ٣٩٥هـ[٣].

ومن الجوامع المشهورة أيضاً في عهد الخليفة الحاكم بأمر الله جامع المقس[٤] وهو الجامع الذي شيد على شاطئ النيل بمنطقة المقس وأنفقت عليه أموالاً طائلة على عمارته وفرشه وترميمه.

أمّا جامع الحاكم بأمر الله فقد بدأ في تشييده الخليفة العزيز بالله سنة ٣٨٠هـ وتوقف قبل إتمامه فأمر الخليفة بإتمامه وأنفق عليه أربعين ألف دينار ثم أمر بإمداده بخمسة آلاف دينار أخرى[٥]. وقد أمر الخليفة الحاكم بأمر الله سنة ٤٠٣هـ/١٠١٢م، بإثبات المساجد التي لا غلة لها ولا أحد يقوم بها أو التي لها غلة لا تقوم باحتياجاتها، فأثبتت في سجل رفع اليه، وبلغ عددها ثمانمائة وثلاثين مسجداً قدر لها نفقة شهرية قيمتها (٩٢٢٠) درهماً بواقع اثني عشر درهماً لكل مسجد[٦].

---

[١] المقريزي، الخطط، ج٢، ص٢٧٧.

[٢] النويري، نهاية الأرب، ج٢٨، ص١١١؛ مرزوق ، محمد عبد العزيز ، مساجد القاهرة ، قبل عصر المماليك، مطلعة عطايا، القاهرة ، ١٩٤٢م ، ص١٣٨.

[٣] القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٣٦١؛ المقريزي، الخطط، ج٢، ص٢٨٣؛ سالم ، السيد عبد العزيز ، المآذن المصرية (نظرة عامة عن أصلها وتطورها منذ الفتح العربي العثماني)، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٩٥٩م، ص١٨.

[٤] سليمان ، أحمد السعيد ، تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٩م، ج١، ص١٣٣.

[٥] المقريزي، الخطط، ج٢، ص٢٧٧.

[٦] المسبحي، نصوص ضائعة، ص٣١؛ المقريزي، الخطط، ج٢، ص٢٩٥، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص٩٦.

ومن الجوامع التي بنيت في العصر الفاطمي الجامع الأقمر[1] الذي بناه الخليفة الآمر بأحكام الله ووزيره المأمون البطائحي أمام قصر الخليفة الآمر واكتمل تشييده ٥١٩هـ/١١٢٥م، وهناك جامع القبلة بمنطقة بركة الحبش. وقد شيده الوزير الافضل ابن بدر الجمالي سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م. وبلغ حجم الانفاق عليه ستة آلاف دينار[2].

أمّا جامع الظافر الذي شيد سنة ٥٤٣هـ/١١٤٨م، فهو من المساجد التي تقع وسط سوق القاهرة وقد أقيمت به حلقة للتدريس. وهناك جامع الصالح الذي شيده الملك الصالح طلائع بن رزيك وزير الخليفة الفائز بنصر الله (٥٤٦-٥٥٥هـ/١١٥٤-١١٦٠م).

وقد تجلت مظاهر ازدهار الحياة المالية للفاطميين والإنفاق الكبير في عصر الخليفة العزيز بالله (٣٦٥-٣٨٦هـ/٩٧٥-٩٩٦م) بما شيده من قصور جميلة بلغت درجة كبيرة من رقي المعمار مثل: "القصر الغربي أو قصر البحر وكان البعض يطلق عليه اسم القصر الصغير تمييزاً له عن القصر الشرقي الذي يعتبر أول قصر فاطمي بني بمصر ليكون مقراً لإقامة الخليفة ومركزاً لحكومته[3]. ويعد هذا القصر من أعظم القصور لاحتوائه على عدة خزائن وقاعات وايوانات فضلاً عن الساحات والحدائق وغيرها. وقد كان مجمل مأنفق على القصر الغربي أكثر من ٢٠٠٠.٠٠٠ مليوني دينار[4].

---

[1] المقريزي، الخطط، ج٢، ص٢٩؛ مؤنس، حسين، المساجد، عالم المعرفة، الكويت، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص٢٥٧.

[2] خسرو، ناصر، سفرنامة، ص١٧٨.

[3] المقريزي، الخطط، ج١، ص٣٦٠؛ اتعاظ الحنفا، ج١، ص١١٤؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٤، ص٣١؛ عنان، محمد، عبد الله، مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٥٠هـ/١٩٣١م، ص٢٧.

[4] المقريزي، الخطط، ج١، ص٤٥٧؛ زيدان، جرجي، تاريخ التمدن الإسلامي، تعليق د.حسين مؤنس، دار الهلال للطباعة، القاهرة، لات، ج٥، ص١١٦.



أمّا قصر القرافة[١] الذي شيد للسيدة تغريد زوجة الخليفة المعز سنة ٣٦٦هـ زمن الخليفة العزيز وهو من أعظم قصور مصر الفاطمية وقد ألحق به بئر وبستان وجامع واستخدم القصر زمن الخلفاء الفاطميين للنزهة لجمال عمارته واتقان بنايته وشيد له منظرة مرتفعة محمولة على قبو مرتفع يسمح بمرور الماره من تحته كما يستظل به المسافرين من أشعة الشمس.

أمّا قصر اللؤلؤة أو منظرة اللؤلؤة فكان من قصور الفاطميين العظيمة ويعد من مناظر الخلفاء الفاطميين على الخليج بالقرب من باب القنطرة[٢].

ومن القصور الفخمة زمن الدولة الفاطمية قصر الهودج ومنظرة بركة الحبش ومنظرة السكر ومنظرة السكرة ومنظرة المقس ومنظرة البعل ومنظرة التاج ومنظرة باب الفتوح ومنظرة الصناعة. ومنظرة قبة الهواء ومنظر الخمس وجوه ومنظرة الذهب أو دار الذهب ومنظرة الغزالة[٣] .

من ناحية أخرى اهتم الفاطميون في بناء عدد كبير من المدارس والتي أصبحت مراكزاً لنشر المذهب ونشر الثقافة والعلوم، حيث تردد على تلك المراكز الثقافية عدد كبير من العلماء خاصة من علماء شمال أفريقيا والاندلس، فقد تحدثنا المصادر عن بناء المدرسة الحافظية في الاسكندرية سنة ٥٣٢هـ/١١٣٨م، وكان هناك سجل خاص بإنشاء هذه المدرسة الذي جاء فيه أن تكون المدرسة مأوى للطلاب وسكناً

---

[١] القرافة: نسبة إلى أحد بطون المعافر التي نزلت بها وكانت مقبرة أهل مصر مزدهرة بالأبنية والمحلات وأسواقها عامرة وتكثر بها ترب الصالحين وتحتل القرافة مساحة واسعة من جبل المقطم إلى الفسطاط وجزء من القاهرة إلى قلعة الجبل. للمزيد ينظر: ابن جبير، رحلة ابن جبير،= =ص٢٠؛ المقريزي ، الخطط ، ج٢، ص٣٢٠؛ سامح ، كمال الدين ، العمارة الإسلامية في مصر (سلسلة الألف كتاب رقم ٢٥٣) ، مكتبة النهضة المصرية، مصر ، لا ت ، ص٢٠٣.

[٢] خسرو، ناصر، سفرنامة، ص٩٢.

[٣] المقريزي ، الخطط،ج١،ص٤٦٩؛ مبارك ، الخطط التوفيقية،ج٣، ص٧٠.

لهم. وان يطلق له من ديوان الخليفة مؤنتهم وما يقوم بأودهم ويعينهم على التفرغ للدراسة من عيش وغلة[1].

وفي سنة ٥٤٦هـ/١١٥١م، انشأ الوزير العادل بن السلار مدرسة ثانية في الاسكندرية لتدريس المذهب الشافعي ولسنا نجد معلومات عن تخطيط هذه المدارس ووجه الانفاق عليها وعمارتها، إلا أننا نستطيع القول أن –ماأنفق على هذه المؤسسات والمراكز العلمية الكثير كون أن المدرسة الحافظية يدرس بها المذهب المالكي والأخيرة المذهب الشافعي المذهب الشائع بين أهل الاسكندرية.

ج-خزانة الكتب الفاطمية:

وقد اهتمت الخلافة الفاطمية بالعلم والثقافة والتربية، وأنفقت عليها المبالغ الطائلة، وقد تركز هذا الاهتمام بالمؤسسات الثقافية فهناك: مجالس الحكمة ودار الحكمة والعلم وبدايات المدارس انشأ الفاطميون "خزانة الكتب" التي أشار اليها بوصفها: "من عجائب الدنيا، ويقال انه لم يكن في جميع بلاد الاسلام دار كتب أعظم من التي كانت بالقاهرة في القصر... ويقال انها كانت تشتمل على ألف وستمائة الف كتاب، وكان فيها من الخطوط المنسوبة أشياء كثيرة وإن من عجائبها أنه كان فيها ألف ومائتان وعشرون نسخة من تاريخ الطبري"[2].

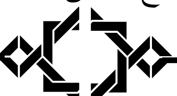
ووجود تاريخ الطبري بهذا العدد الكبير ظاهرة ثقافية وصحية، تدل على اهتمام الدولة بتاريخ الأمة، وما هو أكثر من وابعد، أن تاريخ الطبري فيه الكثير من أخبار الدولة العباسية، وأمجادها، ومفاخرها، ولم تحجب الخلافة الفاطمية هذه الاخبار عن الناس على الرغم من العداء السياسي والفكري بين الخلافتين.

واحتوت الخزانة على شتى العلوم والمعارف منها "كتاب العين" للخليل ابن أحمد الفراهيدي لأكثر من ثلاثين نسخة، وحمل رجل إلى الخليفة العزيز بالله نسخة من

---

[1] القلقشندي، صبح الأعشى، ج١٠، ص٤٥٨؛ الشيال، جمال الدين، أول أستاذ لأول مدرسة في الاسكندرية الاسلامية، مجلة كلية الآداب، جامعة الاسكندرية، العدد ١١، لسنة ١٩٥٧، ص٣-٢٩.

[2] أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، ج١، ص٥٠٧.



كتاب الطبري اشتراها بمائة دينار[١]. واحتوت الخزانة على عدة رفوف والرفوف مقطعة بحواجز وعلى كل حاجز باب متقن بمفصلات وفيها من أصناف الكتب مايزيد عن مائتي الف كتاب من المجلدات منها في الفقه والنحو واللغة وكتب الحديث النبوي والتواريخ وسير الملوك والنجامة والروحانيات والكيمياء من كل صنف النسخة والعشرة، ومنها النواقص التي ماتممت كل ذلك تترجمه ورقة ملصقة على باب كل خزانة وما فيها. والمصاحف الكريمة في كل مكان فيها فوقها، وفيها من الدروج بخط ابن مقلة ومن يليه ومن يماثله كابن البواب وغيره،.."[٢].

من الواضح أن خزانة الكتب الفاطمية بما احتوت من كتب نادرة ومخطوطات لعلوم مختلفة، مع التنظيم يدل دلالة واضحة على اهتمام الخلفاء بالعلم والعلماء، وبالثقافة والتعلم، ولعل الإنفاق على هذا الجانب عظيماً فشراء نسخة من كتاب بمائة الف دينار يمكن ان يؤثر في باقي المجلدات والمخطوطات وانتقائها.

د- المشاهد :

عرفت مصر الفاطمية نوعاً آخر من الإنفاق على المنشأة الدينية التي تعرف بـ"المشاهد" وهي عبارة عن مسجد ذو ضريح أقيمت لإحياء ذكرى آل البيت، وأغلب هذه المشاهد مشاهد رؤية ويقع أغلبها بالمنطقة التي تعرف بالمشاهد بين القاهرة والفسطاط، وعلى الرغم ان المصادر لم تشر إلى تاريخ ثابت في تشييدها لكنها تنسب إلى العصر الفاطمي من خلال دراسة عناصرها المعمارية والزخرفية. وإن أهم هذه المشاهد: مشهد السيدة سكينة، ومشهد عاتكة والجعفري ومشهد السيدة رقية، ومشهد أخوة يوسف، ومشهد اللؤلؤة والمشاهد التسعة والقباب السبع بالقرافة[٣]، ومشهد زيد بن علي[٤] .

---

[١] المقريزي، الخطط، ج١، ص٤٠٨.

[٢] ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص١٢٧؛ المقريزي، الخطط، ج١، ص٤٠٩.

[٣] فكري، أحمد، مساجد القاهرة ومدارسها، العصر الفاطمي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٥، ج١، ص٤١-٥٩.

[٤] هذا المشهد بين الجامع الطولو ومدينة قصر القديمة وتسميه العامة مشهد زين العابدين. للمزيد ينظر: ابن الطقطقا ، محمد بن علي طباطبا (ت٧٠٩هـ/١٣٠٩م) ، الفخري في الأدب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر ،بيروت ، لات، ص١٣٣ .

ولكن أهم تلك المشاهد "المشهد الحسيني" الذي أضافه الفاطميون لتعزيز مكانة الجانب الديني للقاهرة، حيث نقل الفاطميون سنة ٥٤٨هـ/١١٥٣م، رأس الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام)، التي كانت مدفونة في مدينة عسقلان خوفاً من الفرنج ودفنوها داخل القصر الفاطمي في قبة الديلم التي يؤدي اليها باب الديلم، باب القصر الفاطمي الكبير الجنوبي الشرقي[١].

وأنا أذكر هذه الرواية، والمؤرخ أيمن فؤاد ممن يوثق بهم، في الكتابات التاريخية، وفي الوقت نفسه أتحفظ عليها، وهي بحاجة إلى دراسة آثارية عميقة، بعيدة عن اهتمامات هذه الرسالة، التي يهمها ماأنفق من أموال على المشاهد، والاضرحة والمزارات، لترسيخ المكانة الدينية للفاطميين وللقاهرة الفاطمية.

هـ- البيمارستانات (المستشفيات) :

لاريب ان صحة الناس، وعلاج أمراضهم، من الخدمات العامة، الأساسية، فهي تتعلق بحياة الناس وأسرهم، لكن مما يؤسف له قلة الروايات التي ذكرتها المصادر عن هذه البيمارستانات على الرغم من أن الفاطميين أبدوا عناية فائقة في مجال الصحة، فيمكننا أن نتوصل إلى أن الخلفاء الفاطميين وعلى مر العقدين من الزمان كان لهما أطباء خاصين بحضرة الخليفة ومعاونيه، وقد ذكرنا في مجال الإنفاق الراتب الذي خصص للطبيب الخاص إذ تتجلى هذه المهنة بالحالة الصحية للناس والاهتمام بها، وهناك إشارة ذكرها القلقشندي نقلاً عن ابن عبد الظاهر: بأن البيمارستان كان أولاً بالقشاشين يعني المكان الذي سمّي على زمن وجوده بالخراطين بالقرب من الجامع الأزهر[٢]. وقد احتوى القصر الشرقي الكبير على خزانة لصرف الدواء تسمى خزانة الشراب، وهنالك مجموعة من الأطباء نذكر منهم أطباء الخليفة وهم من أهل الذمة على الأغلب وكان عددهم أربعة أو يزيد بواحد يرأسهم (طبيب خاص) فكان طبيب المعز لدين الله قبل الحكم اسحاق بن سليمان اليهودي، ثم اتخذ موسى ابن العازار طبيباً له بعد تولي الحكم[٣] وكان طبيب الخليفة العزيز بالله أبو

---

[١] ابن جبير ، رحلة ابن جبير ، ص٤٨ ؛ سيد، أيمن فؤاد، الدولة الفاطمية في مصر، تفسير جديد، ص٦٢٤ ؛ عبد الوهاب ، المساجد الأثرية، ج١، ص٨٤ .

[٢] صبح الأعشى، ج٣، ص٤١٧.

[٣] ابن خلدون، العبر، ج٤، ص٤٥؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٤٩٦.

الفتح سهل بن مقشر النصراني أبو يعقوب ، أمّا اسحق بن إبراهيم بن نسطاس بن جريج فكان طبيب الحاكم بآمر الله[1].

---

[1] ابن أبي أصيبعة،موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي (ت٦٦٨هـ/١٢٦٩م) ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٥٧م،ج٣، ص٤٤١؛ القلقشندي ،صبح الأعشى ، ج٣، ص٤٩٦ ؛ عامر ، د. فاطمة مصطفى ، تأريخ أهل الذمة في مصر الإسلامية (من الفتح العربي إلى نهاية العصر الفاطمي) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر ، ٢٠٠٠م ، ج٢، ص٢٥٢ .



الفصل الثالث
إدارة الدولة الفاطمية للشؤون المالية

التمهيد.

أولا-بيت المال.

ثانيا–الدواوين المالية وادارتها .

١-ديوان النظر.

٢-ديوان المجلس

٣-ديوان التحقيق

٤- ديوان الخاص

٥-ديوان الرواتب

٦- ديوان المستغلات

٧- ديوان الثغور

٨- ديوان الإقطاع

ثالثا-موظفو الدواوين وطرق تعيينهم

١-الناظر

٢- الناقد

٣-متولي الديوان

٤ – المستوفي

٥- المعين

٦ – الناسخ

٧- المشارف

٨ – العامل

٩- الكاتب

١٠- الجهبذ

١١-الشاهد (العدول)

١٢- الشاد

١٣- الأجناد

١٤- النايب (النائب)

١٥- الأمين

١٦- الماسح

١٧- الدليل

١٨- الحايز

١٩- الخازن

٢٠- الحاشر

٢١- المبيض

٢٢- متصرف

رابعا - التنظيم الإداري للدولة

خامسا- السفتجة

التمهيد :

عندما كان الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) يرسل (وعند استقباله الوفود) إلى القبائل من يفقهها في الدين ويعلمها أحكام القرآن، كان يضع اللبنة الأولى للتنظيم الإداري الذي كانت تغلب عليه الصبغة الدينية[1]، وقد اتسع التنظيم في حياته يوم بدأ ينيب عنه بعض العمال أو الموظفين في بعض المدن والقبائل الكبيرة، وكانت أهم وظائفهم فضلاً عن أمامة المسلمين في الصلاة، فهو إصدار الأوامر في جمع الزكاة وجبايتها قبل تفصل شؤون الخراج، ولعل أول عطاء مالي إداري وضع للعمال والولاة والموظفين على عهد النبي، مافرضه عليه الصلاة والسلام لعتاب بن أسيد نائبه على مكة، فقد خصه بدرهم واحد كل يوم[2]. وباتساع الدولة العربية الإسلامية بدأ التنظيم الإداري في كل مراحل الحياة حتى كانت هناك مجموعة من الدواوين خصصت للأغراض ذاتها[3].

أمّا في الحديث عن التنظيم الإداري للشؤون المالية في مصر الفاطمية، فإن الفاطميين عدوا نظاماً فريداً لينافسوا بذلك الخلافة العباسية في بغداد وعملوا على مضاهاتهم وخاصة في مجال التنظيم والإدارة، فعملوا على تقدم وتطور الماكنة الإدارية وأصبحت القاهرة مقراً للخلافة المترامية الأطراف ومنها مصر، فطوروا لدواوين الموجودة فيها واستحدثوا أخرى تبعاً لحاجة البلد وإيحاءاً من عقيدتهم التي آمنوا بها[4].

رتب الفاطميون عند دخولهم مصر الدواوين[*]، فاتخذ جوهر بقصر الخليفة عدة خزائن، ورتب بالقصر الدواوين، ولما قدم الخليفة المعز لدين الله ونزل بقصره، أبقى

---

[1] ابن سعد، عبد الله محمد بن منيع (ت٢٣٠هـ/٨٤٤م)، الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، ١٩٥٧م، ج١، ص١٢٩.

[2] ابن هشام، أبو محمد عبد الملك (ت٢١٣هـ/٨٢٨م)، السيرة النبوية، تحقيق: هشام عبد الرحيم سعيد، مكتبة المنار، الاردن، ١٩٨٨م، ج٢، ص٥٠٠؛ الصالح، صبحي، النظم الإسلامية، ص٣٨.

[3] ولمزيد من المعلومات راجع: الجهشياري، الوزراء والكتاب ، ص٤٩و٤٨و ٩٨ .

[4] ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢، ص٥٠٠؛ الصالح، صبحي، النظم الإسلامية، ص٣٨؛ الدوري، عبد العزيز، النظم الإسلامية، جامعة بغداد، دار الحكمة ، العراق،١٩٨٨م، المقدمة ؛ الخربوطلي، علي حسين ، الإسلام والخلافة، دار الكتب للطباعة والنشر، بيروت ، ١٩٦٩، ص٢٩.

[*]الديوان في اللغة: يقال دون الكتب جميعها، وهو ديوان الحساب، وقيل هو الدفتر يكتب فيه أسماء الجند لأجل العطاء، أمّا اصطلاحاً : فالديوان موضع لحفظ ما يتعلق بالسلطنة من الأعمال والأموال =

دواوين دولته كما وضعها جوهر، ولما مات الخليفة المعز سنة ٣٦٥هـ/٩٧٥م، وعهد بالخلافة لابنه العزيز بالله، قلد الأخير الوزارة ليعقوب بن كلس الذي بدوره نقل الدواوين إلى داره فأصبحت الدواوين في قصر ابن كلس[١].

عندما توفي يعقوب بن كلس سنة ٣٨٠هـ/٩٩٠م، أمر الخليفة العزيز بالله بنقل الدواوين من بيت الوزير إلى القصر الفاطمي، واستمرت بالقصر إلى خلافة الحاكم بأمر الله نقلها أبو الفتح المسعود بن طاهر الوزان سنة ٤٠٩هـ/١٠١٨م –الذي تقلد الوساطة– إلى داره[٢]. وبعد ذلك رجعت الدواوين إلى مقرها بالقصر مرة أخرى، إلى أن نقلها أمير الجيوش إلى مسكنه الخاص سنة ٥٠١هـ/١١٠٧م، ورجعت إلى القصر الفاطمي بعد مقتل أمير الجيوش سنة ٥١٥هـ/١١٢١م[٣]. ولعل الإدارة بصورة عامة في الدولة الفاطمية كانت تدار مثلما كان قبلها بوساطة الدواوين التي كان يطلق عليها اسم "الوظائف الديوانية"[٤]. ومن الطبيعي أن يكون لهذه الدواوين موظفون قائمون بأعمالها والأشراف عليها، وهناك ما يميز العاملين فيها إذ غالباً ما كان المشتغل بإدارة الدواوين يتمثل بالثقافة الإدارية والأدبية[٥]، ويتم اختيار موظفي الإدارة من ذوي الخبرات مثل ابن منجب الصيرفي الذي عمل في ديوان المكاتبات وديوان الجيش والإدارة قبل أن يتولى ديوان الإنشاء في عهد الخليفة الآمر بأحكام الله

=ومن يقوم من الجيوش والعمال. ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص١٦؛ الماوردي، الأحكام السلطانية، ص٢٢٠ ؛ الزبيدي ، محب الدين أبو الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني(ت١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس ، الكويت، لات، ج٩، ص٢٠٤؛.

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٤٨٦-٤٨٩.

(٢) الصيرفي، الإشارة إلى من نال الوزارة، ص٣٣؛ عنان ، محمد عبد الله ، الوزير ابن كلس واضع الحجر الأول في صرح الجامعة الأزهرية، مجلة الرسالة المصرية، العدد١٣٦، لسنة١٩٣٦، ص٢٠٥ -٢٠٦ .

(٣) المقريزي، الخطط، ج٢، ص٢٣٥-٢٣٦.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٤٨٩؛ ماجد ، عبد المنعم ،تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٣م، ص٣٤.

(٥) ابن أبي الربيع : شهاب الدين أحمد بن محمد (ت٢٧٢هـ/٨٥٥م) ، سلوك الممالك في تدبير المالك ، تحقيق ناجي التكريتي، دار الأندلس ، بيروت ، ١٩٨١م، ص١٩٥؛ الثعالبي : ابو منصور عبد الملك بن محمد بن سليمان (ت ٤٢٩هـ/١٠٩٧م) ، تحفة الوزراء ، تحقيق حبيب علي الراوي والدكتورة أبتسام الصفار، مطبعة العاني ، ١٩٧٨م، ص٦١.

وهذا النظام الإداري كان يهيئ للموظفين قدراً كبيراً من الثقافة الإدارية، مما يوفر لهم الفرصة الكاملة في القيام بواجباتهم على أكمل وجه(١).

لقيت النظم الإدارية بصورة عامة والمالية بصورة خاصة في الدولة الفاطمية تغيراً كبيراً طوال الحكم الفاطمي لأكثر من قرنين من الزمن، ولم يكن الفاطميون على دراية كافية بأغلب الدواوين خلال الستين سنة التي أمضوها في شمال أفريقية، وإن قسماً كبيراً لم تعرفه النظم المصرية السابقة للفاطميين، بل أن الفاطميين استحدثوا نظماً بعد انتقالهم إلى مصر. ولعل ذلك يعود إلى خبرة يعقوب ابن كلس وعسلوج بن الحسن اللذين أدخلا تنظيماً صارماً على الإدارة والنظم المالية بالإضافة إلى سعة مصر وعظم ايراداتها وخبرتها في ميدان الإدارة قبل العصر الفاطمي وكان هو أساس النظام المالي المعقد للمؤسسات العامة التي تمت واستجدت تدريجياً طوال العصر الفاطمي، فضلاً عن النظام الإداري للدولة فقد استمر العمل في الإدارة المالية "الجهاز المالي" في حاضرة مصر وبقية الأقاليم التابعة لها(٢)، حيث كانت مصر وهي قاعدة الدولة الفاطمية مقسمة إلى أربع ولايات كبرى هي(٣):

أولاً - ولاية قوص: كانت أعظم ولايات مصر، لأن عاملها يحكم جميع بلاد الصعيد، ويتولى إقليم الأشمونيين بالإضافة إلى عملهِ الأصلى.

ثانيا- ولاية الشرقية : حيث تأتي الشرقية بعد ولاية قوص من ناحية الترتيب ويلي عاملها المحلة ومنوف واشموم.

ثالثا- ولاية الغربية: وهي تأتي بعد الشرقية في الرتبة، ويلي عاملها المحلة ومنوف وأبيار.

رابعا- ولاية الإسكندرية: وتلي ولاية الغربية في الرتبة، ويلي عاملها إقليم البحيرة كله. وضمت هذه الولايات الأربع كوراً أخرى صغرى وهي حسب ما ذكر لنا

---

(١) سرور، جمال الدين، الدولة الفاطمية في مصر، ص١٤٥.

(٢) النابلسي ، لمع القوانين المضيه ، ص٣٧-٣٨ ؛ طوسون ، عمر ، مالية مصر ، ص٢٢٧. .

(٣) ينظر الملحق رقم (٧) والخاص بالتقسيم الإداري في مصر الوجه البحري والوجه القبلي؛ فرج ، فؤاد ، المدن المصرية وتطورها مع العصور القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٤٦م، ص٤١٤.

أبن مماتي قائلاً في الباب الذي عقده للتقسيم الإداري في أواخر عصر الفاطميين وأوائل عصر الأيوبيين: وهي الشرقية والمرتاحية والدهلقية وجزيرة قويسنا الغربية، والسمنودية والدنجاوية والمنوفية، وجزيرة بني نصر، والتستراوية والبحيرة وحوض رمسيس والكفور الشاسعة، وفوه، والمزاحمتين والجيزة والأطفحية والبوصيرية، والفيومية، والبهنسارية (وهي الآن محافظة المنيا) والأسيوطية، والأخمينية والقوصية[١]. وفي عهد الخليفة الفاطمي المستنصر بالله أوردلنا أحد المؤرخين بياناً شاملاً على النواحي والكفور بكل كورة ومديرية[٢].

استمر هذا التقسيم وبقي على حاله إلى قيام الدولة الأيوبية عهد السلطان الكامل[٣].

أولاً - بيت المال :

وظيفة بيت المال النظر في كل ما يتعلق بأموال الدولة من خراج وصدقه وأعشار وأخماس وجزية، ويسمى أيضاً الديوان السامي وهو أصل الدواوين ومرجعها عندهم ووظيفته أن يثبت في جرائده جميع أصول الأموال السلطانية على أصنافها من عين وغلال وفيء وهو المال الذي ناله المسلمون دونما قتال فهو أساساً : ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ﴾[٤]وغنائم وأعشار وأخماس ويثبت ما تحصل من ذلك ويتخذ بيوتاً لأصناف الأموال ويجعل عليها دواوين وحرساً[٥].

---

[١] قوانين الدواوين، ص٨٥-١٠٨.

[٢] البستاني ، بطرس ، دائرة المعارف الإسلامية ، دار المعرفة ، بيروت ،لات، ج٦، ص٦٠٨ ؛ الأرمني، كتاب كنائس وأديرة مصر، ص١٠٨.

[٣] النابلسي، ص٣٧-٣٨.

[٤] سورة الحشر ، الآية (٧) .

[٥] ابن منظور، لسان العرب،ج٣،ص١٦٥؛الزبيدي، تاج العروس،ج٩،ص٢٤٠؛ الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص٢١ ؛ قدامة بن جعفر ، العلامة أبي الفرج الحافظ بن قدامة بن زياد البغدادي = =(ت٣٢٨هـ/٩٣٩م) ، الخراج وصناعة الكتابة ، شرح وتحقيق محمد حسن الزبيدي ، دار الرشيد للنشر، ١٩٨١م، ص٣٦.

إنقسم بيت المال إلى قسمين، الأول: أطلق عليه بيت مال العامة وهو مصطلح أطلق على المؤسسات التي قامت بالإشراف على الأموال الواردة من مختلف الجهات، تتجمع فيه، وتتراكم، لهدف الانفاق في المجالات التي تعينها الدولة وفق مقتضيات المصلحة العامة[١]. وإذا ماأردنا أن نقارنه بالمؤسسة المالية في الوقت الحاضر فيمكن عده بمثابة وزارة مالية والقائم على إدارتها بمثابة وزير مالية الذي سمّي في بداية الدولة العربية الإسلامية اسم صاحب بيت المال، وللدلالة على الاتجاه الديني للأموال يسمى "بيت مال المسلمين"، وجاءت تسمية بيت مال العامة في حقب متأخرة بعد أن استحدث بيت مال الخاصة[٢]، وقد يطلق عليه بيت مال الله[٣]

يعد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أول من قام بتنظيم شؤون المسلمين بعد هجرته إلى المدينة المنورة حيث كانت الأموال تأتي إلى الدولة الإسلامية التي مازالت فتية من الجزية والغنائم والصدقات، وعمل (عليه الصلاة والسلام) على توزيع كل ما يرد اليه حسب ما أمر به الله سبحانه وتعالى ولا يبقي منه شيئاً[٤]. ومن خلال ذلك يمكننا القول أنه لم يكن هناك بيت مال في عهد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وكذلك الحال في خلافة أبي بكر الصديق (رض) وتشير المعلومات إلى أن الخليفة عمر بن الخطاب (رض) كان مسؤولاً عن توزيع الأموال على مستحقيها في خلافة أبو بكر الصديق (رض)[٥].

بعد أن زادت الأموال المتدفقة إلى الدولة العربية الإسلامية في خلافة عمر بن الخطاب (رض) صار لزاماً على القائمين على إدارة الدولة أن يوزعوا قسماً من

---

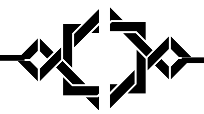
[١] ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص١٦.

[٢] الزبيدي، تاج العروس، ج ، ص ؛ متز، الحضارة الإسلامية، ج٢، ص١٣١؛ الدجيلي، خولة، بيت المال، ص١٣.

[٣] الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص١٤٤ ؛ الأنباري ، عبد الرزاق ، تاريخ الدولة العربية، ص٥٧٥ .

[٤] أبو عبيد، القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ/٨٣٨م)، كتاب الأموال، تحقيق: محمد خليل هراس، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص٣٥٤.

[٥] القلقشندي، صبح الأعشى، ج١، ص ٤١٣؛ الأنباري ، عبد الرزاق ، تاريخ الدولة العربية، ص٥-٢١ .



الأموال، ويبقوا قسماً آخر ليوزع بعد حين على مستحقيه فمنذ ذلك الوقت حفظت تلك الأموال في مكان أمين يسمى بيت المال[١]. إلى ذلك تعود فكرة تأسيس بيت المال إلى الخليفة عمر بن الخطاب (رض)[٢]. أّما الخليفة عثمان بن عفان فقد استغنى وتعفف[٣]. وكذلك الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) الذي كان يكنس بيت المال ويصلي به[٤].

أّما في العصر الأموي فاعتمر بيت المال الذي نشط نتيجة اعتماده على الغنائم والصدقات والفيء[٥]، وكان المباشر لبيت المال ضبط ما يدخل اليه وما يخرج منه، ويحتاج إلى ضبط ما يصل اليه المال إلى أن يقيم لكل عمل من الأعمال وجهة من الجهات أوراقاً مترجمة باسم العمل أو الجهة، ووجوه أموالها فإذا وصل إليه وضع الرسالة الواصلة قريبة من ذلك العمل ثم شطبها بما يصح عنده من الواصل اليه[٦].

واستمر العمل على هذا المنوال طيلة العصر العباسي مع إدخال بعض التغييرات كالتي عملها الخليفة المهدي في ديوان الزمام وديوان زمام الأزمة[٧].

أّما في العصر العباسي، فالأموال لها ديوان الخزانة ويجب أن يكون مباشروه قضاة المسلمين أنفسهم بلا نواب عنهم، ومعهم خزندارية[٨] أمناء أكفاء من أقوى

---

[١] أبو يوسف، الخراج، ص٤٥؛ البلاذري ن فتوح البلدان ، ص١٣١.

[٢] الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ،ج٣، ص٥٨٧ ؛ ابن الجوزي، عبد الرحمن بن محمد (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م)، تاريخ عمر بن الخطاب، مطبعة التوفيق الأدبية، القاهرة، لا ت، ص١٠٦ ؛ الأنباري، تاريخ الدولة العربية، ص٥٧٥.

[٣] اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٩٣.

[٤] السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص١٨٠.

[٥] الطبري ، تاريخ الرسل والملوك،ج٣،ص٥٨٧؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٥؛ الصالح، صبحي،النظم الإسلامية، ص٢٥٦.

[٦] النويري، نهاية الأرب، ج٨، ص٢١٧.

[٧] الطبري، تاريخ الرسل والملوك،ج٨، ص١٥٩ ؛ الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص١٦٦.

[٨] ابن عبد ربة ، أبو عمر أحمد بن محمد الأندلسي (ت٣٢٨هـ/٩٤٠م) ، العقد الفريد ، تحقيق أحمد أمين وإبراهيم الأبياري وعبد السلام هارون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ، ١٩٥٢م، ج١، ص٣٠٥.

الناس ديانة، والغلال لها ديوان الأهراء، يجب أن يكون مباشروه من أكبر العدول الدينيين الأعفاء، والأسلحة والذخائر لها ديوان خزائن السلاح يجب أن يكون مباشر هذه الجهة محتسب البلد لأنه يعرف أمور الاستعمالات[*] وأجور الصناع وأسعار الآلات، وكل ما استحقه المسلمون ولم يتعين مالكه منهم فهو من حقوق بيت المال والحق الذي يجب صرفه في مصالح المسلمين ثلاثة أقسام: الصدقة والغنيمة والفيء[١]، وقد وصف أحد الكتاب تنظيم الدواوين في مصر والتي استقرت منذ العصر الفاطمي ثم العصور التي تلتها وهذا النظام (الإداري المالي) تختلف عما كان متبعاً أيام سابقيها والأموال المستحقة على بيت المال تنفق في سبيل المصلحة العامة (الخدمات العامة) كبناء المساجد وكري الأنهار والبرك وبناء وترميم المارستينات ودور العلم والكتب وتجهيز المعدات الحربية ورواتب الجند وبناء السفن وبناء القناطر والجسور وتعمير الدواوين وغيرها ما يصب في مصلحة الدولة وكذلك اعطيات الوزراء والقواد والقضاة والحجاب والعمال.

أما الثاني فيطلق عليه بيت المال الخاصة فهو يختلف بيت مال الخاصة عن بيت مال العامة من حيث كونه يمثل الخزينة المستقلة الخاصة بالخليفة، فهو بيت مال الخليفة، إلا أنه لايختلف اختلافاً كبيراً حيث يمكن عدّه الخزينة الرديفة للدولة، التي يعتمد عليها في الحالات المالية الحرجة التي تمر بها الدولة.

ففي بداية السيطرة الفاطمية على مصر، بادر المعز لدين الله بإعداد الأموال اللازمة لإنفاقها على الحملة المزمع تسييرها نحو مصر[٢]، حيث سار بنفسه في الشتاء إلى المهدية وأخرج من قصور آبائه من الأموال ما مقداره خمسمائة حمل من

---

[*]الاستعمالات: ويقصد بها هنا استعمالات خاصة تخص منسوجات الخليفة التي منها المظلة التي تصنع من الحرير المزركش بالذهب كانت تحمل على رأس الخليفة في المواكب وتكون من لون الثياب التي يلبسها الخليفة حينئذ. المقريزي، الخطط، ج١، ص٤٠٩ .

[١] الصالح، صبحي، النظم الإسلامية، ص٢٢٢، حيث يصف هنا تنظيم دواوين الدولة كما استقرت في مصر منذ منتصف لعصر الفاطمي ثم العصور التي تلتها، وهذا النظام يختلف عما كان متبعاً أيام العباسيين والأمويين.

[٢] المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج١، ص٩٦-٩٧.

الدنانير ثم رجع إلى قصره[١]. وهذا يعطي انطباعاً عن مدى الثروة الخاصة التي امتلكها الخلفاء والوزراء الفاطميون لتسيير حملات عسكرية وتغطية نفقات الحملة بأجمعها، سواء في المغرب أم في مصر، ولاشك أن ثروة الخلفاء كانت أعظم من ثروة وزرائهم، فيذكر لنا أحد المؤرخين قائلاً : "إن ثروات الفاطميين كما دونها المؤرخين ليس من الممكن تصديقها بدون تردد، فكانت للمعز بنتين تركت إحداهما واسمها "رشيدة" مايقرب من مليون ونصف من العملة الذهبية (١.٧٠٠.٠٠٠) دينار أي زهاء ٤/٣ مليون جنيه، وتركت الأخرى واسمها "عبده"كثيراً من خزائن الحلي والصناديق التي تحتوي على خمسة أكياس من الزمرد، وثلثمائة قطعة فضية، وثلاثين الف ثوب فاخر، وغير ذلك من الذخائر، حتى كان الشمع الذي استخدم في الختم على هذه الثروة أربعين رطلاً، وأيضاً أن المعز اشترى ستارة من الديباج من فارس بما يقارب من إثنى عشر الف جنيه"[٢].

أمّا ثروة الخليفة الحاكم بأمر الله (٣٨٦-٤١١هـ/٩٩٦-١٠٢٠م) فهي عظيمة، حتى قيل ان الحاكم لما اتصل به خبر رسول امبراطور الروم وانه في طريقه إلى القاهرة وانه قد يمثل بين يديه، أمر بتزيين القصر، فكان من بين الأكياس التي تحتوي على الحرير المشغول بالذهب كيس عليه رقم "٣٣١"[٣].

أمّا ثروة ست الملك أخت الحاكم التي اشتملت على ثمانمائة جارية وثمان جرات ملأى بالمسك وكثير من الأحجار الكريمة من بينها قطعة من الياقوت تزن عشرة مثاقيل، وكانت مخصصات هذه الأميرة السنوية خمسين الف دينار[٤].

أمّا الخليفة المستنصر بالله (٤٢٧-٤٨٧هـ/١٠٣٥-١٠٩٤م)، فإنه لم يخلُ بيت ماله الخاص من الثروة، تلك الثروة التي تبين لنا مصادر ثروة مصر، وما كانت

---

[١] ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٤، ص٣١٣؛ ابن أبي دينار، أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني (ت ١٠٩٢هـ/١٦٨١م) المؤنس في أخبار أفريقيا وتونس، تحقيق: محمد شمام، ط٣، المكتبة العتيقة، تونس، لا ت، ص٦٤.

[٢] المقريزي، الخطط، ج١، ص٤١٥؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٢، ص٧٧.
Lean-Bool, The Story of Cairo, P.133.

[٣] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٢، ص٧٧.

[٤] المقريزي، الخطط، ج١، ص٤١٥.

عليه من يسر، وذلك كله ما ساعد على تنفيذ سياسة الفاطميين المالية، وكان من ضمن ثروة المستنصر شيء كثير ورثه عن آبائه وكان له من المال ثلاثون مليون دينار من الذهب[1]، واستمر ثراء الخلفاء الفاطميين وماكان يحتويه بيت المال حتى ان آخر الخلفاء الفاطميين فعلى الرغم من أن المؤرخين لم يمدونا ببيان عن الثروة التي خلفها العاضد (٥٥٥-٥٦٧هـ/١١٦٠-١١٧١م)، وقد أشار المقريزي إلى ضخامة القصر عند سقوط الفاطميين قائلاً : "وفي ثالث عشرية-يعني ربيعاً الآخر سنة سبع وستين وخمسمائة- كشف حاصل الخزائن الخاصة بالقصر مابين دينار ودرهم ومصاغ وجوهر ونحاس وأثاث وقماش وسلاح ما لا يفي به ملك الأكاسرة، ولا تتصوره الخواطر الحاضرة، ولا يشتمل على مثله الممالك العامرة، ولا يقدر على حسابه إلا من يقدر على حساب الخلق في الآخرة"[2].

أما عن الوزراء فلاشك أن وزراء العصر الفاطمي تمتعوا أيضاً بامتلاك ثروات ضخمة، منهم يعقوب بن كلس الذي خلف وراءه ثروة كبيرة من الأملاك والضياع والقياسر والرباع والأموال إلى جانب خزائن قصره التي امتلأت بالتحف النادرة والطرائف والجوهر والطيب وقد قدر ما تركه الوزير أربعة آلاف دينار عدا الانفاق على اعداد جهاز ابنته وبلغ هذا الجهاز مائتي الف دينار[3].

ان ما أورده مؤرخو العصر الفاطمي عن هذه الثروات الكبيرة، للخليفة، ولأفراد أسرته، إنما يدلل على بذخ كبير، على حساب بيت مال العامة، وعلى حساب تنامي النظام المالي للدولة الفاطمية، وهذه الظاهرة لا يختص بها الفاطميون فقد أسهمت جميع الدول، بما فيها الدولة العباسية.

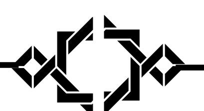
ثانيا- الدواوين المالية وادارتها :

---

(1) المصدر نفسه، ج١، ص٤١٨.

(2) المصدر نفسه ، ج١، ص٤٩٦.

(3) خسرو، سفرنامة، ص٣٧١.



كانت الدولة الفاطمية تقوم بتصريف شؤون البلاد وما تتطلبه من تدبير في مختلف مجالاتها عن طريق مجموعة من الدواوين[1] التي تخصص كل منها بعمل معين، واشترط وجود الخبرة في الإدارة ولاسيما المالية لأصحاب القدرة ، والدواوين ومفردها ديوان وهو اسم لموقع يجلس فيه الكاتب وقد اختلف الناس في أصله وتسميته . فقال بعظهم أنه عربي بمعنى ((الأصل الذي يرجع إليه ويعمل بما فيه)) وقال البعض الآخر أن أصله أعجمي ومعناه بالفارسية سجل أو دفتر، وكما اختلف الناس في أصله أهو عربي أم أعجمي كذلك اختلفوا في سبب تسميته بالديوان ، فقد ذكر الماوردي أن لهذه التسمية وجهان أحدهما : أن كسرى أطلع ذات يوم على كتاب ديوانه فرآهم يحسبون مع أنفسهم فقال : ((ديوانه)) –أي مجانين– ومن هنا سمى موضعهم بهذا الاسم ، ثانيهما : أن الكتاب كانوا مهره يقفون على الظاهر والخفي من الأمور لذلك سموا لحذقهم من الأمور التي تعرض عليهم بـ ((الديوان)) [2].

كان من الضروري بعد أن فتح الفاطميون مصر أن يستهلوا عهدهم بتنظيم الإدارة المالية وضبط موارد بيت المال والتدقيق في جبايتها حتى يتوافر لديهم المال الذي يكفل بقاء دولتهم وامتداد سلطانهم ويهيئ لهم سبيل حياة الترف والثراء التي جاهدوا أن ينافسوا بلاد العباسيين في ميدانها.

---

(١) ينظر : الملحق رقم (٨) والخاص بالدواوين في مصر الفاطمية.

(٢) ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدبنوري (ت٢٧٦هـ/٨٨٩م) ، عيون الأخبار ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣٤٣هـ/١٩٢٥م ،ج١، ص٥٠؛ الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى ابن عبد الله بن العباس بن محمد بن صول (ت٣٣٥هـ/٩٤٦م)، أدب الكاتب ، نسخه وعني بتصحيحه وتعليق حواشيه ، محمد بهجة الأثري ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٤٣١ هـ /١٩٢٢م،ج٢، ص١٨٧–١٩٥ح الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص١٩٩؛ ابن خلدون، المقدمة، ص٢٤٣؛ ابن الأزرق ، ابو عبد الله محمد بن محمد بن علي القاسم بن مسعود الأصبحي الغرناطي (ت٨٩٦هـ/١٤٩٠م) ، بدائع السلك في طبائع الملك ، تحقيق وتعليق د. علي سامي النشار ، دار الحرية للطباعة بغداد، ١٣٩٧ هـ/١٩٧٧من ج١ن ص٢٨٣ ، مشرفة ، نظم الحكم ، ص١٥١ .

وحينما دخل جوهر الصقلي مصر كان على الخراج علي بن العرمرم فأقره شهراً ثم أشرك معه رجاء بن صولاب[1]. وفي عام ٣٦٣هـ/٩٧٣م كان الخراج نصفين أحدهما في يد علي بن محمد بن طباطبا وعبد الله بن عطاء الله وصاحب بيت المال[2]. ولم يلبث أن هيمن يعقوب بن كلس على شؤون البلاد المالية إذ تولى الخراج وجميع وجوه الأموال والسواحل والأعشار، وأشرك معه عسلوج بن الحسن[3].

اتبعت الدولة الفاطمية سياسة الشدة في جباية الضرائب وتحصيل ماتأخر منها وحملوا الناس على عدم التأخير في دفع المستحقات من المال إلى بيت المال وعلى التعامل بالدينار المعزي وأبوا قبول الدينار الراضي إلا بأقل سعره بكثير، وقد علق النويري على ماتبعه الفاطميون في ذلك بقوله: "وهذا لم يسمح بمثله في أيام العزيز"[4]. وهذا يعني ان ذلك كان في خلافة الحاكم بأمر الله بعد خلافة العزيز بالله، فيرى في ذلك ان الناس نالوا إرهاق في تشديد الحكومة في جمع الأموال –إلا أنه في واقع الحال– بجانب هذا التدقيق حرصت الحكومة على فحص الشكاوى بخصوص الجباية وعملت على حماية الأهلين من تعسف جباة الضرائب.

ولما ولى العزيز بالله الخلافة (٣٦٥-٣٨٦هـ/٩٧٥-٩٩٦م) واتخذ يعقوب ابن كلس وزيراً وأطلق يده في تدبير الأمور، حيث عمل الوزير على نصب

الدواوين في داره: فّجعل ديواناً للعزيزية، فيه عدة كتاب وديواناً للجيش وديواناً للأموال وديواناً للخراج وديواناً للسجلات والإنشاء وديواناً للمستغلات"[5]. وبعد وفاته نقلت الدواوين إلى القصر.

---

(1) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ص٧٨؛ حسن إبراهيم حسن وعلي إبراهيم حسن، النظم الإسلامية، ص٣١٥.

(2) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ص٧٨؛ البراوي، راشد، حالة مصر الاقتصادية، ص٣١١.

(3) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ص٧٨.

(4) النويري، نهاية الأرب، ج٢٦، ص٤٩.

(5) المقريزي، الخطط، ج٢، ص٦ ؛ المناوي ، محمد حمدي ، الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي، دار المعارف ، مصر ، لات، ص٣٥ .

وبهذا العمل الإداري يكون الفاطميون عملوا على إنشاء إدارة مالية مركزية ومنظمة، ولا ريب أن إنشاء هذه الدواوين كان يتفق مع استقلال البلاد ويرمي إلى تقسيم العمل وضبط حسابات الدولة من دخل وخرج –وحقيقة الأمر– ان انتظام الإدارة الحكومية بصورة عامة يرتبط اوثق الارتباط بالإدارة المالية.

كان الفاطميون حريصين على متابعة الأمور المالية الخاصة بالبلاد بشكل مباشر خاصة بما يتعلق بتقدير الأرزاق، فقد كان الخليفة العزيز بالله شديد الرقابة على المسائل المالية ولذا نراه يقدر الرواتب للموظفين[١]. ولا يأتي ذلك العمل إلا لحكمة حتى لا يحيدوا عن الطريق المستقيم، وإن الخليفة حرم على الموظفين المشتغلين في ديوان الحكومة عليهم قبول الهدايا والرشاوى حتى لا تفسد ضمائرهم. فقد ذكر لنا أحد المؤرخين قائلاً : "إن الخليفة العزيز بالله حين ولى علياً بن العداس الأموال في سنة ٣٨١هـ/٩٨٣م أمره أن لايرتفق ولا يرتزق ولا يضع ديناراً ولا درهماً "[٢]. وهذا مايدل حزم الفاطميين باستخدام الشدة في تعاملهم المالي والإداري ليحافظوا بذلك على أموالهم من جهة، وليضمنوا حسن وسير تعامل الموظفين مع المال والرعية من جهة أخرى.

عرف الفاطميون في بداية حكمهم مصر عدداً من الدواوين، استمر بعضها يعمل إلى نهاية دولتهم وزال أغلبها أو تبدل أو تغيرت أهميته في النصف الثاني من تاريخ الدولة، وقد تطرقنا في مواقع مختلفة إلى بعض الدواوين كالتي اختصت بالإنفاق العام أم دواوين الموارد المالية إلا أننا نود هنا عرض بعض الدواوين ذات الاختصاص الإداري والتي تنسجم مع جهاز الدولة الإداري ومنها:

١- ديوان النظر:

كانت الإدارة المالية في مصر الفاطمية تشتمل على عدد من الدواوين لكل منها اختصاصه المحدود ومن هذه الدواوين ديوان النظر وكان صاحب هذا الديوان يسمى ناظر الدواوين، وانقسمت أعماله إلى قسمين: أولهما الإشراف العام على الشؤون

---

[١] النويري، نهاية الأرب، ج٢٦، ص٤٩.

[٢] النويري، نهاية الأرب، ج٢٦، ص٤٩ ؛ المقريزي، الخطط، ج١، ص٤٩١.

المالية من إيراد ومنصرف في مختلف الدواوين المركزية في القاهرة، وثانيهما الإشراف المحلي على الأحوال المالية في مختلف الأعمال المصرية[١]. ولعله يتقارب في عمله مع أحد الدواوين المالية في العصر العباسي والمعروف بـ"ديوان المكاتبات والمراجعات"[٢]. فقد كان صاحبه يرأس دواوين الأموال، ولأن ديوان النظر يقوم بالإشراف المالي عليها جميعاً فيعد رأس الدواوين، ولصاحبه حق العزل والولاية وهو الذي يعرض على الخليفة أو الوزير[٣]. وصاحب الديوان كان من اختصاصه، انه مكلف بالنظر إلى كافة الدواوين[٤]، فهو فضلاً عن رئاسة إدارة الديوان كان يتمتع بصلاحيات تمكنه من اختيار وتولية من يشاء لشغل الوظائف الإدارية، كذلك له النظر في الأرزاق الخاصة بالدولة،ومن ثم عرضها على السلطات المختصة التي تمتلك القرار النهائي بصرفها أومنعها، وغالباً ماكان يحدث ذلك في أوقات معلومة من السنة[٥]. وله الحق في عزل من يشاء من موظفي الدولة.

وغالباً ما كان صاحب هذا الديوان يكلف بمتابعة عملية تجميع اموال الدخل العام للدولة من مصادرها واستخدام الشدة مع المطالبين بتسديد الأموال إذا ما تأخروا أو تراخوا في تسديدها، وله -صاحب الديوان- الهيبة والوقار في الجلوس بالمرتبة والمسند وبين يديه حاجب من أمراء الدولة، حيث له الحق في تنظيم الدخول والخروج من الديوان وإليه، وتخرج من خزانة الخليفة إلى صاحب الديوان الدواة[٦].

واتبع الفاطميون طرائق تعد من أسلم الطرائق الإدارية التي بموجبها يحتفظ المال العام ويحرص عليه، فلم تكن الدولة الفاطمية تسمح بأن يتولى هذا الديوان سوى المسلمين وهذا الإجراء يعود بالنفع خاصةً مايناسب الجذور التاريخية والدينية

---

[١] النابلسي، لمع القوانين المضية في دواوين الديار المصرية، ص٢٨-٣٠.

[٢] متز، الحضارة الإسلامية، ج١، ص١٢٦-١٢٧؛ الأيوبي، الياس، الفاطميون، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة، لا ت، ج٢، ص١٥٤؛ حسن إبراهيم، النظم الإسلامية، ص٢٢٣؛ حسن، حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، القاهرة، ١٩٦٧م، ج٢، ص٢٠٥.

[٣] القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٥٦٦؛ المقريزي، الخطط، ج١، ص٤٠٠.

[٤] القلقشندي، صبح الاعشى ، ج٣، ص٦٠٠؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٣، ص٣٤٠.

[٥] المقريزي، الخطط، ج١، ص٤٠١؛ اتعاظ الحنفا، ج٣،ص٣٣٨؛ المواعظ والاعتبار،ج١،ص٨٤ .

[٦] المقريزي، الخطط ، ج١، ص٤٠٠؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٤٩٤.

لهذه الدولة –ومن خلال البحث– وجدنا فقط إشارة تعد فريدة من نوعها بهذا الخصوص فيما عدا "الأخرم أو الأكرم" أبي الأكرم ابن أبي زكريا النصراني الذي توصل إلى ولاية الديوان عن طريق ضمنه بعض الأراضي ويبدو أنه كان لا يبقي في ذمته شيئاً من مبلغ الضمان وكان ذلك سنة ٥٣٠هـ/١١٣٦م، أيام الخليفة الحافظ لدين الله[١]. إلى أن عزله الوزير رضوان بن ولخشي سنة ٥٣٢هـ/١١٣٧م، واستخدم بدلاً عنه المرتضى المحنك الطرابلسي[٢].

وقد تولى نظر الدواوين عدد من الموظفين وكان أقدمهم الشريف معتمد الدولة علي بن جعفر بن غسان المعروف بابن أبي العساف الذي تولى نظر الدواوين بعد عزل وليالدولة أبي البركات يُحنا ابن أبي الليث عن ديوان التحقيق والمجلس سنة ٥٢٧هـ/١١٣٣م[٣].

وفي سنة ٥٢٩هـ/١٠٣٥م ولى الخليفة الفاطمي الحافظ لدين الله أبا الكرم الأخرم ابن أبي زكريا النصراني نظر الدواوين وهو –وكما أسلفنا– النصراني الوحيد الذي تولى هذا الديوان إلى أن عزله الوزير رضوان بن ولخشي واستخدم عوضاً عنه القاضي المرتضى ولكنه لم يلبث أن صرفه الخليفة الحافظ وأعادّ الأخرم إلى ضمان الدولة بعد عزل رضوان.

وفي سنة ٥٤٢هـ/١١٤٧م أوكل نظر الدواوين إلى القاضي الموفق أبي الكرم محمد بن معصوم التنيسي ثم صرف عنه في سنة ٥٤٢هـ/١١٤٧م وأعيد إليه المحنك[٤].

ومن تولى نظر الديوان أبو الحسن علي بن سليم البواب الذي قتله الوزير الصالح طلائع بن رزيك مع آخرين في سنة ٥٥٠هـ/١١٥٥م[٥]. ومحمد بن محمد

---

[١] ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص٧٩-٨٠؛ ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص٢٩٨.

[٢] ابن ميسر، أخبار مصر، ص١١٩؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٣، ص٢٤٨.

[٣] الأرمني، تاريخ كنائس وأديرة،، مصر ص٦٤؛ ابن ميسر، اخبار مصر، ص١١٩؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٣، ص٢٤٨؛ المقفى الكبير، ج٦، ص٤٨١.

[٤] ابن ميسر، أخبار مصر، ص١٣٦-١٥٣؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٣، ص١٨٢.

[٥] ابن ميسر، اخبار مصر، ص١٥٣؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا ، ج٣، ص٢٢١.

بن بنان الأنباري الذي ذكره أحد المؤرخين قائلاً، انه: "تولى ديوان النظر في الدولة المصرية وتقلب في الخدم في الأيام الصلاحية بتنيس والاسكندرية"[١].

أما اختصاص ديوان النظر فقد لخصه ابن الطوير بقوله: "أمّا دواوين الأموال فإن أجلها من يتولى النظر عليهم وله العزل والولاية ومن في يده عرض الأوراق في أوقات معروفة على الخليفة أو الوزير وهو يندب المترسلين لطلب الحساب والحث على طلب الأموال ومطالبة أرباب الدولة"[٢]. فكأنه -صاحب الديوان- يتولى مراقبة الإيرادات وما تجبيه منها الدواوين الأخرى وله أن يناقشها ويطالبها في حالة التأخير ويبدو أن اختصاصات كل من ديوان النظر والمجلس لم تكن منفصلة تماماً.

٢- ديوان المجلس:

وهو من دواوين الدولة المالية، حيث عدّ من أهم الدواوين الإدارية للدولة الفاطمية، ويبرز أهميته المؤرخ ابن الطوير بقوله: "هو أصل الدواوين وفيه علوم الدولة بأجمعها"[٣]. وكان يضبط في هذا الديوان حساب ماينفق في الدولة من المهمات، ليعلم مابين السنة والأخرى من التفاوت وغير ذلك من الأمور المهمة.

في سنة ٤٢٧هـ/١٠٣٥م أراد اليازوري وزير الخليفة المستنصر بالله ان يعرف قدر ارتفاع الدولة وما عليها من النفقات ليوازن بينهما تقدم إلى أصحاب الدواوين بأن يعمل كل منهم ما يجري في ديوانه وما عليه من النفقات ولما عملوا هذا العمل وانجزوه -وهو أشبه ما يسمى اليوم بالميزانية- سلمه إلى متولي ديوان المجلس لأن ديوانه أصل الدواوين ومرجعها كلها وزمامها فرأى ارتفاع الدولة الفي الف دينار، وكان خراج الشام وحده نصف ذلك المبلغ أي الف الف دينار، تصرف منه رواتب وكساوى قدرها ثلثمائة الف دينار، وثمن غلة للقصور مائة الف دينار ونفقات لها قدرها مائتا الف دينار، وصرف للعمائر ما يقام للضيوف الواصلين من الملوك

---

[١] الصفدي، الوافي، ج١، ص٢٨٢؛ الكتبي، فوات الوفيات، ج٣، ص٢٦٠.

[٢] نزهة المقلتين، ص٨٠؛ المقريزي، الخطط، ج١، ص٣١٨.

[٣] نزهة المقلتين، ص١٥٠؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٤٩٩؛ تامر، عارف، الحاكم بأمر الله خليفة وإمام ومصلح،ص٦٨؛ المقريزي، الخطط، ج١، ص٣٩٧؛ اتعاظ الحنفا، ج٣، ص٣٣٨.

الأجانب وغيرهم مائة الف دينار، وما يتبقى من المال بعد ذلك يحمل كل سنة إلى بيت المال[1]. ويتسم الدور الفعال لديوان المجلس بالمرونة حيث يشتمل على كل ما يتصل بالخليفة وتنظيم البلاط وتنظيم الأعياد والاحتفالات والنفقات الزائدة وتوزيع الاقطاعات والسياسة العامة[2].

اختص ديوان المجلس بعملين هامين: أولهما: التحدث بأمر الإقطاعات[3] والإشراف على الأعطية ومنع الكسوات وكذلك تسجيل ما يرد من الهدايا والتحف من الملوك والأمراء. والثاني: ضبط ما ينفق في الدولة من المهام لمعرفة مابين كل سنة من التفاوت، ويتم تسجيل كل ذلك في دفتر المجلس[4]، وهذا الديوان من أجل الدواوين وكان لا يتولاه إلا ذوي الكفاءات الإدارية العالية ويكون من أجل كتاب الدولة[5].

من مهام كاتب دفتر المجلس مسؤولية إعداد تقرير بعد استلام قوائم تتضمن أسماء المرتزقين والمبالغ المؤداة لهم عيناً وورقاً. فضلاً عن إعداد جداول تتضمن العطاء والظاهر في الرسوم التي تقر في السنة، والمبالغ التي تنفق في دار الفطرة، وفتح الخليج والأسمطة في شهر رمضان، وما يطلب من الأهراء من الغلال، وكذلك التشريفات وما لأولاد الخليفة وأقاربه على اختلاف طبقاتهم من الراتب[6]. ويتم ذلك بعد أن تتجمع لديه المعلومات من أصحاب الدواوين المختصة بهذه الأمور. ويتمتع

---

[1] المقريزي، الخطط، ج١، ص٣٩٨.

[2] المصدر نفسه، ج١، ص٣٩٨؛ سيد، أيمن فؤاد، الدولة الفاطمية، تفسير جديد، ص٣٥٠.

[3] المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٣، ص٣٣٨.

[4] ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص٧٥؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٤٨٩؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٣، ص٣٩٧.

[5] المقريزي، الخطط، ج١، ص٣٩٧.

[6] القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٤٨٩؛ المقريزي، الخطط، ج١، ص٣٩٨.

الكاتب برتبة كبيرة بين الموظفين، فهو يأتي بالمنزلة الثانية في الديوان واختص بمعاونة صاحب الديوان في أداء مهامه[1].

من الواضح ان الدواوين الإدارية والمالية في الخلافة الفاطمية لها خصوصيتها ولكن أحياناً يكون هناك نوعاً من الإنسجام الإداري مما يوحي لنا أن لا فرق بين هذا الديوان وذاك. أي الفرق بالاسم فقط، وفي حقيقة الأمر ان الدواوين في الدولة الفاطمية والبالغ عددها (٢٣) ديواناً كل منها يأتي بوظيفته لم يأتِ بها ديوان آخر، فضلاً عن الدواوين الخمسة التي أنشئت لخدمة أغراض معينة في الدولة الفاطمية[2].

ولم يكن يتولى "ديوان المجلس" عادة سوى النصارى على العكس من "ديوان النظر" إلى أن استخدم الوزير بن ولخشي المسلمين في المناصب الإدارية التي كانت معظمها بأيدي النصارى سنة ٥٣١هـ/١١٣٧م، وعلى الرغم من أن هذا الديوان عُرف منذ وزارة اليازوري سنة (٤٤٢-٤٥٠هـ/١٠٥٠-١٠٥٨م) في خلافة المستنصر بالله (٤٢٧-٤٨٧هـ/١٠٣٥-١٠٩٤م) فإن أول من تولى هذا الديوان هو أبو الطيب سهلون بن كيل المتوفى سنة ٤٨٠هـ/١٠٨٧م[3].

وفي أيام الوزير الأفضل شاهنشاه كان الشيخ أبو الفضل المعروف بابن الأسقف هو: "كاتب الأفضل والموقع عنه في الأموال والرجال ومتولي ديوان المجلس الأفضلي والنظر في جميع دواوين الاستيفاء على جميع اعمال المملكة"[4]. وكان من تولى هذا الديوان أكثر من مرة زمن الفاطميين والأيوبيين أبو الحسن بن عثمان المخزومي صاحب كتاب "المنهاج في علم خراج مصر"[5].

---

[1] القلقشندي، صبح الاعشى، ج٣، ص٤٨٩؛ المقريزي، الخطط ، ج١، ص٣٩٨؛أحمد ، أميرة إبراهيم ، الأوضاع الإدارية والاقتصادية في الدولتين الفاطمية والأيوبية، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، القاهرة ، كلية الآداب ، ١٩٩٥م، ص٢٣.

[2] الصيرفي،الإشارة إلى من نال الوزارة، ص٣٤؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص١٢٩.

[3] الصفدي، الوافي بالوفيات ، ج١، ص٢٢٨؛ الكتبي، فوات الوفيات، ج٣، ص٢٦٠.

[4] سيد، ايمن فؤاد، الدولة الفاطمية تفسير جديد، ص٣٥٢.

[5] المخزومي، المنهاج، ص٤٦.

ومن المهام الأخرى لديوان المجلس والهامة جداً عمل "الاستيمار" في نهاية ذي الحجة من كل عام، فقد كان كتاب ديوان الرواتب الخاص بدفع ارزاق ورواتب الجند "الذي أصبح فرعاً لديوان المجلس بعد أن كان فرعاً لديوان الجيش"[١] يجتمعون في هذا الوقت عند صاحب ديوان المجلس ويحررون قائمة بأسماء المرتزقين والمبالغ المؤداة لهم عيناً وورقاً، وقد تولى المؤرخ ابن الطوير (ت٦١٧هـ) بنفسه ديوان المجلس، حيث ذكر أن الاستيمار انعقد وقت توليه هذا المجلس على ما مبلغه نيف ومائة الف دينار أو مايقرب مائتي الف دينار[٢].

واتسم ديوان المجلس بدور فعّال حيث يشمل على كل مايتصل بالخليفة وتنظيم الأعياد والاحتفالات والنفقات الأخرى وتوزيع الإقطاعات والسياسة العامة للدولة، حيث يذكر صاحب الديوان أنه تم إعداد الأموال اللازمة والتي خصصت لأغراض الخدمات العامة للبلاد وتحت إشراف الخليفة مباشرة بعد اتخاذ الشدة والحزم وعدم التهاون في حالات التأخير في تقديم الخدمات العامة بالدولة، فقد كان الخليفة الفاطمي يسخط على موظفيه في حالة التقصير ولا يقبل منهم إلا العمل المستمر، فيذكر أنه قال إلى ابن أبي الليث صاحب الديوان: إذا بلغني أن بئراً معطلة وأرضاً بائرة وبلد خراب لأضربن عنقك[٣] وكان ذلك عندما فتح الديوان وكثرت الأموال عند أبي الليث.

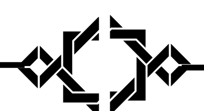
٣- ديوان التحقيق:

---

[١] المخزومي، المنهاج، ص٦٨-٩٨؛ وقد أشار أحد المؤرخين أن تاريخ التحاق ديوان الرواتب بديوان المجلس مجهولاً حيث لم لكي كن هناك ما يشير إلى حقبة التحاق ديوان الرواتب بالمجلس الذي كان معروفاً هو فرعاً لديوان الجيش ، سيد ، ايمن فؤاد ، الدولة الفاطمية في مصر ، تفسير جديد، ص٣٥٠ .

[٢] نزهة المقلتين ، ص٨٩ ؛ المقريزي، الخطط، ج١، ص٨٢، ٩٩؛ النابلسي، لمع القوانين المضية، ص٣٦.

[٣] المقريزي، الخطط، ج١، ص٤٠١.



من الدواوين التي لها أهمية كبيرة في إدارة الدولة المالية في الخلافة الفاطمية هو ديوان التحقيق، حيث لم يكن ذلك شائعاً قبلها، ففي سنة ٥٠١هـ/١١٠٧م استجد الوزير الأفضل ديواناً سماه "ديوان التحقيق" مقتضاه المقابلة على الدواوين، وكان لايتولاه إلا كاتب خبير ويلحق بمتولي "نظر الدواوين"[١]. ومن مهامه مراقبة الدواوين المالية الأخرى فهو أقرب إلى جهاز الحسابات أو أشبه مايسمى "الرقابة المالية في الإدارة المعاصرة" وكذلك ان هذا الديوان إذا ماقارنا مهامه بدواوين الدولة العباسية فهو يشبه "ديوان الأزمة" الذي أوجده الخليفة المهدي سنة ١٦٢هـ/٧٧٨م[٢].

كان أول من تولى إدارة أعمال ديوان التحقيق الشيخ ولي الدولة أبو البركات يُحنا بن أبي الليث وتحمل هذا الديوان عبء مراجعة وتنظيم الحسابات المالية في الدولة وكان لمتوليه الخلع ومرتبة يجلس عليها[٣]. وقد أطلق على هذا الديوان عدة تسميات، فأطلق عليه اسم "ديوان المملكة"[٤]. وأطلق عليه في إحدى الوثائق المؤرخة في رمضان سنة ٥٠٤هـ/١٠١٥م، اسم "ديوان التحقيق الأفضلي السعيد"[٥].

كان الشيخ أبي الفضل ابن الأسقف في ذلك الوقت أي في خلافة الحافظ لدين الله يتولى ديوان المجلس وبعد وفاته جُمع لابن أبي الليث "ديوان المجلس وديوان التحقيق" وظل يليهما إلى أن صرفه الخليفة الحافظ سنة ٥٢٧هـ/١١٣٣م –وعلى ما يبدو– أن هذا التغيير في إدارة الديوان جاء نتيجة تقصير في عمل ابن أبي الليث أدى إلى تنحيته من إدارة الديوان الذي سلمه بدوره إلى الشريف معتمد الدولة علي بن جعفر بن غسان المعروف بابن العساف[٦]. ولم يكد يمضي عامان حتى استخدم الخليفة الحافظ الشيخ الرئيس ابا زكريا بن يحيى المعروف الأكرم ابن الشيخ السعيد

---

[١] المصدر نفسه ، ج١، ص٤٠٠؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٤٩٤.

[٢] الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص١٤٢.

[٣] القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٤٩٤؛ المقريزي، الخطط، ج١، ص٤٠٠.

[٤] ابن ميسر ، أخبار مصر ، ص٩٠ ؛ كاهن ، تاريخ العرب والشعوب الإسلامية،ص٩٠.

[٥] وثائق الجيزة نقلاً عن سيد ، أيمن فؤاد ، الدولة الفاطمية ، تفسير جديد، ص٤٨٠ .

[٦] الأرمني، كنائس وأديرة، مصر، ص٦٤؛ ابن ميسر، أخبار مصر، ص١١٦؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٣، ص١٤٨.

أبي المكارم[1] الأخرم النصراني في ديوان التحقيق في أيام وزارة بهرام الأرمني سنة ٥٣٠هـ/١١٣٦م. وتولى بعد ذلك ديوان النظر على جميع الدواوين وظل يتردد بينها إلى آخر ربيع الأول سنة ٥٤٢هـ.

وفي سنة ٥٣١هـ/١١٣٦م، تولى رضوان بن ولخشي الوزارة وبعد أن تم عزل بهرام الأرمني عن أعمال الديوان "أمر بعدم استخدام النصارى في الدواوين الكبار ولا نظاراً ولا مشارفين"[2]. فعين القاضي ابا الحسن علي بن سليم بن البواب والقاضي المرتضى المحنك الطرابلسي على ديواني التحقيق والمجلس وديوان النظر عوضاً عن ابن بولس الأخرم النصراني[3].

وفي أول الأمر كان ديوانا المجلس والتحقيق يجمعان لشخص واحد كما حدث مع الشيخ ولي الدولة أبي البركات يحنا بن أبي الليث يؤكد ذلك المنشور الذي أصدره الخليفة الآمر بأحكام الله في أعقاب وفاة الوزير الأفضل بن بدر الجمالي في شوال سنة ٥١٥هـ/١١٢١م "بإمضاء ما كان الوزير قد قدره وخرجت به توقيعات قبل قتله وعدم تغيير شيء منه" أمر باعتماده في ديواني التحقيق والمجلس وان يخلد بها[4].

٤- ديوان الخاص :

إلى جانب ديواني المجلس والتحقيق كان هناك ديوان آخر يعرف بـ"ديوان الخاص" الذي تتجلى مهمته بالإشراف على نفقات الخليفة والقصر، وكان يجمع دائماً إلى ديوان المجلس فيقال "ديواني المجلس والخاص السعيدين"[5]، أو "ديوان

[1] سيد، أيمن فؤاد، الدولة الفاطمية تفسير جديد، ص٣٥٣.
[2] المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٣، ص١٦٣.
[3] المصدر نفسه ، ج٣، ص١٦٥.
[4] المصدر نفسه، ج٣، ص٦٩.
[5] ابن المأمون ، الأمير جمال الدين أبو علي موسى (ت٥٨٨هـ/١١٩٢م)، أخبار مصر ، تحقيق وكاتب المقدمة ، أيمن فؤاد سيد ، المعهد العالي الفرنسي للآثار الشرقية ، القاهرة ، ١٩٨٣م، ص٦٦؛ المقريزي، الخطط، ج١، ص٣٩٩.

الخاص والمجلس"[١].وعادةً ماكانت هذه الدواوين تنسب إلى الخليفة الحاضر كأن يقال "الديوان الخاص الآمري"[٢]، أو "ديوان المجلس الفائزي"[٣]، أو "ديوان النظر الحافظي" أو "ديوان المجلس الظافري السعيد" وفي وقت استبداد الوزراء في الدولة الفاطمية كانت تنسب إلى الوزراء مثل: "ديوان التحقيق الأفضلي السعيد"[٤]. وكانت من مهام هذا الديوان "ديوان الخاص" تحصيل الأقساط المستحقة من الضمناء و"المعاملين"[٥] بالدولة[٦]. وهو يشبه في مهامه إلى ما يقوم به ديوان النفقات في العصر الأموي والعباسي[٧].

٥ - **ديوان الرواتب** :

إلى جانب ذلك نجد ديواناً خاصاً بدفع العطاء لمرتزقة الدولة شهرياً وبانتظام يدعى "ديوان الرواتب" وقد دونت أسماؤهم في سجل فيه أسماء ومقدار عطاء هؤلاء، وكذلك أرزاقهم ان كانت عيناً كالقمح أو الشعير أو نقداً ، ويتولى العمل فيه "كاتب أصيل بطراحه" ويعاونه عشرة آخرون مهمتهم إعداد كشوف المرتبات واثبات من استجد وحذف من مات من المرتزقة أو الرعية أرباب الرواتب[٨]. ولاشك ان هذا العمل كان يتطلب الدقة التامة وكثرة المراجعة بسبب ما كانت تتعرض له قوائم أرباب الرواتب من زيادة ونقص أو حذف، وما كان ينتاب هذه الأرزاق من تعديل من وقت لآخر.

---

[١] المقريزي، الخطط، ج١، ص٣٩٩.

[٢] المصدر نفسه، ج١، ص٨٤.

[٣] كاهن، تاريخ العربي والشعوب الإسلامية، ص٨٣؛ سيد، أيمن فؤاد، الدولة الفاطمية، ص٣٥٥.

[٤] القلقشندي، صبح الأعشى، ج١، ص١٠٣؛ كاهن، كلود،تاريخ العرب والشعوب الإسلامية، ص٨٣.

[٥] المعاملين: وتعني عمال النواحي والجهات التابعة لديوان الخراج، ويطلق لفظ المعاملين أيضاً على الباعة كالخباز والبقال. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٤٦٦.

[٦] المقريزي، الخطط، ج١، ص٨٤؛ ماجد، عبد المنعم، نظم الفاطميين، ج١، ص١١٦.

[٧] الجهشياري، كتاب الوزراء والكتاب، ص٤٩؛ الدوري، عبد العزيز، النظم الإسلامية، ص١٤٩.

[٨] القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٤٩٣.

يقوم الموظفون في ديوان الرواتب بإعداد استمارات "كشوفات" المرتبات في نهاية شهر ذي الحجة، وتحرر نسخة من الاستيمار يدون فيها اسماء الموظفين وترسل إلى صاحب ديوان النظر ليعرضها على الخليفة في أول شهر محرم[١]، وعادة كانت تلك الكشوفات تعرض على الخليفة كل عام لاعتمادها بعد إجراء تعديلات يراها الخليفة زيادة أو نقصان.

ففي سنة ٤٠٣هـ/١٠١٣م، وفي زمن الخليفة الحاكم بأمر الله، عرضت الكشوفات "أي ما يشبه الميزانية اليوم" عليه، فعلق عليها كاتباً بخط يده: "بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله كما هو أهله ومستحقه ما عندكم ينفذ وما عند الله باق..."[٢]، والمال مال الله والخلق عيال الله، ونحن أمناؤه في الأرض، أطلق أرزاق الناس ولا تقطعها والسلام[٣]. وقد ذكر أحد المؤرخين ان استيمار الرواتب عرض على الخليفة الحاكم بأمر الله سنة ٤٠٦هـ فأقره كما رفع اليه، وقد بلغت رواتب المتفقهين والقراء والمؤذنين بالقاهرة ومصر في هذه السنة ٧٠.٧٣٣ديناراً[٤].

وقد عرض استيمار الرواتب "الميزانية" على الخليفة المستنصر بالله (٤٢٧-٤٨٧هـ/١٠٣٥-١٠٩٤م) فأقره ووقع على ظهره بخطه: "الفقر مر المذاق، والحاجة تذل الأعناق، وحراسة النعم بإدرار الأرزاق، فليجروا على رسومهم في الإطلاق، ما عندكم ينفذ وما عند الله باقٍ"[٥].. وبهذا الأمر أوعز الخليفة أن تحرر الميزانية كما هي دون أن ينقص من أرباب الوظائف شيئاً

أمّا في عهد الخليفة الحافظ لدين الله (٥٢٤-٥٥٥هـ/١١٣٠-١١٤٩م) رفع الاستيمار اليه فذيله بهذه العبارة: "أمير المؤمنين لايستكثر في ذات الله كثير العطاء ولا يكدره بالتأخير له والتسويف والإبطاء ولما انتهى ما أرباب الرواتب عليه من القلق

---

[١] المقريزي، الخطط، ج١، ص٤٠١؛ حسن، حسن إبراهيم، تاريخ الدولة الفاطمية، ص٥٦٢.

[٢] سورة النحل، الآية ٩٦.

[٣] ابن المأمون، أخبار مصر، ص٢٩؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٤٢٥.

[٤] المقريزي، الخطط، ج١، ص٣٩٨؛ حسن، حسن إبراهيم، الدولة الفاطمية، ص٥٦٢.

[٥] المقريزي، الخطط، ج١، ص٣٩٨؛ مشرفة، مصطفى عطية، نظم الحكم في عهد الفاطميين، ص٢٢٣.

للامتناع من إيجاباتهم وحمل خروجاتهم، قد ضعفت قلوبهم وقنطت نفوسهم، وساءت ظنونهم، شملهم برحمته ورأفته، وآمنهم مما كانوا وجلين من مخافته"[1]، وجعل التوقيع بذلك بخط يده، تأكيداً للانعام والمن، وتهنئة بصدقه لاتتبع بالأذى والمن. " فليعتمد.. إجراء ماتضمنت هذه الأوراق.. من رواتبهم... لكفاءتهم من غير تأول.. وليجروا في نسبياتهم على عاداتهم ولاينقص من أمرهم ماكان مبرماً ..كرماً من أمير المؤمنين وفعلاً مبروراً ..."[2]. وعملاً بما جاء به عز وجل في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾[3].

وقد أمر الخليفة الحافظ لدين الله بنسخ هذا التوقيع وتعميمه إلى جميع الدواوين الحكومية[4].

٦- ديوان المستغلات:

لقد سبقت الإشارة الى ان الفاطميين احتكرت مناجمها للحصول على موارد مالية، وقد خصصت الحكومة بيع بعض المراكب المصنوعة في دار الصناعة فضلاً عن بيع الأخشاب التي كانت فائضة عن الحاجة، وامتلاك الخليفة الفاطمي دوراً كبيرة من الحوانيت والمخازن والأفران والحمامات بمصر والقاهرة وغيرهما من المدن الكبرى لذلك اعدوا الخلفاء الفاطميون ديواناً يدعى "ديوان المستغلات"[5]. يتقلده موظف كبير يساعده بعض الموظفين، وهذا الديوان يشبه ديوان المستغلات في العهد الأموي[6].

---

(١) المقريزي، الخطط ، ج١، ص٣٩٨.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص٣٩٨.

(٣) سورة الإنسان، الآية ٩.

(٤) المقريزي، الخطط، ج٢، ص٣٩٨؛ حسن، حسن إبراهيم، تاريخ الدولة الفاطمية، ص٥٦٣.

(٥) المقريزي، الخطط، ج٢، ص٦.

(٦) الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص٤٧.

٧- ديوان الثغور:

إلى جانب ديوان المستغلات كان هناك ديوان خصصه الفاطميون لجباية الرسوم الكمركية والخاص بالتجارات الأجنبية الواردة عبر البلدان الأخرى، وقد ضم عدداً من الموظفين الكتاب وهؤلاء مهمتهم عمل تذاكر خاصة بالمستحقات المالية للدولة لدى هذه الجهات وهذا الإجراء المالي يعد من الأمور الإدارية التي تعكس حالة التبادل التجاري بين الدولة الفاطمية والجهات الأخرى فضلاً عن عدم ترك أي من المال متروكاً دون تدوينه، وكان على صاحب هذا الديوان ضبط هذه التذاكر ثم حملها إلى صاحب الديوان الكبير للتوقيع ورفعها[١].

والجدير بالإشارة إلى ان مهمة هذا الديوان مخصوصة بجباية الرسوم الكمركية عبر الثغور فقط دون بقية انواع المستحقات المالية "الضرائب"[٢].

٨- ديوان الإقطاع:

أعد هذا الديوان ليختص بشؤون الإقطاعات[٣]، وقد نشأ هذا الديوان بعد سيطرة المعز لدين الله على مصر وضم أملاك الدولة الأخشيدية إلى أراضي الدولة العامة، وأصبح الخليفة الفاطمي الحق في إقطاع الأراضي لبعض أتباعه سواء من المغاربة أو من المصريين "وكان هذا الإقطاع إقطاع تمليك فامتلك منهم الشخص الأرض رقبة ومنفعة تمليكاً تاماً، أي انتفاعاً مؤيداً وحقاً يجري على الأصل والفرع"[٤].

وهو أحد أقسام ديوان الجيش، فينظر فيما هو مقطع للأجناد، ولم يكن لصاحب ديوان الجيش ان يغير أحداً من الجند أو شيئاً من إقطاعه إلا بمرسوم[٥]. وغالباً ما

---

(١) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٣، ص٤٩١.

(٢) المصدر نفسه، ج٣، ص٤٩١؛ أحمد، أميرة إبراهيم ، الأوضاع الإدارية والاقتصادية في الدولتين الفاطمية والأيوبية، ص٣٢.

(٣) ابن منظور ، لسان العرب ، ج١٠، ص١٤٩ (مادة قطع) .

(٤) المقريزي، الخطط، ج١، ص٨٥؛ البراوي، حالة مصر الاقتصادية، ص٢٧٩.

(٥) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٤٩٢؛ المقريزي، الخطط، ج٢، ص٢٤٢.

كانت تصدر بذلك وثيقة من ديوان الإنشاء تسمى السجل[1]. وأحياناً كان يتم هذا عن طريق الاستغلال حيث يعطي الخليفة الأراضي العامة لبعض اتباعه، ولكن ملكيتها لا تكون ملكية مطلقة بل يتمتع المطلق بحق الانتفاع بإيرادها لمدة محدودة بشرط من شروط الخليفة التي صدر بها السجل. فاستغلال الاقطاع إذن لا ملكية مطلقة فيه ولا ورث. ومعنى هذا ان الاقطاع جرى على نوعين:

أ- **اقطاع تمليك:** وتملكبمقتضاه الأرض تمليكاً كاملاً للشخص ولورثته من بعده بمقتضى سجل.

ب- **إقطاع استغلال:** ويمنح للشخص لينتفع به لمدة محددة أو مدى حياته فقط أي إنه لا يورث، فهو إقطاع يستغله لمنفعته الشخصية ثم يعود للدولة بعد انتهاء المدة المحددة أو بعد وفاته أو في حالة إخلال المنتفع بشرط من الشروط المنصوص عليها في سجل الإقطاع الذي أصدره الخليفة.

إن الخلفاء الفاطميين لم يتبعوا سياسة منح الإقطاعات للأجناد مقابل الرواتب، فهذا نظام أدخله الأيوبيين عندما حكموا البلاد واتبعه المماليك من بعدهم، على الرغم من أن هناك إشارة توضح ان منح الإقطاعات للأجناد مقابل الخدمة العسكرية قد بدأ بالفعل في أواخر الدولة الفاطمية حيث يذكر لنا المقريزي

بقوله: "كانت في عهد الدولة الفاطمية قليلة – ونعني الاقطاع- إلا أنها تضاعفت في أواخر أيامها بسبب زيادة سلطة الجيش وان لم تبلغ من الأهمية التي أصبحت لها في العهود التالية على الدولة الفاطمية"[2].

وقام المقطعون بمجهودات كبيرة فهم أحيوا الموات من الأراضي واستخرجوا معادنها وانشأوا بعض الصناعات الزراعية كمعاصر الزيت[1]، وبذلك ازدحمت بالسكان وأصبحت كل قطيعة تعرف باسم من يسكنها.

---

[1] وهي المكاتبات الصادرة عن ديوان الإنشاء باسم الخليفة وموجه إلى أرباب الوظائف الكبار أو ملوك الدول الأجنبية أو كبار رجال الدعوة الإسماعيلية لإبلاغ حادثة من الحوادث أو بمنح لقب لأحد أرباب الوظائف أو يمنح إقطاع. ابن منجب، أمين الدين تاج الرياسة أبو القاسم علي الصيرفي (ت٥٤٢هـ/١١٤٨م)، قانون ديوان الرسائل، مطبعة الواعظ، مصر، ١٩٠٥، ص١٦.

[2] المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج١، ص٩٥.

هذا وكان يتولى إدارة ديوان الاقطاعالذي يتبع نظاماً دقيقاً في إدارته ذوي الخبرة وكانت أسماء أرباب الإقطاعات يتولاها كاتب ديوان الجيش، وكان رئيس هذا الديوان يحصل على مرتب شهري يقدر بأربعين ديناراً[٢].

-من الواضح أن – جميع الدواوين المتقدمة تخضع باستمرار لتفتيش إداري مالي يتولاه ديوان النظر ، حيث كان لهذا الديوان الحق في طلب تقارير عن الأموال المالية سواء كان هذا خاص بالقاهرة أم الأقاليم التابعة لها، وكتابة كافة المستجدات والطلبات والمقترحات ومن ثم يدون كل ذلك وتعرض المدفوعات على السلطات العليا، والحث على طلب الأموال ومطالبة أرباب الدولة بها.

ثالثا- موظفو الدواوين وطرق تعينهم ":

نرى أن مقدار العطاء في العصر الفاطمي لموظفي الدولة الذين يعملون في خدمة الدولة مرتفعة، ومقدار مستوى الدخل للفرد يجزي لمعيشته بالمستوى المطلوب -وهذا أمر طبيعي- في استظهار صاحب الدولة على قومه وأهل عصبيته بالموالي حيث يذكر ابن خلدون في ذلك بقوله: "اعلم أن صاحب الدولة إنما يتم أمره بقومه فهم ظهرائه على شأنه وبهم يقارع الخوارج على دولته ومنهم يقلد أعمال مملكته ووزارة دولته وجباية أموالهم لأنهم أعوانه على الأغلب وشركاؤه في الأمر ومساهموه في سائر مهامه... ويخصهم بمزيد التكرمة والإيثار ويقلدهم جليل الأعمال والولايات من الوزارات والقيادة والجباية..."[٣]. فمثلاً كان صاحب بيت المال وطبيب الخليفة الخاص وصاحب الباب وحامل السيف والرمح وقاضي القضاة والقراء والولاة يتقاضون رواتب قياساً إلى بقية حاشية الدولة مرتفعة[٤]، وإن كانت تلك النفقات ترهق ميزانية الدولة إلا انها -أي الدولة- ملزمة بتحسين المستوى المعاشي لأفراد الشعب.

---

[١] خسرو، سفرنامة، ص٦١.

[٢] المقريزي، الخطط، ج١، ص٨٥.

[٣] مقدمة، ج١، ص١٨٣.

[٤] القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٥٢٥-٥٢٦؛ وللمزيد مراجعة بحثنا الخاص بالنفقات.

وقد اتبعت الحكومة نظاماً دقيقاً في إعداد مالية السنة القادمة فغالباً ماكانت ميزانية الدولة للسنة المالية الجديدة تعد بعد عيد الأضحى فيقوم الموظفون بإعداد "استيمار" النفقات في نهاية شهر ذي الحجة فيجتمع كتاب ديوان الرواتب، أو إدارة الميزانية وتعرض الاقتراحات الخاصة بها على هذه اللجنة تبين بها مقدار المصروفات عيناً وورقاً وغلة، ثم تحرر نسخة من الاستيمار، ثم تبيض ويدون فيها أسماء الموظفين وأعوانهم، ثم يرسل إلى خزانة الفرش، فيعد له وطاء من الحرير وشرابه من الحرير الأخضر أو الأحمر. وتعد ديباجة "مقدمة" تدون بأسلوب جميل وعبارات رائعة تتناسب ومقام الخليفة ، ثم يرفع الاستيمار إلى صاحب ديوان النظر ليعرضه على الخليفة في أول شهر المحرم[١].

وكان موظفو ديوان الرواتب تقع على عاتقهم اعداد الميزانية، فهم يتحرون الدقة في اعدادها، فلا يفتحون اعتمادات مالية من أبواب لا أصل لها في ميزانية الدولة، أو من أبواب لا وفور فيها. كما إن من حقهم أن يقترحوا الاستغناء عن بعض الموظفين أو تعيين موظفين جدد، ثم ترفع اقتراحات الميزانية عن طريق ديوان النظر إلى الخليفة لاعتمادها توطئة لاستصدار مرسوم ربط الميزانية[٢].

ويبدو أن الطرق التي اعتمدتها الحكومة الفاطمية في تعيين موظفي الدولة كانت كثيرة، فقد حرص الفاطميون على اختيار متولي الديوان على أن يتمتع بالصفات التالية:

١- يعين في الديوان الموظف بفضل ما اشتهر به الموظف الجديد من الأمانة.
٢- على الموظف الجديد أن يتعهد على نفسه بزيادة المتحصل من وظيفته أياً كانت نوع الوظيفة.
٣- أن يتولى الموظف وظيفته بضمان مالي، أي أن يلتزم الموظف بدفع المتأخرات[٣].

---

[١] المقريزي، الخطط، ج١، ص٣٩٨.
[٢]المصدر نفسه، ج١، ص٣٩٨.
[٣] ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص٢٩٨-٣٠٠.

٤- ان يعين الموظف عن طريق امتلاكه الخبرة في عمله وليس عن طريق دفع الرشاوى.

٥-ان يكون نزيهاً ودقيقاً ومخلصاً لعمله ولايعمل على استغلال وظيفته لتحقيق مآرب شخصية.

من الواضح أن الدولة الفاطمية أدخلت على نظم الإدارة والحكم الكثير من التغييرات فيما تشير المصادر إلى الصفات التي يجب ان يتحلى بها من يرشح لمنصب إداري "سواء كان إقليمي أم ديواني" فإنه يجب ان تتوفر فيه خصال عديدة منها، حزم يتقي به عند موارد الأمور، وعلم يحجزه عن التهور والتغرير في الأشياء، وشجاعة لاتقفها الملمات وجود يهون تبذير الأموال عند سؤالها، وثقل الوطأة على أهل الزيغ والعدوان، والاستعداد للحوادث إذ لاتؤمن حوادث الزمان[١].

لذلك لم نجد مايشير إلى ان أحوال الوظائف وموظفيها في الخلافة الفاطمية ساءت، أي على العكس من أحوال الموظفين في الدولة الأيوبية فقد صار التعيين فيها عن طريق الرشوة وخاصة في عهد السلطان الكامل، ونتج عن ذلك انعدام وجود أصحاب الخبرة في الوظائف الديوانية[٢]، فضلاً عن تفشي الرشوة في بعض نواحي الجهاز الإداري[٣] وسرقة أموال الدولة[٤] وثبتت الخيانة المالية على ناظر من نظار الدواوين[٥].

تعددت دواوين الدولة، بعد ان اتسعت رقعتها، وضمت أقاليم خارج حدودها، ولزيادة الضبط الإداري والمالي لهذه الدواوين عينت الدولة مجموعة من الموظفين، كل منهم يشغل وظيفته الدالة على اسمه، وبعبارة أكثر دقة، سمي الموظف باسم الوظيفة التي يشغلها. ومن هؤلاء الموظفين:

١- **الناظر** : وردت هذه الوظيفة وكثير من الوظائف المركبة منها على الآثار العربية ، وقد أطلق لفظ على المشرف ولاسيما المشرف المالي، واسم هذه الوظيفة مأخوذ أما عن النظر الذي هو رأي العين لأنه يدير نظره في أمور ما

---

[١] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص٦٩.

[٢] النابلسي، لمع القوانين المضية في دواوين الديار المصرية، ص٣٦-٣٧.

[٣]المصدر نفسه، ص٤٨-٤٩.

[٤] أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، ج٢، ص٢٢٤.

[٥] النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٢٧، ص١٢.

ينظر فيه ، وإما من النظر بمعنى الفكر ، لأنه يفكر فيما فيه المصلحة من ذلك[١].

وقد استخدم لقب الناظر والألقاب المركبة منه ومن المضاف إليه بدلالات وظيفية مختلفة ، وربما اقتصر على لفظ " الناظر " للدلالة على اسم وظيفة مركب منه ومن مضاف إليه.

–ويبدو أن – وظيفة النظر عرفت في الدولة الفاطمية بمعنى الإشراف العام ، وممن شغل وظيفة النظر في الدولة الفاطمية عميد الدولة وناصحها أبو محمد الحسن بن صالح الروذباري ، وكان في أيام العزيز بالله على الرملة وأعمالها في خراجها وأبواب مالها ، صم انفذ إلى دمشق للكتابة ونظر الشام عوضاً عن منشى بن إبراهيم في سنة ٣٨١هـ ، ثم ولى ديوان الجيش وأقام في النظر مدة، وصرف عنه سنة ٤١٨هـ ثم تولى بعده الجرجراني[٢].

وولى النظر في الدولة الفاطمية أيضاً الشافي زرعه بن عيسى بن نسطورس، وقدر إليه النظر والسفارة في المحرم سنة ٤٠١هـ وكان اشتغاله بتثمير المال وتدبير الأموال[٣].

وتولى النظر في عهد الخليفة الحاكم "غبن " إذ قلده الشرطتين والحسبة بالقاهرة ومصر والجيزة والنظر في أمور الجمع وأموالهم وأحوالهم كلها، وكتب له سجل بذلك[٤].

وإلى جانب استخدام اسم النظر في الدولة الفاطمية للدلالة على الإشراف العام، استخدام لفظ الناظر للدلالة على موظف كان يخرج مع الشاد والعدول والكتبة والمساحين لمسح الأراضي ولتحرير ما شمله الري وزرع الأراضي وكتابة المكلفات[٥]. فهو المسؤول عن كل ما يجري في الديوان، ويرجع إليه جميع الموظفين، ولابد من توقيعه الرسمي على جميع ما يخرج من الديوان من أوراق

---

[١] القلقشندي ، ضوء الصبح المسفر، ص٣٤٧ ؛ الباشا ، الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية ، ج٣، ص١١٧ .

[٢] الصيرفي ، الإشارة إلى من نال الوزارة ، ص٣٤– ٣٥.

[٣] المصدر نفسه ص٢٨ .

[٤] المقريزي ، الخطط ،ج٢، ص٢٩٧ .

[٥] الصيرفي ، قانون ديوان الرسائل ، ص١٥٢؛ الباشا ، الفنون الإسلامية، ص١١٧٨ .

رسمية، فضلاً عن إحاطته بجميع ما على الديوان من أوراق ديوانية خارجية[١]. وكان الناظر هو المشرف الرسمي على الإيراد والمتصرف في الديوان، ولديه جميع البيانات الخاصة بالمتحصلات والمصروفات والبواقي والفوائض والمتأخرات[٢]

٢- **الناقد** : وهو الموظف المسؤول في دار الضرب وهو الذي ينقد النقود أي يضربها[٣]

٣- **متولي الديوان:** ويأتي متولي الديوان بعد الناظر، وهو المشرف العام على تنفيذ تعليمات الناظر بصدد الإيرادات والمصروفات في الديوان[٤]. ويقوم بالتصديق على التصاريح التي كانت تسمى باسم التذاكر فضلاً عن الاستدعاءات[٥].

٤- **المستوفي:** أما الموظف الآخر في الديوان فهو المستوفي، حيث تكمن أهمية عمله أنه كان يعرف باسم قطب الديوان[٦]. لأنه كان يقوم بضبط سير الأعمال اليومية بالديوان ومراقبة الموظفين، هذا فضلاً عن قيامه بتبليغ متولي الديوان بما يجب تحصيله من الإيرادات في مواعيدها المحددة، وتحمل المستوفي مسؤولية عدم التنبيه على مواعيد جباية الأموال أو أي تأخير أو إهمال في جباية المتحصلات[٧].

٥- **المعين:** عرف المعين في الدولة الفاطمية ، وكان موظفاً مهمته معاونة أو مساعدة موظف أعلى منه، إذ ذكره القلقشندي : أنه كان في ديوان الكراع[٨] كاتباً أصل ومستوف ومعينان[٩] وجاء في خطط المقريزي ، أنه كان من عروض ديوان الرواتب عرض يشتمل الدواوين ومن يجري مجراهم وكان فيه

---

[١] ابن مماتي ، قوانين الدواوين، ص٢٩٨ .

[٢] النويري ، نهاية الأرب ، ج٨، ص٢٩٩.

[٣] الكرملي ، الأب أنستاس ، كتاب النقود العربية وعلم النميان ، ص١٣-١٤؛ الباشا ، الفنون الإسلامية،ج٣، ص١١١٩.

[٤] ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص٢٩٨.

[٥] النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ص٣٠٠.

[٦] القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٤٦٦.

[٧] ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص٣٠١.

[٨] الكراع : هو الديوان المختص في أمر الاصطبلات ومتحتوياتها من ودواب وآلات وعلوفات . ينظر: القلقشندي ، صبح الأعشى ،ج٣، ص٤٩٢ .

[٩] المصدر نفسه ،ج٣، ص٤٩٦.

لكل معين من عشرة إلى خمسة دنانير وهو فضلاً عن ذلك المحرر لسجلات الديوان والمسؤول الأول عنها دون أن يشهد عليه أحد من الموظفين[١].

٦- **الناسخ:** هذا الموظف بمساعدة المعين ومهمته أقل مسؤولية من المعين حيث يقوم بنسخ صور من الأوراق الرسمية قبل تصديرها من الديوان فضلاً عن نسخ صور المراسلات الواردة اليه[٢].

٧- **المشارف:** عرفت وظيفة المشارف في الدولة الفاطمية ، وكان المشارفون يعينون من جهات مختلفة ، فعرف مثلاً : مشارف الجوالي ومشارف المواريث الحشرية والفروض، وكان المشارف من كبار الموظفين الديوانيين وقد أورد القلقشندي سجلاً فاطمياً بمشارفة الجوالي بالصعيد الأدنى والأشمونيين كتب عن الوزير ، ويتضح منه أن مهمته كانت استخراج مال الجوالي والعمل على استيفائه ، وقد جرت العادة أن يتعهد بأن يسلم الديوان مبلغاً معيناً من المال[٣]، كما أورد منشوراً فاطمياً بمشارفة المواريث الحشرية كتب به لأبي الفتوح محمد بن أبي محمد عبد الله بن أبي عقيل[٤].

ووجد في العصر الفاطمي أيضاً مشارف الجامع وقد ذكر القلقشندي أن الخلفية الفاطمي كان يمنح خطيب جامع ابن طولون عند صلاته ٣٠ ثلاثين ديناراً فيوصلها إلى مشارف الجامع نصيبهما منها ١٥ خمسة عشر ديناراً والباقي للقومه والمؤذنين[٥] . وتكون في عهدة المشارف جميع المتحصلات المالية بعد ختمها[٦] . وكان عمل المشارف أيضاً أن يطلب التفاصيل الكاملة عن أية جهة من الجهات الضريبية التي تقع في دائرة عمله[٧] . والمشارف لا ينبغي لأحد مستخدميه أن ينفرد عنه بشيء ويكتب بخطه على ما يرفع من الحساب، ويكون الحاصل من المستخرج من مودعه حوطته[٨]

---

[١] ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص٣٠١-٣٠٦؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٤٦٦.

[٢] ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص٣٠٢.

[٣] القلقشندي ، صبح الأعشى ،ج١٠ ، ص٤٦٢- ٤٦٣.

[٤] المصدر نفسه ، ج١٠ ، ص٤٦٦.

[٥] الصيرفي ، قانون الرسائل ، ص٤٤.

[٦] ابن مماتي ، قوانين الدواوين ، ص٣٠٢ .

[٧] المصدر نفسه، ص٣٠٣.

[٨] المصدر نفسه ، ص٢٩٨، ٣٠٣.

٨- **العامل:** أما الموظف الديواني الآخر فهو العامل، الذي يقوم بعمل الحسابات اللازمة واعتمادها بخطه وكان خاضعاً في عمله للمشارف حيث يقومان "المشارف والعامل" بتولي أمر الجوالي إذ يجب عليهما أن يطلبا إلى من تقدمهما بيانات مفصلة تتضمن عدد ممن يجب عليهم الجزية وطبقاتهم وأسماءهم كما كانت في آخر شهر من السنة الهلالية المنصرمة، ويقوم العامل الذي كان خاضعاً في عمله للمشارف بصيانة أموال البلاد المحفوظة في خزانة المشارف وبيان البواقي لمن عليه شيء من مال الدولة[١].

٩- **الكاتب:** ورد مصطلح الكاتب في القرآن الكريم بقوله تعالى ﴿وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾[٢] ويشبه العامل في وظيفته موظف آخر اسمه الكاتب الذي كان على دراية كاملة بالمتأخرات في البلاد من مال وغلة، مما يستعان به عند تقدير إيرادات الدولة[٣]، فمثلاً اختص ديوان أسفل الأرض في مصر الفاطمية بالإشراف على جباية الخراج من أسفل الأرض أي "الوجه البحري أو الدلتا"[٤]. وقد ضم هذا الديوان عدداً من الكتاب وعلى رأسهم صاحب هذا الديوان، أمّا عن اختصاصهم فهو يتمثل باختصاص نظرائهم في ديوان الصعيد[٥] الذي من مهامه الإشراف على جباية الخراج بالصعيدين (الأعلى والأدنى) الذي شمل الاقاليم، الجيزة، البوصيرية، الفيومية، الاشمونيين[٦] والاسيوطية، والقطمية، والبهسناوية.

---

(١) المصدر نفسه، ص٣٠٣.

(٢) سورة البقرة : الآية ٢٨٢ .

(٣) ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص٣٠٣.

(٤) ويضم مناطق "الدهلقية، والشرقية، والمرتاحية، والإيوانية" وجميعها تقع شرقي دمياط ويقال لها الحوف الشرقي. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٤٨٧؛ المقريزي، الخطط، ج١، ص٢٤٣.

(٥) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٤٩١؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص١١٢.

(٦) أشمون : بالنون وأهل مصر يقولون الأشمونيين ، وهي مدينة قديمة أزلية عامرة آهله إلى هذه الغاية، الغاية، وهي قصبة كوره من كور الصعي الأدنى غربي النيل ذات بساتين ونخل كثير، سميت بأسم عامرها وهو أشمين بن مصر بن ببعر بن حام بن نوح ، للمزيد ينظر : ياقوت ، معجم البلدان ، ج١،ص٢٠٠؛ د. حسن، سليم، أقسام مصر الجغرافية في العهد الفرعوني، ص٥٧. وتقع الأشمونيين حالياً في مركز ملوى بمحافظة المنيا، مديرية أسيوط. وفي أوائل القرن الثالث عشر

وكان يقوم هذا الديوان بتصريف أعماله الإدارية عدد من الكتاب ومن اختصاصهم عمل كشوفات بالحسابات المتأخرة من أموال الخراج واعطائها إلى صاحب الديوان ليقوم بدوره بإقرار جميع ما ورد في هذه التذاكر "الكشوفات" وضبطها بخطه ثم حملها إلى صاحب الديوان الكبير ليوقع عليها ويأمر باستخراجها[١].

والى جانب هذا العمل الذي كان يقوم به موظفو ديواني الصعيد وأسفل الأرض، حيث كان يقوم بالعمل التنفيذي مجموعة من المستخدمين عليهم تقع مسؤولية تحديد القيمة الضريبية على الأراضي الزراعية واستخراجها، فكان منهم الكاتب يختص بتحرير مساحة الأرض قبل وبعد زراعتها، فهو يحرر ما شمله الري من الأراضي[٢]. ويكتب بذلك مكلفات "وهي أوراق يثبت فيها مساحات الأراضي وأسماء مزارعيها وجميع أصناف الزرع"[٣]، وتكون واضحة بالفدان والقطائع والأصناف المزروعة[٤].

١٠- **الجهبذ**: والموظف الآخر في الديوان هو الجهبذ وهو موظف فاطمي الأصل وكان يسجل في سجل يومي سمّي باسم "الروزنامج" مايستحصله الديوان من الغلات[٥].

والجهبذ مصطلح يعبر عن حرفة ووظيفة ترتبط مهامها بالقضايا المالية ذات الاختصاص بالأمور الحسابية والصيرفة[٦]. والجهبذ كاتب متخصص

للهجرة قيد زمامها باسم عبادة، ومكانها الأطلال الواقعة في حوض مدينة النصلة (محرف عن انصنا) شرقي النيل. رمزي، محمد، القاموس الجغرافي للبلاد المصرية ، ج١، ص١٣٢-١٣٣.

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٤٩١.

(٢) المقريزي، الخطط، ج١، ص٤٠٥؛ الجرجاني ، علي بن محمد السيد الزين (ت٨١٦هـ/١٤١٣م) ، التعريفات ، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت ، ١٩٨٧م ،ج١، ص٢٣٥ .

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٤٥٤.

(٤) المصدر نفسه، ج٣، ص٤٥٤.

(٥) المقريزي، إغاثة الأمة بكشف الغمة، ص٢١.

(٦) الفاضلي، خولة عيسى صالح، الرقابة الإدارية والمالية للدولة العربية الإسلامية، دار الحكمة ، بغداد ، ٢٠٠٠م، ص٢٣١.

بالأمور الحسابية التي تطلبها الإدارة المالية للدولة فهو كاتب برسم استخراج المال وقبضه وكتابة الوصولات به[١]. ويقوم بإثبات المستحصل من المستحقات الضريبية[٢].

١١- **الشاهد (العدول):** أما الوظيفة الأخرى فهي العدول أو ما يسمى صاحبها باسم "الشاهد" فكان عمله الشهادة على الأوراق الرسمية مع التحقيق المبدئي من صحتها[٣]. ويسمى أيضاً بالعدول. وتكمن مهمتهم بمرافقة الكاتب في جولاته الميدانية للشهادة على صحة ما يحرره هذا الكاتب في أوراقه ويختار لهذه الوظيفة من تتوفر فيه الأمانة[٤].

١٢- **الشاد:** وهي أيضاً من الوظائف الإدارية المالية في الدولة فقد اختص الشاد بالإشراف الفعلي على عملية استخراج الخراج ويستخدم الشدة أحياناً في أداء مهمته[٥].

١٣- **الأجناد:** فهي تعد من وظائف قوة الحماية فهم الذين يستعان بهم لحماية عمال الخراج ومساعديهم ومساعدتهم في بعض الأحيان في استحصال الخراج من مستحقيها[٦].

١٤- **النايب "النائب":** ويلي ذلك موظف آخر يسمى النايب أو النائب وهو من الوظائف الهامة في الدولة حيث يقوم هذا الموظف برفع الحسابات "الكشوفات" التي تتوفر لديه من الموظفين الآخرين وبرفعها بنفسها إلى الديوان بعد أن يكتب

---

[١] ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص٢٩٧.

[٢] المقريزي، الخطط، ج١، ص٤٠١؛ اتعاظ الحنفا، ج٣، ص٣٣٩.

[٣] ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص٣٠٤؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٤٦٦؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٨، ص٣٠٤.

[٤] المقريزي، الخطط، ج١، ص٤٠٥.

[٥] المقريزي، الخطط، ج١، ص٤٠٥.

[٦] ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص٣٠٦.

بخط يده عليها[١]. وعرف النواب بمعنى الولاة في الدولة الفاطمية ، وكانوا من أرباب الوظائف الخارجة عن الخلافة[٢]

١٥- **الأمين:** ثم يأتي بعد ذلك الموظف المسمى بـ"الأمين" وهو يشبه النائب في عمله[٣]، في حين يصف لنا أحد المؤرخين عمله بقوله: إن الدولة الفاطمية تجبي مبالغ كبيرة من الرسوم الكمركية المفروضة على الصادرات والواردات، فكانت السفينة التجارية إذا رست في الميناء صعد اليها موظفون معينون أطلق عليهم اسم "الأمناء" ومهمتهم "تقييد جميع ما جلب فيها من بضائع، ثم يساق التجار بعد ذلك إلى مكان التفتيش"[٤]. وكانوا يرمون من وراء ذلك إلى مقاومة التهريب حتى تكمرك البضائع بالرسوم المقررة لها وعدم تجاهل بضاعة عن تلك الرسوم، أّما القوافل فإنها لم تكد تصل إلى

حدود البلاد حتى يهرع اليها الأمناء لتحصيل الرسوم المستحقة عليها. وقد كان الأمناء "أمناء المراكب" يستجوبون في أحيانٍ كثيرة بعض المسافرين لمعرفة أخبار البلاد الأخرى ثم يقومون بإنزال كل حمولة المركب وتفتيشها بصورة دقيقة[٥].

وقد أستاء ابن جبير من الطريقة التي كان يتم بها تفتيش المركب واختلاط الناس بعضها ببعض ، والحقيقة أنه كل ما قاله ابن جبير من هذه الإجراءات التي بدت وكأنها شيء في غاية القسوة والاستهانة بالعنصر البشري وانتهاك للحرمات وإضاعة أموال الناس فيرجع هذا كونه نظر إلى تلك الإجراءات من زاوية واحدة ولذا فقد هالهُ ما حدث وغاب عن ذهنه أن مصر في تلك الحقبة كانت في حالة حرب مع الصليبيين وان تلك السفينة استقلتها كانت قادمة من بلاد أجنبية ولذا جاء التفتيش بهذه الصورة كإجراء أمني فرضته الظروف حيث كثرت الجواسيس وغالباً ما كان قدومهم على هيئة تجار.

---

[١] المصدر نفسه، ص٣٠٤.

[٢] القلقشندي ، صبح الأعشى،ج٣، ص٤٨٢-٤٩٨ ؛ الباشا ، الفنون الإسلامية،ج٣،ص١٢٢.

[٣] ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص٣٠٥.

[٤] ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص٢٧.

[٥] ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص٢٧.

١٦- **الماسح:** أمّا الموظف الآخر والذي أطلق عليه تسمية "الماسح" حيث يقوم هذا الموظف بالإشراف على الأراضي الزراعية بقياسها ثم عمل المكلفات الرسمية(١).

١٧- **الدليل:** وهو الذي يقوم بعمل سجلات تسمى سجلات التحضير وتكون مدونة بمعلومات تفصيلية عن الأراضي الزراعية وأماكنها وأنواع زراعتها ومحاصيلها واقطاعاتها واسماء المزارعين بها(٢).

١٨- **الحايز:** وهو من كتاب الديوان والخاص بالأجران وهو بمثابة أمين لها. ويساعده في ذلك موظف آخر اسمه الخازن(٣).

١٩- **الخازن:** وهو من موظفي الدولة حيث يقوم باستلام الغلات وخزنها وصرفها، ولا يمكن إخراج أي من الغلال من المخازن الا بتصريح من الكاتب أو ناظر الديوان حيث يتم تقييد ذلك ضمن صرفيات المخزن(٤).

٢٠- **الحاشر:** وعلى الغرار نفسه قام موظف آخر من موظفي البلاط الفاطمي بعمل مشابه للحايز والخازن، إضافة إلى اختصاصه بجمع الجزية من أهل الذمة، وكان يوجد حاشر لليهود وحاشر للنصارى يعرف أرباب الأسماء الواردة في الديوان ومن ينظم اليهم ممن يبلغ في كل عام من الصبيان ويعبر عنهم "بالنشور" ومن يقدم إلى الحاضرة من البلاد الخارجية عنها ويعبر عنهم "بالطارئ" ومن يهتدي أو يموت ممن اسمه وارد في الديوان(٥).

٢١- **المبيض** : للمبيض معنيان وظيفتان : أحدهما مبيض القماش وعمله يتصل بالنسيج والغزل والصباغة، وكان يستخدم القطرون في عمله(٦). أما المعنى الثاني فهو موظف ديواني في الدولة الفاطمية يشترط فيه حسن الخط ومهمته

---

(١) ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص٣٠٥؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٤٦٦.

(٢) ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص٣٠٦.

(٣) المصدر نفسه ، ص٣٠٥-٣٠٦.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٤٦٦.

(٥) ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص٣٠٦؛ النويري، نهاية الأرب، ج٨، ص٢٤٣.

(٦) ابن مماتي ، قوانين الدواوين ، ص٣٣٤- ٣٣٥.

كتابة الصور النهائية من المكانيات وتسجيلها بخط جميل[1] ، وقد ذكر ابن الصيرفي أن من جملة موظفي ديوان الرسائل في الدولة الفاطمية((مبيض يرسم الإنشاءات والسجلات والتقليدات ومكاتبات الملوك)) وكان يلزمه حسن الخط[2]. كما ذكر أن ديوان الرواتب وهو أحد ديوان الجيوش والرواتب كان فيه من المعينين والمبيضين نحو عشر أنفس[3].

هذا وتستخدم لفظة مبيض في اللغة الدارجة المصرية الحديثة للإشارة إلى من يحترف طلاء الجدران .

٢٢- **متصرف** : المتصرفون هم الموظفون المكلفون بتصريف أمر أو إدارته وتنفيذه ، وقد عرفت هذه الصيغة في عهد الدولة الفاطمية ، كما يتضح من ذكرها في نسخة سجل ولاية قاض بثغر الإسكندرية ، حيث جاء فيها : ((...وأفعل في دار الضرب وأحوال المستخدمين والمتصرفين على ما أنت به العالم البصير...)) [4].

وجاء أيضاً في نسخة سجل كتب به لبعض وزراء الفاطميين ما نصه : ((... فليعتمد كافة ولاة الدواوين ومن يليهم من المتصرفين حمل الأمر على موجبة والحذر من تمديه وتعقبه وامتثال ما رسم أمير المؤمنين وحده والوقوف عند أمره الذي عدم من مال فرده...)) [5]

رابعا- التنظيم الإداري للفاطميين:

وقد اتخذت الدولة الفاطمية إجراءات إدارية دقيقة ومنظمة مما يعطي انطباعاً قيماً على ما تقدمه الدولة من تسهيلات، فإذا ما وصلت السلع إلى الميناء نقلت إلى الفندق أو الوكالة حيث يجري تثمينها بوساطة موظفين تعينهم الحكومة.

---

[1] الصيرفي ، قانون ديوان الرسائل ، ص٧٠ - ١٥٦.

[2] المصدر نفسه، ص٧٠-١٥٦.

[3] المقريزي ، الخطط ، ج٢، ص٢٤٢.

[4] القلقشندي ، صبح الأعشى ،ج١٠، ص٣٥٦.

[5] المصدر نفسه ، ص١٣٨.

وغالباً ما كانت الحكومة الفاطمية تأخذ ما تحتاج إليه من بعض المواد التي تراها ضرورية للدولة كالحديد والخشب والقطران[١].

كما كانت الحكومة تسمح للتجار الأوربيين بالإقامة في الفنادق في الموانئ الهامة، وقد سعت إلى تخصيص فندق خاص لكل جالية أوربية، حيث تقيم فيه وتحفظ فيه بضائعها، وقد ضم الفندق كنيسة صغيرة يقيمون فيها شعائرهم الدينية، وتختار الجالية واحداً من أفرادها –بناءً على تعليمات الحكومة الفاطمية– يطلق عليه اسم الفندقي للإشراف على الفندق وهو مسؤول امام الحكومة[٢].

ومن جهة أخرى كان للقياسر[٣]، التي هي "كالخان العظيم تغلق عليها أبواب حديد وتطبق فيها دكاكين وبيوت بعضها على بعض"[٤].

وقد أقام التجار المسلمون وكالات خاصة بهم تكون بمثابة مخازن لبضائعهم ومنازل يقيمون بها عندما يأتون للإقامة في مصر، حيث تصبح هذه الوكالات همزة الوصل بينهم وبين التجار المصريين وفي الوقت نفسه انشأ التجار المصريون وكالات من هذا النوع في بلاد الشام والعراق والحجاز[٥].

وكانت تلك الوكالات بجوارها مخازن تؤجر للتجار لحفظ بضائعهم، وقد تحولت هذه الوكالات مع مرور الزمن إلى فنادق. وكان يتم تأجير المخازن للتجار بخمسة دراهم، وتعددت الوكالات في الديار المصرية وأهمها "الوكالة الآمرية" والتي أنشأها الوزير المأمون البطائحي وزير الخليفة الآمر بأحكام الله سنة ٥١٦هـ/١١٢٢م والتي خصصها لمن يصل إلى مصر من تجار الشام والعراق.

---

[١] ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص٣٢٧.

[٢] المقريزي، الخطط، ج٢، ص٩٢-٩٤.

[٣] القياسر: هي مجموعة من المباني العامة على هيئة رواق من أروقة الدير، وبها حوانيت ومصانع ومخازن واحياناً مساكن. يتكون من بناء من طابقين وتقوم الدكاكين في اسفلها وغرف نوم التجار في الطابق العلوي. وتعني كذلك السوق. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص١٠٥.

[٤] المصدر نفسه، ج٢، ص١٠٥.

[٥] ابن ميسر، أخبار مصر، ص٦٢.

وهنـاك أيضـاً "وكالـة ابـن ميسر" التـي أنشئت سنة ٥٣١هـ/١١٣٧م فـي عهد الخليفة الحافظ لدين الله (٥٢٤-٥٤٤هـ/١١٣٠-١١٤٩م). وكذلك تعددت الوكالات في المدن الأخرى.

غالباً ما كانت الوكالة يتم الإشراف عليها من قبل أحد التجار ويسمى "وكيل التجار أو شيخ التجار" ويخصص له سكن بالقرب من الوكالة حتى يستطيع مباشرة إشرافه عليها، ويهتم هذا الوكيل بشؤون التجار المقيمين بالوكالة أثناء وجودهم ويحل محلهم كوكيل أثناء غيابهم وله مخصصات يتقاضاها من التجار مقابل الأشراف[١].

من خلال ما ذكرناه يمكن ان نقول ان الحكومة الفاطمية اتبعت سياسة إدارية دقيقة ومنظمة ليس مع المسلمين فحسب بل مع أهل الذمة[٢] في الديار المصرية، ففي سنة ٤١١هـ/١٠٢٠ م أصدر الخليفة الحاكم بأمر الله سجلات إلى أهل الذمة منها ما يتعلق بشأن السماح بإعادة بناء دير القصيرة وعودة الرهبان إلى سكناه والاجتماع فيه للصلاة ورفع الخراج المقرر عليه هذا العام –أي سنة ٤١١هـ– وكذلك سجل موجه للقبط يؤمنهم ويزيل ما خالطهم من الخوف، وهناك منشور أصدره الخليفة الفاطمي الفائز بنصر الله إلى رهبان طور سيناء، ويتضمن رعايتهم والمبالغة في إعزاز جانبهم وتسهيل مطالبهم وتحقيق رغباتهم وابعاد الحيف عنهم، وذلك في سنة ٥٥١هـ/١١٥٦م.

لذلك ان مسألة الجزم حول طبيعة عمل الحكومات تحتاج إلى الوقوف على الأسباب التي تشير إذا ما كانت الدولة متسامحة في تعاملها مع رعاياها أم انها تستخدم الشدة في التعامل، فقد وجه بعض المؤرخين أصابع الاتهام إلى الحكومة الفاطمية ونعتها بالحكومة المستبدة فإذا ما أردنا أن ننصف الحق الذي يقال والذي أشر إليه أبو يوسف في كتابه "الخراج" إلى هارون الرشيد وما يعانيه الناس من قسوة في التعامل مع موظفي جباية الخراج ونية الخليفة بضرورة حسن التعامل مع الناس فقال "... ورأيت ان تتخذ قوماً من أهل الصلاح والدين والأمانة فتوليهم الخراج، ومن

---

[١] المصدر نفسه ، ص٦٢-٦٦.

[٢] الأنطاكي ، التاريخ المجموع ، ص٣٥٦-٣٥٧ ؛ ينظر الملحق رقم (٩) والمتضمن سجل أصدره الخليفة الحاكم بأمر الله لحماية أهل الذمة على أنفسهم وأحوالهم وممتلكاتهم.

وليت منهم فليكن فقيهاً عالماً مشاوراً لأهل الرأي عفيفاً لا يطلع الناس منه على عورة، ولايخاف في الله لومة لائم، ما حفظ من حق وأدى من أمانة احتسب به الجنة، وما عمل به من غير ذلك خاف عقوبة الله فيما بعد الموت تجوز شهادته أن شهد ولا يخاف منه جور في حكم ان حكم، فإنك إن توليه جباية الأموال واخذها من جلها، وتجنب ماحرم منها، يرفع من ذلك ماشاء ويحتجن من ماشاء، فإذا لم يكن عدلاً ثقة أميناً فلا يؤتمن على الأموال"[١].

والظاهر أن هذا التعامل لفت نظر ابن خلدون فأشار إلى زيادة نفقات الدولة تؤدي إلى التوسع في جباية الخراج ومن ثم التعسف في استخراج أموال الخراج كضريبة وبحسه التاريخي المنظم أشار إلى أن هذه الظاهرة تؤشر تفكك كيان الدولة وتفكك أوصاله. "والسبب في ذلك أن الدولة والسلطان هي السوق الأعظم للعالم ومنه مادة العمران فإذا احتجن السلطان الأموال أو الجبايات أو فقدت فلم تصرفها في مصارفها قلّ حينئذ ما بأيدي الحاشية والحامية وانقطع أيضاً ما كان يصل منهم لحاشيتهم وذويهم وقلت نفقاتهم.. ونفقاتهم أكثر مادة للأسواق ممن سواهم فيقع الكساد حينئذ في الأسواق وتضعف الأرباح في المتاجر فيقل الخراج لذلك لأن الخراج والجباية إنما تكون الاعتمار والمعاملات... فالمال إنما هو متردد بين الرعية والسلطان منهم اليه ومنه اليهم..."[٢].

وقد أشرت المصادر أن الدولة أسرفت في الإنفاق في كافة مفاصل الحياة المتعددة وهذا الإنفاق فضلاً عن الخدمات العامة، فإن العطايا والهبات والجرايات الشهرية على الحاشية إنما تجعل البعض من الموظفين القائمين على جباية الضرائب استخدام الشدة والقسوة في تحصيل الضرائب وعدم التهاون في التأخير وهو في نهاية المطاف يعود بالمنفعة الشخصية للموظفين، فضلاً عن المنفعة العامة للدولة.

أمّا فيما يتعلق بالدولة الفاطمية، فالظاهر ان ظاهرة التعسف في استخراج الخراج شملت النشاط الزراعي، لكن التعميم هنا يوقعنا بخطأ، فسوء التعامل مع

---

[١] أبو يوسف، الخراج، ص٢٤٧.

[٢] ابن خلدون، المقدمة، ج١، ص٢٨٦.

الناس قد ينسحب على الموظفين لا على الدولة كخط عام، ولدينا اكثر من إشارة إلى حسن تعامل الفاطميين مع الفلاحين والمزارعين مما يؤكد بأن الظاهرة ليست عامة وقد برز إلى العيان أبان الأزمات المالية وحاجة الدولة إلى المال، أو سوء الإدارة عند بعض موظفي ديوان الخراج –ويبدو ان– تعامل الدولة الفاطمية مع المزارعين والفلاحين كان فيه العد الطاغي على خط التعسف بشكل عام.

يمكن الإشارة إلى أن التعميم على سياسة الدولة وفي عدة قرون يصعب طبقة بدقة لأن المسألة تتعلق بموظفي ديوان الخراج أكثر مما تتعلق بقيادة الدولة نفسها، فغالباً ما كانت الدولة متمثلة بخلفائها تتبع خطوات تعطي انطباعاً في حسن إدارة الدولة، فعندما ولى الخليفة المستنصر بالله (٤٢٧هـ/١٠٣٥م) مصر، أطلق الخراج للمزارعين ثلاث سنين إلى أن تمت أحوالهم واتسعت أموالهم[١]. وكذلك الخليفة الحاكم بأمر الله (٣٨٦هـ/٤١١م) أسقط جميع المكوس والرسوم التي جرت العادة بأخذها واقطع ووهب العقارات والأعمال والضياع والأملاك السلطانية[٢].

لذا فإن معاملة الحكومة الفاطمية للفلاحين الذين يشكلون الغالبية العظمى من المصريين اتسمت بالتسامح والرعاية، فلم يتركوا –أي الحكومة– تقدير الضرائب للمتقبلين أو المقطعين بل حددوا فئاتها وكانوا يراجعونها من وقت لآخر[٣].

من جانب آخر حرصت الحكومة على "تسعير" المواد الزراعية والغذائية حتى أصبحت سياسة ثابتة عند الخلفاء الفاطميين.

إن تدخل الحكومة الفاطمية في تحديد الأسعار من جهة وإيجاد نظام خاص لتوفير الغلال إلى الرعية من جهة أخرى، يعود بالنفع إلى درجة كبيرة إلى الطبقة الفقيرة من أهل المدن وحمايتهم من حالات التلاعب بالأسعار وارتفاعها.

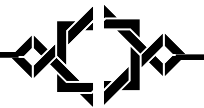
هذا وان سياسة التسامح لمن ينهجها من الخلفاء الفاطميين فحسب بل كان الحال نفسه مع بعض الوزراء كالوزير المأمون البطائحي حيث سامح بأموال ضخمة

---

[١] النويري، نهاية الأرب، ج٢٨، ص١٥٤.

[٢] المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص٧٤، ١٠٢.

[٣] المقريزي، الخطط، ج١، ص٦١.



كانت متراكمة في ذمة الملاك والمتقبلين[١]، وكذلك سامح الوزير رزيك ابن الصالح طلائع بن رزيك الناس بما عليهم من الأموال والبواقي الثابتة في الدواوين[٢].

وقد لفتت سياسة الفاطميين حيال الفلاحين، الكتاب والمؤرخين الأوربيين حيث ذكرهم البعض بأن روح التسامح لدى الخلفاء الفاطميين كان طابع حكمهم[٣]. في حين يصفهم آخر بأن معاملة الشعب على أيديهم كانت خيراً منها على أيدي سواهم من الحاكمين[٤]، وقد جاءت سياسة الفاطميين الإدارية مستوحاة من العقيدة الدينية للمذهب الفاطمي، حيث إن روح التسامح كان ديدن آل البيت ومن بيتهم الفاطميين[٥].

خامسا- السفتجة:

أخذت وسائل النشاط التجاري والمالي بالتطور منذ القرن الرابع الهجري تبعاً لحركة التطور العامة في المجتمع الإسلامي آنذاك وكان لازدهار وتقدم منتجات المدن من السلع والصناعات المختلفة الأثر في ازدياد حجم التبادل التجاري وتقدمه، فإلى جانب التعامل بالعملة النقدية من الدنانير والدراهم استعملت وسيلة أخرى في التعامل التجاري المستندة إلى الائتمان وهي "السفتجة" فهي "السفتجة- كتاب يبعثه صاحب المال لوكيله بأن يدفع مالاً قرضاً يأمن به من خطر الطريق"[٦]. "وقد استخدمت السفتجة كوسيلة للدفع في المعاملات المالية الضخمة حيث كانت خفيفة الحمل بعيدة عن متناول اللصوص"[٧]. وهي أن يعطي شخص مبلغاً من المال

---

[١] المقريزي، إغاثة الأمة بكشف الغمة، ص٢٠-٢١.

[٢] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٥، ص٣١٦.

(3) Lane-Pool, Stanley, Egypt in the Middle Ages, P.157.

[٤] الكندي، الولاة والقضاة، ص٣٥١.

[٥] المصدر نفسه، ص٣٥١.

[٦] ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص٢٩٨ ؛ الزبيدي، تاج العروس، ج٢، ص١٥٩؛ ؛ الثعالبي، ثمار القلوب، ص٥٤٥؛ البستاني، بطرس، محيط المحيط، م١، ص٩٦١.

[٧] متز، الحضارة الإسلامية، ج٢، ص٢١٩.

لشخص آخر "الأخذ"[١]. على أن يكون له مال في بلد المعطي فيوفيه هناك[٢]. ويقوم صاحب المال بإرسال كتاب إلى وكيله يخوله أن يدفع مالاً قراضاً يأمن به خطر الطريق[٣]، وهي تشبه خطاب الحوالة في التعبير المالي الحديث[٤].

تجدر الإشارة إلى أن العرب استعملوها في بداية ظهور الإسلام، إذ أن مصعب بن الزبير كان يأخذ بمكة الورق من التجار ويكتب لهم سفاتج بذلك لكي يأخذوا أموالهم في مدينة البصرة والكوفة، وعن ابن عباس انه كان يأخذ الورق بمكة ويكتب لمن منه سفتجة لاستلام ماله في الكوفة[٥].

على الرغم من محدودية استعمال السفاتج في بداية الدولة العربية الإسلامية واستعمالها بشكل فردي أو بين أشخاص معدودين، إلا ان استخدامها شاع وتعددت أغراضها في القرنين الثالث والرابع الهجريين[٦]. فكان الولاة يرسلون مازاد من دخل ولاياتهم إلى بغداد بسفاتج[٧].

فكان التجار أو المشتغلون بالأعمال التجارية يكتبون رقعاً بقيمة المبالغ التي يأخذونها وتكون قابلة للصرف في أي بلد لأي من عملائهم، وكانوا في هذا يقومون بدور البنوك.

وكان يشترط لقبول السفتجة، أن يضمنها تاجراً، يستدل على ذلك من ان عامل خراج مصر "الماذرائي" طلب من ابن الفرات "أما أن حمله للمال" "باقي خراج" مع

---

[١] الزبيدي، تاج العروس، ج٢، ص١٥٩.

[٢] ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص١٢٣.

[٣] الدمشقي، عبد الغني: اللباب في شرح الكتاب، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٤، مطابع دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦١م، ج٢، ص١٦٠.

[٤] الخشاب، يحيى السيد الباز العريني، ((ضبط وتحقيق الألفاظ الاصطلاحية-التاريخية الواردة في كتاب مفاتيح العلوم للخوارزمي))، المجلة التاريخية المصرية، م٧ لسنة ١٩٥٨م، ص٢٣٢.

[٥] الدوري، عبد العزيز، النظم الإسلامية، ص١٦٨.

[٦] المصدر نفسه، ص١٦٨.

[٧] مسكويه، تجارب الأمم، ج١، ص١٤٦.

رسل أو بسفاتج تجار على تجار،... ويحضر القبوض التي كتبت على أيديهم أو بسفاتج، فالقبوض مع أربابها"[١].

وكانت كل سفتجة توقع أو تختم من صاحبها لصراف أو تاجر، حتى تكون صالحة للتداول[٢].

وقد اضطلعت الأقلية من اليهود الذين أقاموا في الفسطاط بالجانب الأكبر من أعمال الصيرفة[٣]. وكانت نسبة العاملين منهم في هذا المجال كبيرة في المدن الإسلامية، وكانوا يقومون بعمليات التسليف وقبول الحوالات والصكوك لقاء عمولة محدودة، كما يقومون بإقراض الولاة في بعض الأحيان إذا مانفذت أموال بيت المال[٤]. على ما يبدو أن المسلمين كانوا لا يميلون إلى امتهان مهنة كالصيرفة وذلك بسبب اتصالها بالعقيدة الإسلامية التي تحرم ((الربى)) أو ((العمولة)).

وفي العصر الفاطمي استخدمت السفاتج للتعامل التجاري بين القاهرة والأقاليم المجاورة، كما يظهر من وثائق الجنيزة، حيث كانت السفتجة تأخذ طابع العملة، كما يحدث في فلسطين وسوريا كذلك بين القاهرة وبغداد، فقد أرسلت سفتجة من طرابلس بليبيا إلى الفسطاط بمبلغ مائتي دينار سنة ٤٥٥هـ/١٠٦٣م[٥].

وذكر الرحالة خسرو أنه لما أراد مغادرة أسوان في طريقه إلى عيذاب، أخذ من تاجر في أسوان يدعى أبو عبيد الله محمد بن فليج كتاباً إلى وكيله في عيذاب جاء ما نصه: "اعطِ ناصراً مايريد، وهو يعطيك صكاً للحساب"[٦]. فلما أنفق خسرو ما معه من مال عيذاب، اعطى الورقة للوكيل فأعطاه ما أراد بعد أن أخذ منه صكاً بذلك، فقام الوكيل بدوره بإرسال الصك إلى أسوان[٧]. وتوجب أن تستوفي السفاتج

---

[١] الصابي، هلال بن محسن (ت٤٤٨هـ/١٠٥٦م)، تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، تعليق ميخائيل عواد، مطبعة المعارف، بغداد ، ١٣٦٧هـ/١٩٤١م، ص٩٣.

[٢] مسكويه، تجارب الأمم، ج٢، ص٨٣.

[٣] متز، الحضارة الإسلامية، ج٢، ص٢٧٧.

[٤] الصابي، تحفة الأمراء بتاريخ الوزراء، ص١٠٥.

[5] Gotiein: Bangers and Accounts from the Eleventh Century (Journal of the Economic and Social History of the Orient), Vol.IX, Part II November 1960, P.29.

[٦] خسرو،سفرنامة، ص٤٧، ١٩٦.

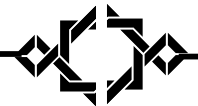
[٧] المصدر نفسه، ص٧٤.

شروطاً منها، أن يدون فيها مقدار المبلغ المحرر –مقدراً عدداً لا وزناً – ويكون الأكثر أهمية للوزن لا للعد[(١)]. وان تكتب بخط واضح وخالية من الحك أو الشطب لكي تأخذ طريقها بالتعامل السهل.

لا ريب أن الإدارة، وبعبارة دقيقة، ضبط الإدارة من الأمور الصعبة، وأصعب منها إذا كان الأمر يتعلق بالإدارة الحكومية، فما بالك إذا كانت الإدارة هذه مما يتعلق بالأمور المالية.

إن الإدارة المالية، من المنظومات الإدارية التي تحتاج إلى التنظيم، والتنظيم الدقيق، بالإضافة إلى الضبط، ودقة الحسابات، والمتابعة، والمراجعة المستمرة، بالإضافة إلى الاختصاص، وهذا ما لاحظته أثناء دراسة هذا الفصل، فالإدارة الفاطمية مع تعدد دواوينها، وكثرة موظفيها، إنما احتفت بقطاع حيوي، هو روح الدولة وقوتها، وقد نجحت في احتواء مشاكلها وتسيير أمورها، مما وفر للدولة، الاحتياط المالي الكبير، في بلدٍ هيئ له الموقع الجغرافي، النشاط التجاري، والازدهار المالي.

[(١)] السعدي، أمل عبد الحسين، الصيرفة والجهبذة في العراق في القرن الثاني إلى نهاية القرن الرابع الهجري، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، بغداد، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص٢٩٦.



الفصل الرابع
أحوال النقد والسكة في الدولة الفاطمية

- التمهيد

- أهمية النقود

ثانيا - الدينار الفاطمي

ثالثا - دار الضرب

رابعا - النقود الفاطمية في بلاد الشام

خامسا - النقود التذكارية للدولة الفاطمية

سادسا - سياسة الفاطميين تجاه الأزمات المالية الاقتصادية

سابعا - خصائص ومحتويات الدينار الفاطمي

التمهيد:

أطلق على جميع النقود التي تعاملت بها شعوب الدولة العربية من دنانير ذهبية ودراهم فضية وفلوس نحاسية لفظ السكة: ويذكر لنا ابن خلدون عن السكة بقوله: السكة: هي الختم على الدنانير والدراهم المتعامل بها بين الناس بطابع جديد نقش فيه صور أو كلمات مقلوبة، ويضربها على الدنانير أو الدراهم، فتخرج رسوم تلك النقوش عليها ظاهرة مستقيمة[١].

ولفظ السكة: كان اسماً للطابع، وهي الحديدة المتخذة لذلك ثم نقل إلى أثرها وهي النقوش المماثلة على الدنانير والدراهم ثم نقل إلى القيام على ذلك والنظر في استيفاء حاجاته وشروطه وهي الوظيفة فصار علماً عليها في عرف الدول: وهي وظيفة ضرورية للملك إذ بها يتميز الخالص من المغشوش بين الناس في النقود عند المعاملات ويثقون في سلامتها من الغش بختم السلطان عليها بتلك النقوش المعروفة[٢].

والسكة كما عرفها صاحب لسان العرب: ان السكة حديدة قد كتب عليها بضرب عليها الدراهم وهي المنقوشة، وفي الحديث عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)أنهُ نهى عن كسر سكة المسلمين الجائزة بينهم إلا من بأس أراد بالسكة الدينار والدرهم المضروبين سمى كلاً مها سكة لأنهُ طبع بالحديدة المعلمة[٣].

أما المقريزي فيشير إلى أن إطلاق كلمة السكة على النقود المتعامل بها "الدينار والدرهم المضروبين سمى كلاً منهما سكة لأنهُ طبع بالحديدة المعلمة"[٤].

ويمكن القول أن صناعة ضرب النقود في تلك العصور كانت لا تزال في أبسط أحوالها وهي عبارة عن طابع من حديد تنقش فيه الكلمات التي يراد ضربها على النقود مقلوبة، ثم يقسمون الذهب أو الفضة أجزاء بوزن الدنانير أو الدراهم، ويضعون الطابع فوق تلك القطعة ويضربون عليها بمطرقة ثقيلة حتى تتأثر وتظهر الكتابة

---

[١] المقدمة، ص١٨٢-١٨٣.

[٢] المقريزي، النقود الإسلامية، ص٦٦.

[٣] ابن منظور، لسان العرب، مادة سك، ج١٢، ص٣٢٥ ؛ ابن خلدون، المقدمة، ص٢٦١.

[٤] النقود الإسلامية ، ص٦٨ .

عليها، وكانت هذه الحديدة تسمى أولاً : "السكة" ثم نقل هذا المعنى إلى أثرها في النقود وهي النقوش، ثم نقل إلى القيام على ذلك العمل والنظر في استيفاء حاجاته وشروطه وهي الوظيفة فصار علماً عليها.

من خلال ذلك نرى ان لفظ السكة إنما هو يعبر عن العملة التي يتم التعامل بها والتبادل التجاري. وكما يصورها لنا أحد الكتاب بقوله: "كما يقصد بها أحياناً النقوش التي تزين بها هذه النقود وحيناً آخر يعبر بها عن قوالب السك التي تضرب بها العملة، ثم تطلق في النهاية على الوظيفة التي تقوم على سك العملة نفسها"[١].

ويبدو أن استخدام النقود مسألة بل ظاهرة حضارية ترتبط بالتطور الحضاري للأمم والدولة التي استخدمتها على مر العصور[٢].

والذي يهمنا -في هذا الفصل- حالة النقود في الدولة الفاطمية فهي موضوع دراستنا.

أولاً - أهمية النقود :

لا شك أن النقود العربية الإسلامية تعد من أهم المصادر لمعرفة الحقب التاريخية، كونها لا تقبل التشكيك في نصوصها، لأنها تصدر من جهة رسمية، وان وجود خطأ في النص والإصدار ينعكس على صاحبه وتقل هيبته وبالتالي تضعف سلطته في الحكم، لذا لا يمكن الطعن بها بسهولة لاسيما إن صحت اثريتها.

والدولة الفاطمية تعد الدولة الرائدة في حيازة النقود الذهبية منذ فتحها لمصر وحتى سقوطها عام ٥٦٧هـ/ ١١٧١م.

لقد أنفقت الدولة الفاطمية الكثير من الثروة النقدية الذهبية للخدمات العامة من جهة، وللجيش والأسطول الحربي من جهة ثانية، لمواجهة وصد الخطر الصليبي. هذه الحالة أدت دوراً في جعل الذهب يضطرب وتنقص كمياته في البلاد مما دعا

[١] ابن خلدون، المقدمة، ص٢٦١؛ فهمي عبد الرحمن ، فجر السكة العربية ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٦٢م، ص٢٨؛ زيدان، جرجي، تاريخ التمدن، ج١، ص١٢٤.

[٢] ابن خلدون، المقدمة، ص٢٦١؛ فهمي عبد الرحمن، فجر السكة العربية، ص٢٨؛ زيدان، جرجي، تاريخ التمدن الإسلامي ، ج١، ص١٢٤.

بعض المؤرخين إلى القول أن بعد سقوط الدولة الفاطمية خرج الذهب من مصر ولم يعد إليها مرة أخرى(١).

وأهمية النقود تبرز كونها إحدى رموز سيادة الدولة وشارة من شاراتها وعنوان مجدها، تتصل باقتصادياتها وسياستها وتشريعها وسائر أوضاعها وعلاقاتها بالدول المجاورة المعاصرة لها، فهي تكشف عن أسرار الدول والحكومات المتعاقبة. والوضع الحقيقي لميزانية الدولة، وإن كانت أغلب المعلومات عن هذه الميزانية أما مضطربة أو مفقودة، فالنقود لها دورها في الكشف عن الخفايا التاريخية ودراستها من المصادر المهمة.

الكثير من الدارسين والباحثين يعدون النقود العربية الإسلامية منذ ظهورها اقتصر ضربها على اساس التعامل التجاري ولم يتجاوز ذلك الضرب بأي حال من الأحوال إلى أغراض أخرى، إلا أن الدراسات العلمية أثبتت أن للنقود دور آخر لايقل أهمية عن التبادل التجاري ألا وهو الدور الإعلامي حيث كان هذا النوع من النقود شبيه بالدور الذي تلعبه –الصحافة– والدولة الفاطمية استخدمت نوعاً من النقود (الإعلامية) التي تعد نقود درجة ثانية في نشر الدعوة الفاطمية وتوزيع النقود الآنفة الذكر على الدعاة من أجل تسهيل المهمة وتوسيع رقعة النشاط السياسي(٢).

والهدف الإعلامي للنقود، ظاهرة مؤكدة، لكنها قد تواجه بـ"الاعلام المضاد" من الطرف المقابل وفي كل الأحوال، لا تسمح الدولة للنقود المضادة بالتداول، وقد تضطر –إن وجدت– إلى صهرها ومعاقبة من يتداول بها. والجدير بالذكر أن النقود الإعلامية لايمنع أن تكون نقود تعامل وتبادل تجاري بيد أن هذا الغرض يأتي بالدرجة الثانية(٣).

ثانيا- الدينار الفاطمي:

---

(١) المقريزي، الخطط، ج١، ص٢٤٥؛ فهمي، عبد الرحمن، فجر السكة العربية، ص٢١٨.

(٢) فهمي، عبد الرحمن، النقود العربية، ص٢٨٠.

(٣) الحسني، محمد باقر، النقود العربية الإسلامية ودورها الحضاري والإعلامي، دائرة الشؤون الثقافية والنشر، بغداد، الجمهورية العراقية، ص١٠.

ورد ذكر اسم الدينار في القرآن الكريم: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ [(١)].

وجاء ذكر الدراهم المضروبة في القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾[(٢)].

وقد أشارت المصادر إلى أن جوهر الصقلي قائد الخليفة المعز لدين الله حينما توجه إلى مصر قادماً من القيروان ومعهُ الدنانير الذهبية فقد حملها في (١٢٠٠) الف ومائتي صندوق[(٣)]، والتي تعذر حملها ونقلها، فصهرها الخليفة وجعلها سبائك في هيئة أحجار "أرحية" الطواحين المستديرة المفرغة من الوسط. ووضعت على الجمال كل إثنين منها فوق ظهر جمل، وقد قدر بعض المؤرخين هذه السبائك الذهبية بـ(٢٣.٠٠٠.٠٠٠) ثلاثة وعشرين مليون دينار أعاد المعز ضربها من جديد في دار السك المصرية[(٤)].

وبهذا يكون الفاطميون ساعدوا بمجيئهم إلى مصر على زيادة الذهب الموجود في مصر والذي استخدمه المعز باجتذاب قلوب الكثيرين من الدعاة في مصر عن طريق إغداق الذهب عليهم. وقد حدد الصلح الذي عقده القائد جوهر مع المصريين في الاسكندرية في ٨ شعبان سنة ٣٥٨هـ ، مصير النقود الأخشيدية بأكملها بعد أن وافق الطرفان على تغيير النقود وتجديدها، ومنع الغش فيها وصرفها إلى العيار الذي عليه النقود المنصورية في شمال افريقيا (تونس الحالية). وقد أراد القائد جوهر تأكيد حق الخليفة المعز لدين الله بضرب النقود إذ كانت تلك الخصال الثلاث هي التي لا

---

(١) سورة آل عمران، الآية ٧٥.

(٢) سورة الكهف، الآية ١٩.

(٣) ابن خلدون، المقدمة، ص٣٢٢؛ المقريزي، النقود الإسلامية، ص٧٧؛ آشتور، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي ، ص٢٤٣.

(٤) المقريزي، النقود الإسلامية، ص٧٧.

يتسع لمن ينظر في أمور المسلمين إلا أصلاحها واستفراغ التوسع فيما يلزمه منها[١].

فقد أمر جوهر بضرب الدينار المعزي سنة ٣٦٣هـ/ ٩٧٣م، والذي يحمل اسم الخليفة المعز ولقبه[٢] "ولما كان الفاطميون من الشيعة، فإن سكتهم المصرية كانت بالضرورة تحمل صفتهم المذهبية وانتهت بذلك كل خصائص السكة الأخشيدية.."[٣]. وهذا يعني إنهاء كل خصائص النقود العباسية في مصر، فيما عدا ما يشير من نصوصها إلى شهادة أن لا إله إلا الله ومحمد رسول الله، وهذا ما وجد منذ سنة ٣٥٨هـ/٩٦٩م إلى عبارات تشير إلى الرسالة المحمدية ومكانة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) بعبارة "وعلي أفضل الوصيين ووزير خير المرسلين" كما يظهر لقب المعز "الامام معد أمير المؤمنين" وقد أخذت النصوص المكتوبة على الدنانير المصرية منذ عهد المعز زخرفها وأزينت فبدت على شكل دوائر تحيطها حلقات من خطوط بارزة على وجهي الدينار وبإمكاننا أن نقرأ في هذه الدوائر عبارات كثيرة نصها على الوجه[٤]:

١) معد رسول الله أرسلهُ بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

٢) وعلي أفضل الوصيين، ووزير خير المرسلين.

٣) لا إله إلا الله محمد رسول الله.

وفي ظهر الدينار ثلاثة سطور هامشية أخرى نصها من الخارج إلى الداخل:

١) بسم الله ضرب هذا الدينار بمصر سنة إحدى واربعين وثلثمائة.

٢) دعا الامام معد لتوحيد الإله الصمد.

---

(١) المقريزي،النقود الإسلامية، ص٧٩.لمعرفة الخصال الثلاث ينظر:أمان جوهر للمصريين قائمة الملاحق .

(٢) المصدر نفسه، ص٧٩؛ ينظر الملحق رقم (١٠) والخاص بالنقد الفاطمي.

(٣) المصدر نفسه ، ص٧٧.

(٤) المصدر نفسه ، ص٧٦؛ زيدان جرجي ، تاريخ مصر الحديث ، قدم لهُ وفهرسهُ قطمير عبود، مج٩، دار الجبل ، لبنان، ١٤٠٢هـ/١٩٨٤م.

٣) المعز لدين الله أمير المؤمنين[١].

وإذا ما صرفنا النظر عن ارتباط النصوص الآنفة الذكر على النقود بالعقائد الفاطمية، نلاحظ تلك النصوص مطابقة للنقود المعاصرة التي ضربت بالمنصورية التي أسسها الفاطميون بتونس سنة ٣٣٧هـ/٩٤٨م من جهة والنصوص التي نقشت على النقود في خلافة الدولة العباسية من جهة أخرى.

والى جانب ذلك التشابه بين نصوص النقود الفاطمية في مصر والمغرب وبغداد[٢].

وقد عادت تلك الإجراءات في نهاية الأمر بالنفع حيث "إتضع الدينار الراضي وانحط"[٣]، إلى نحو الثلثين من قيمته ونقص من صرفه أكثر من ربع دينار، فخسر الناس كثيراً من أموالهم لأن كل من كان يملك "الدينار الراضي" اضطر إلى بيعه بأقل من قيمته[٤].

ودخلت حكومة المعز في هذه المضاربة مشترية بالسعر الذي حددته فتحقق لها ربحاً كبيراً فضلاً عن تحقيق غايتها الأسمى وهي نجاحها في سحب نقود ذهبية عباسية كان لها قيمتها في نفوس الناس. وان ما اتخذته الحكومة من تدابير إنما

---

(١) المقريزي، النقود الاسلامية، ص٧٧؛ حسني، عبد الوهاب حسن، ورقات عن الحضارة العربية بأفريقية التونسية، مكتبة المنار، تونس، ١٩٦٤م، ص٤٢٢.

(٢) لم يصل حكم الفاطميين إلى العراق. ولكن في العصر السلجوقي الذي بدأ منذ سنة ٤٤٧هـ/٥٩٠م، نجد أن ديناراً بالنصوص الفاطمية كان قد سك بمدينة السلام سنة ٤٥٠هـ، ولقد واجهت السلطان السلجوقي طغرلبك مشكلة خروج البساسيري الذي كان قائداً لجند الأتراك في العهد البويهي وكان البساسيري مملوكاً من مماليك الأمير البويهي بهاء الدولة. وقد تمكن البساسيري من الاستيلاء على العاصمة بغداد سنة ٤٥٠هـ. وخطب للخليفة الفاطمي المستنصر بالله (٤٢٧-٤٨٧هـ/١٠٣٦-١٠٩٤م) وسك فيها الدنانير الذهبية، ويعد الدينار الوحيد الذي سك للفاطميين في بغداد. ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٣٢٠-٣٢٥؛ القيسي، ناهض عبد الرزاق، النقود في العراق ، مراجعة أ.د. عيسى سلمان، نشر بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٠٢م، ص٢٦٩-٢٧٠؛ موسوعة النقود العربية والإسلامية، دار أسامة للتوزيع والنشر، الأردن، عمان، ٢٠٠١م، ص١٨٦-١٩٤.

(٣) مبارك، علي باشا، الخطط التوفيقية، ج٢، ص٣٥.

(٤) المقريزي، النقود الإسلامية، ص٨٠.

كانت تسير على مبدأ اقتصادي مساوٍ في مصر حتى هذا العصر وهو: "أن النقود تتوقف على إرادة الحاكم"(١).

وجاء تشديد الفاطميين تماشياً لفرض نفوذها على المصريين وغيرهم من رعايا الدولة والقضاء على كل مظهر من مظاهر السيادة العباسية من أجل أن تتهيأ الرعية لاستقبال العهد الجديد في ظل دولة تسعى لتثبيت كيانها ودورها على مسرح الحياة العربية.

بعد أن شاع استعمال الدينار المعزي في التداول صحبهُ تحديد قيمتهُ من الدراهم الجديدة التي ضربها الفاطميون في مصر –والظاهر أن– الدولة الفاطمية لم تتوسع في ضرب الدراهم في بداية عهدها حتى عهد الخليفة الحاكم بأمر الله (٣٨٦-٤١١هـ/٩٩٦-١٠٢٠م). وبذلك تكون مصر قد تحولت إلى نظام المعدنين Bimetallic System بعد أن أصبحت الدراهم في عهده نقوداً قانونية، وعادةً يكون الإقبال على الدنانير والدراهم الجديدة في المناطق التجارية والرئيسية أكثر مما في المناطق الريفية وذلك لأن أهل الريف وخاصةً في الوجه القبلي كانوا يسيرون على نظام المقايضة في معاملاتهم التجارية حيث كانت "تجبى الخراج من الصعيد عيناً"(٢).

أمّا الفلوس(٣) الفاطمية فهي إلى جانب الدنانير الذهبية والدراهم الفضية ساعدت على مرونة التبادل التجاري كنقود مساعدة على الرغم من عدم عثورنا على خصائص هذا النوع من العملة لكن بعض الوثائق البردية التي ترجع إلى القرن الرابع الهجري تشير إلى أن أسعار بعض الحاجيات كانت تنخفض في أجزاء من الدنانير لم تضرب من النقود الذهبية(٤). وربما كان الدفع بالنسبة لهذه الأجزاء الصغيرة من

---

(١) المقريزي، الخطط، ج١، ص١٤٠؛ حسني، عبد الوهاب حسن، ورقات، ص٤٢٢.

(٢) المقريزي، إغاثة الأمة بكشف الغمة، ص٦٧؛ حيث استمرت هذه الحالة موجودة في الصعيد حتى القرن التاسع عشر الميلادي.

(٣) الفلوس: جمع فلس، وأصلها أفلس. وهو نقد ، كان يساوي سدس الدرهم الاتابكي أي ١٥ سنتيماً، أو ثلاثة من المليمات العصرية المصرية، أو ١٥ فلساً من فلوس العراق، ثم قيل: "كل حلية في اللجام من فضة، أو حديد مستدير فهي الفلوس، ينظر: المقريزي، النقود الإسلامية، ص٨٤.

(٤) المقريزي، المصدر نفسه ، ص٨٤؛ فهمي، عبد الرحمن، النقود العربية، ص٦٥.

سدس الدينار بالفلوس ، وإن بعض أجور العمال حددت بالدراهم وأجزاء من الدرهم بلغت ربع درهم أحياناً . ووصلت أثمان بعض الأقمشة إلى قيراط[1].

ومنذ الفتح الفاطمي لمصر كان الدينار المعزي يساوي (١٥.٥) درهم وقد تغيرت هذه القيمة بعض الوقت حتى وصلت أحياناً إلى (٣٦) درهم، أما النسبة بين الدينار والدرهم من ناحية وبين الفلوس من ناحية أخرى فلم تكن محدودة لأنها نسبة جزئية تغيرت قيمتها بسبب الغش الذي كان يحدث فيها عن طريق الصيارفة اليهود، حتى لجأت الحكومة الفاطمية إلى فرض رقابة مشددة لمنع تداول النقود "المنحطة" وخصصت مكاناً محدداً للصيرفة يسهل الإشراف عليه سمّي: "رحبة الصيارفة" بجوار المسجد الجامع "جامع عمرو" في مصر[2].

وفي أيام الخليفة الحاكم بأمر الله تزايد أمر الدراهم في شهر ربيع الأول سنة ٣٩٩هـ/١٠٠٨م، فبلغت كل ثلاثين درهماً بدينار، ونزل السعر، واضطربت أمور الناس فرفعت تلك الدراهم، وانزل من القصر عشرون صندوقاً، فيها دراهم جديدة، فرقت للصيارفة، وقرئ سجل يمنع المعاملة بالدراهم الأولى، وترك من في يده شيء منها ثلاثة أيام، وان يورد جميع ما تحصل منها إلى دار الضرب، فاضطربت الناس وبلغت كل أربعة دراهم بدرهم جديد، وتقرر أمر الدراهم الجدد على ثمانية عشر درهماً بدينار[3].

وهذا القرار يتجه بنا إلى الاعتقاد أن الدولة الفاطمية في محاولاتها لضبط الحياة النقدية تعرضت لبعض الأزمات، أربكت حياة الناس وأثارت تذمرهم.

---

(1) القيراط : ويقال فيه القراط : يختلف وزنه بحسب البلاد ، والقيراط عند أهل هذا العصر من الجوهريين جزء من الذهب الأبريز يزن جزءاً من مجموع الثقل المعدن، ولا يتخذ القيراط في عهدنا هذا إلا لوزن الماس والدّر، والقيراط قسمان : الأول شرعي وهو ثلاث حبات من حب الشعير المتوسط ، والثاني : الصيرفي في أربع أو قمحات، والقيراط هو المراد بالحمصة التي هي الحبة والحمصة أربع حبات قمح. ينظر : المقريزي ، النقود العربية ،ص٩٧-٩٨؛ الأوزان والمكاييل ، ص٨٩-٩٢ ؛ آ. آشتور، التاريخ الاقتصادي ، ص٢٥٨.

(2) المقريزي، الخطط، ج٢، ص٤٧ ؛ فهمي عبد الرحمن ، النقود العربية، ص٦٦.

(3) الكرملي، النميات، ص٥٧.

وفي أيام الخليفة الآمر بأحكام الله (٤٩٥-٥٢٤هـ/١١١٠-١١٤٩م) بلغ الدينار أقصى درجات النقاوة في العصور الإسلامية حداً لم يصل اليه أحد قبله[١].

وبالتالي يعد نقاء الدينار أحد الخصائص المميزة لاقتصاد مصر حتى نهاية الحكم الفاطمي، وقد بلغت نقاوته إلى ٩٦% من الذهب الخالص، مما يجعلها دنانير شبه تامة حتى أصبح الدينار كما أطلق عليه أحد المؤرخين "الدولار الاسلامي في العصور الوسطى"[٢]. وبذلك يعكس الرخاء الاقتصادي والمالي الذي عرفته مصر في عهد الفاطميين[٣].

والى جانب النقود وتداولها لابد من ذكر دور ضربها والأماكن التي تم الضرب بها. وسوف نتناول في المبحث القادم دور الضرب ومواقعها.

ثالثا- دار الضرب :

كانت الدولة الفاطمية تحصل على الأموال من مصادر عدة ومنها "دار الضرب ودار العيار"[٤]، حيث كانت تحصل مقابل سك مايتعامل به الناس من الذهب والفضة رسماً مقابل هذا العمل منعاً للتلاعب في قيمته إذا خرج عن أشراف الدولة. ويعتبر هذا الرسم أجرة دار الضرب عما يحضره الموردون من التجار من الذهب على اختلاف أصنافه فضلاً عن سيطرة الفاطميين على كل الطرق التجارية المؤدية إلى المناطق التي يكثر فيها الذهب، إذ لم يعتمد الفاطميون عند مجيئهم مصر على الثروة الكبيرة من الذهب التي جمعوها خلال الستين عاماً في المغرب والتي حملت على الجمال وسبكت على هيئة أرحية الطوحين[٥].

---

[١] ابن بعره، منصور الذهبي الكاملي (ت القرن الرابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي)، كشف الأسرار العلمية بدار الضرب المصرية، تحقيق: عبد الرحمن فهمي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٩٦٥م، ص٥٩.

[2] Ehrenkrutz, A.S., "The Ficcal Administration of Egypt in the Middle Ages, BSOASXVL, 1954, p.179.

[٣] مايسة، محمود داود، المسكوكات الفاطمية، دار الفكر العربي، القاهرة،١٩٩١م، ص١٠٥؛ ينظر الملحق رقم (١١) والمتضمن وزن الدينار بالغرام .

[٤] المراد هنا بدار العيار: دار الضرب لأن الدار المذكورة تعني عناية خاصة بوزن الذهب والفضة وزناً دقيقاً، ولهذا رادف الحرف الواحد الحرف الآخر. المقريزي، النقود الإسلامية، ص٧٠.

[٥] المقريزي، الخطط، ج١، ص٤٣٢.

سيطر الفاطميون على الطرق المؤدية إلى غانا، بالرغم من أن مملكة غانا كانت بعيدة عن مصر وبينهما صحراء واسعة فقد قامت بين الطرفين تجارة تدر بالثروة لكل منهما، وكان المركز الشمالي لهذه التجارة هو سجلماسة في واحة تافيليت في جنوب الأطلس تماماً .

من الإشارات الأولى عن سجلماسة ما أورده ابن حوقل بقوله: "إنها بلدة متوسطة الحجم... ولايستطيع المرء أن يدخل سجلماسة إلا عن طريق الصحراء وهو طريق شاق بسبب الرمال. وتقع البلدة بالقرب من مناجم الذهب[1]، أنها بين هذه المناجم وبين أرض السواد وأرض زويلة، ويقال عن هذه المناجم أنها تشتمل على أحسن الذهب نقاوة وجودة، ولكن العمل فيها عسير والطريق محفوف بالأخطار والمتاعب"[2].

من خلال الاستكشافات الجغرافية الخاصة بالساحل الغربي لأفريقيا وبالأقسام الداخلية في القارة الأفريقية أن اكتشاف الذهب وما يحمله من المزايا والخصائص التي لاتتوفر في أي معدن آخر حتى الفضة، جعل الذهب يطلب لأغراض النقود، فهو صغير الحجم كبير القيمة ويقاوم البلى والمؤثرات الطبيعية ويمكن ادخاره لوقت الحاجة وما إلى ذلك من الصفات المرغوبة الأخرى[3].

---

[1] أحمد الشنتشاوي وآخرون ، دائرة المعارف الإسلامية، مج١١، ص٢٩٨-٣٠١؛ ابن منظور ، لسان العرب، ج٣، ص١٥٥٢ .

[2] صورة الأرض، ص٢١.

[3] مع إن الذهب أصيب بعدة نكسات أدت إلى تقليل الطلب عليه لأغراض النقود في الداخل بعد إحلال النقود الورقية غير قابلة للتحويل بدلاً عن الذهب مسكوكة أو سبيكة فإنه "أي الذهب" بقي = =من العناصر المهمة التي تؤلف الاحتياطات النقدية الدولية المستخدمة في إبقاء الديون والالتزامات بين الدول، بالإضافة إلى العملات الدولية وحقوق السحب الخاصة وما إلى ذلك. ويزداد الناس طلباً للذهب بدلاً من النقود عند حالات التضخم الحاد لحماية مدخراتهم من التآكل بخلاف الذهب الذي يحافظ على قيمته الاستبدالية فهو ملاذ مأمون. بوفيل، تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، نقله إلى العربية د. الهادي أبو لقمة، د. محمد عزيز، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ١٩٨٨م، ص١٣١.

استمر العمل بهذا الطريق وحصول الفاطميين على الذهب وتكوين ثروة كبيرة جداً إلى أن تمت سيطرتهم على مصر حيث فقد المصريون هذا المصدر الهام بعد انتقالهم إلى مصر.

لم يكتفِ الفاطميون بالذهب الذي بحوزتهم حتى وان كان يمكنهم من فرض سيطرتهم على مصر على الأقل لمدة ليست بالطويلة، إلا أنهم عوضوا عن ذلك بسيطرتهم على منجم وادي العلاقي[١]، جنوب مصر ومن مقابر الفراعنة، حيث يذكر أنه من أراد المعادن معادن التبر خرج من أسوان إلى موضع يقال له الضيقة بين جبلين ثم البويب ثم البيضية... ثم وادي العلاقي وكل هذه المواضع معادن التبر يقصدها أصحاب المطالب. ووادي العلاقي كالمدينة العظيمة به خلق من الناس... وهو وما حواليه معادن للتبر[٢].

كانت دار الضرب في أول أمرها في الفسطاط التي بقيت حتى بعد سقوط الدولة الفاطمية لفترة غير قصيرة مدينة مصر الرئيسية ومركز نشاطها الاقتصادي والصناعي والعلمي، واستمرت بها حتى عام ٥١٦هـ/١١٢٢م، إذ أمر الوزير الأفضل بنقلها إلى القاهرة أو ببناء دار فيها كونها مقر الخلافة[٣]. ومركز الدولة الإداري والسياسي والمعقل الرئيسي لنشر الدعوة الإسماعيلية[٤].

وقد كانت الفسطاط مركز الجنوب التجاري والاقتصادي بسبب قربها من شاطئ النيل ولالتقاء طرق التجارة القادمة من البحر الأحمر والبحر المتوسط[٥].

---

[١] العلاقي: حصن في بلاد البجة في جنوب أرض مصر، به معدن التبر بينه وبين مدينة أسوان في أرض قياحة يحتفر الإنسان فيها، فإن وجد شيء فجزء منه للمحتفر وجزء منه للسلطان (سلطان العلاقي) وهو رجل من بني حنيفة من ربيعة وبينه وبين رجل من بني عيذاب ثمان رحلات. ينظر: ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص١٤٥.

[٢] ابن رستة، الأعلاق النفيسة، ص٣٣٤-٣٣٥.

[٣] المقريزي، الخطط، ج١، ص٤٤٥.

[٤] المسبحي، أخبار مصر، ص٦٨.

[٥] سيد، أيمن فؤاد، الدولة الفاطمية، ص٣٣٥.

ثم بنيت دور للضرب في القاهرة والتي سميت بالآمرية نسبة إلى الخليفة الآمر بأحكام الله الذي بناها وزيره المأمون البطائحي سنة ٥١٦هـ/١١٢٢م[١]. ووجدت أيضاً دور في الاسكندرية وقوص وصور وعسقلان[٢].

وكانت دور الضرب من المنشأة[٣] التي عنى بها الخلفاء الفاطميون لارتباطها ارتباطاً وثيقاً بحياة البلاد الاقتصادية، فكان يشرف عليها قاضي القضاة لجلالة قدرها عندهم[٤]. وهناك ناحية أخرى تبينها كتب السكة، وهي السنة التي ضربت فيها النقود لأول مرة؛ فهي تبين التاريخ الذي أصبحت فيه هذه المدينة حاضرة للإقليم، كما تبين السنة التي انقطع فيها ضرب النقود بمدينة من المدن، وهي تدل أيضاً على التاريخ الذي انتهت فيه أهمية المدينة كحاضرة لهذا الإقليم، وقد انتشرت دور الضرب في مصر وكذلك في الولايات التابعة للدولة الفاطمية مثل صقلية وأفريقية وبلاد الشام[٥].

امتلكت الدولة دوراً لسك النقود[٦] وبكميات كبيرة من الذهب، وتمكنت من سك الدنانير التي تبلغ درجة نقائها ١٠٠% تقريباً، لأن طرق التجارة عبر الصحراء بقيت مفتوحة للفاطميين وأدى الضغط الكبير على خلفاء القاهرة في أوائل القرن الثاني عشر إلى تخفيض العملة الذهبية، وتمكن الخليفة الآمر بأحكام الله (٤٩٥هـ/١١٠١م) التغلب على مشكلة نقص الذهب ورفع نقاوة الدينار مرة أخرى إلى مستواها السابق، ومن ثم فإن نقاء الدينار يعد إحدى الخصائص المميزة لاقتصاد مصر حتى نهاية الحكم الفاطمي[٧].

استمر العمل بدور الضرب لسك النقود وتؤكد المصادر أنه لم يعثر على دنانير مضروبة في القاهرة قبل سنة ٥١٦هـ/١١٢٢م، وهي السنة التي تم إنشاء دارٍ جديدٍ

---

[١] المقريزي، الخطط، ج١، ص٤٤٥.

[٢] المقريزي، إغاثة الأمة، ص١٥؛ الخطط، ج٢، ص١٧٧؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٤، ص٥٣.

[٣] ابن ميسر، أخبار مصر، ص٩٢؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٣، ص٩٢.

[٤] المقريزي، الخطط، ج١، ص٤٤٥.

[5] Henri Lavoix; Gatalogue des Monnaies Musulmanes, PP.517-531.

[٦] ينظر الملحق رقم (١٢) والخاص بدور الضرب.

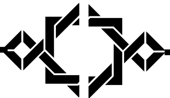
[٧] آ. آشتور، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، ص٢٤٣.

فيها ونستدل من قول المقريزي الذي عدّ دور الضرب من المنشآت التي عنى بها الفاطميون، وإنها تضم عدداً من الموظفين كل له عمل يختص به. ولم يكن للحكومة الفاطمية حقاً وحدها سك النقود، بل كان مصرحاً للأفراد بالالتجاء إلى دار الضرب بما معهم من سبائك ذهبية تسك نقوداً مقابل رسوم معينة، فكانوا يتقاضون رسماً قدره (٣.٤%) في حالة الذهب و(١.٥%) في حالة الفضة وقد ذكر لنا أحد المؤرخين بقوله: "وأجرة كل ألف دينار تضرب بالقاهرة ثلاثون ديناراً يخرج من ذلك أجرة الضرابين ثلاثة دنانير وكانت الأجرة إلى آخر عام ست وثمانين وخمسمائة، أربعة وثلاثين ديناراً وربع الدينار، ورسم المشارفة ربع وسدس وثمن حبة، وكان دينار وثلثي دينار والفضة يؤخذ فيها ثلثمائة درهم تضاف إلى سبعمائة من النحاس وأجرة كل ألف درهم أربعة عشر درهماً ونصف يخرج من ذلك برسم المشارفة درهمان وربع"[١].

وظلت دار الضرب تؤدي خدمات جليلة، فهي التي تسك المقادير اللازمة للتعامل وتنشيط التجارة ولاشك أنها كانت تزيد من إنتاجها أو تقلل منه حسب الحاجة حتى تنظم العلاقة بين النقد المتداول والسلع المعروضة، كما أنها تتدخل في حل الأزمات المالية إذا ماحدثت، فهي تحدد السعر لكل من النقدين المستعملين للتوازن بينهما حفظاً للتوازن بينهما من جهة، ومنعاً لأي اضطراب قد يكون لهُ أثر سيئ ينعكس على النشاط الاقتصادي والاستقرار الاجتماعي.

والنقود الإسلامية كانت تضرب أما بطريقة رسمية أو بطريقة غير رسمية من قبل الخاصة أو العامة من الناس، سراً أو علناً، معارضين كانوا أم موالين، وكانت تلك النقود تظهر في ظروف ومناسبات مختلفة سياسية أم اجتماعية أم دينية، لإيصال آراء أصحابها ومبادئهم وعقائدهم ومناسباتهم إلى غيرهم، أمّا بكتابة نصوص أو رسم صور أو علامات أو رموز تدل على ما يبتغوه من أمور. والأمثلة على ذلك كثيرة، إذ ضربت نقوداً خارج دور الضرب الحكومية، وما حصل بأن رجلاً

[١] ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص٢٣٢-٢٣٣.



اتهم في سنة ٣٢٩هـ/٨٤٣م بأنه ضرب نقوداً فعوقب وشهر به في أسواق بغداد وطرقاتها[١].

وثمة ظاهرة أخرى حصلت أبان التسلط البويهي (٣٣٤-٤٤٧هـ) وهي شيوع ضمان دور ضرب النقود، غير أن الضامنين كانوا تحت الرقابة الحكومية ولم تتوانَ الدولة عن توجيه أشد العقوبات لمن يقدم على التلاعب بالنقود أو تزييفها[٢].

وبهذا تكون الدولة العربية الإسلامية حافظت على سلامة نقدها من الغش والزيف، وأخذت الحكومة تفرض عقوبات شديدة ورقابة صارمة على دور الضرب لأن ذلك له صلة بالناس ومعيشتهم وتجاوزاً لحالات الاضطراب التي تسود المجتمع لقاء تزييف النقود.

وغالباً ما كانت النقود تتأثر بالأحداث السياسية والصراع الداخلي، وكانت الدولة الفاطمية لا تختلف عن سابقتها ويظهر هذا بوضوح بعد موت الخليفة المستنصر بالله (٤٨٧هـ/١٠٩٤م) وإعلان حق ابنه نزار بالخلافة من أخيه المستعلي وفراره إلى الاسكندرية والتفاف كثير من الأتباع حوله وظهور الدعوة النزارية.

أخذت تظهر إلى الوجود بعض العملات من الدنانير لأتباع هذا المذهب، وكذلك في عهد الخليفة الحافظ (٥٢٤-٥٤٤هـ/١١٣٠-١١٤٩م) بعد أن تولى الخلافة بعد مقتل ابن عمه الخليفة الآمر على يد فريق من النزارية وإعلانهم رفضهم لتوليته أمر الخلافة، وإعلان البيعة لابن الخليفة الآمر وكان طفلاً، فلقب الإمام الطيب ونقشت الدنانير باسمه سنة ٥٢٥هـ-١١٣٠م[٣].

ويوضح لنا نموذج الدنانير ذلك الرأي فقد وجد عبارات على بعض الدنانير المحفوظة بدار الكتب المصرية.

الإمام محمد :

---

[١] الصولي، أخبار الراضي، ص١٤٨.

[٢] الكبيسي، حمدان، أصول النظام النقدي في الدولة الإسلامية، سلسلة الموسوعة التاريخية الميسرة، ط١، لسنة ١٩٨٨م، العراق، بغداد، ص٤١-٤٢.

[٣] ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص١٧٥.

أبو القاسم المنتظر بأمر الله أمير المؤمنين

بسم الله الرحمن الرحيم –ضرب هذا الدينار بالاسكندرية خمس وعشرين وخمسمائة:

ويتضح ان تلك العملة من الدنانير استخدمت للدعوة النزارية والمطالبة بالخلافة إلى جانب النص السابق ان تلك الدنانير كانت تسك بالاسكندرية وهي مقر أنصار الدعوة النزارية والتي اتخذتها مقراً لها[١].

والى جانب الدنانير الفاطمية المضروبة بمصر كان هناك نوع آخر مجلوب من الخارج أخذ يظهر بالبلاد بكميات كبيرة واكتظت به الأسواق في فترة الحروب الصليبية وهي تلك الدنانير التي ضربت بعد قيام الإمارات الصليبية الأربع في الرها، وأنطاكية، وبيت المقدس، وطرابلس، فقد احتاج الصليبيون إلى عملات تخدم معاملاتهم التجارية وأغراضهم السياسية وشؤون الحجاج والفرسان سواء المنتقلون منهم أو المقيمون، ولذا فقد ضربت نقود للتداول في الأراضي المقدسة وعرفت بالعملة البيزنطية العربية وهي قديمة وازداد حجمها بعد سنة ٥١١هـ/ م في عهد الخليفة الآمر بأحكام الله عندما استولى الملك بلدوين الثالث ملك بيت المقدس على مدينة الفرما وحاول الاستيلاء على تنيس[٢].

وفي هذه الحقبة أصدرت عملة (زائفة) باسم الخليفة الآمر بأحكام الله استمر تداولها ثلاث سنوات تحمل كتابات النقود الفاطمية ولكنها تختلف عنها من حيث الاتقان فالنقود الصليبية تحمل نقوشاً عربية غير متقنة بعكس الفاطمية التي كانت نقوشها وكتاباتها تحفة فنية لأنها كتبت بيد عربية، ومازالت قطع من تلك العملة محفوظة في دار الكتب المصرية[٣].

رابعا- النقود الفاطمية في بلاد الشام :

---

[١] خسرو، سفرنامة، ص١٦٨.

[٢] المصدر نفسه ، ص١٧٨.

[٣] خسرو، سفرنامة، ص١٧٨؛ الشوربجي، أمينة أحمد امام، رؤية الرحالة المسلمين للأحوال المالية والاقتصادية لمصر في العصر الفاطمي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤م، ص١٣٥.

كانت النقود التي يتم التعامل بها في العصر الأخشيدي هي النقود العباسية باعتبار الدولة الأخشيدية إحدى ولايات العباسيين، وكانوا يتعاملون بالدينار الراضي المنسوب إلى الخليفة العباسي الراضي (٣٢٢-٣٢٩هـ/٩٣٤-٩٤١م)(١). وكان الأخشيديون يضيفون إلى النقود التي تُسك في دولتهم سواءاً في دمشق أو في فلسطين أو في مصر أسماءهم إلى جانب اسم الخليفة العباسي(٢).

ولما قدم الفاطميون أبقوا التعامل بهذه النقود، حيث كانت في دمشق دار لضرب النقود ومكانها في قصر الخضراء خلف الجامع الأموي(٣). واوكل الفاطميون مهمة الإشراف على ضربها لقضاتهم لأن من عاداتهم ان يضيفوا الإشراف على دار الضرب إلى القضاة(٤).

لقد سك الفاطميون الدينار المعزي الذي نسب إلى المعز لدين الله الفاطمي(٥). وحملت النقود الفاطمية على كل وجه من وجهيها ثلاث دوائر داخل بعضها البعض ومنقوش بيتها بخط كوفي وعلى وجه واحد (لا إله إلا الله) وعلى الوجه الآخر اسم الخليفة ولقبهُ ومكان وتاريخ ضرب النقد(٦). وكانت دمشق إحدى المدن التي تضرب بها هذه الدنانير الفاطمية(٧).

---

(١) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٢٠٤؛ المقريزي، الخطط، ج٢، ص٨؛ ماجد، عبد المنعم، ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها في مصر، دار المعارف، الاسكندرية، ١٩٦٨م، ص٢٩٧؛ الصليبي، محمد، النقود في بلاد الشام في العصر العباسي، ص٦.

(٢) مجموعة المسكوكات الإسلامية، إصدار البنك العربي، لسنة ١٩٨٠م، ص٥٢.

(٣) المقريزي، الخطط، ج١، ص٤٠٥.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٥٥٧؛ ابن حجر، رفع الأجر عن قضاة مصر، ج٢، ص٢٩٢، ٣١٠، ٥٩١؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج١، ص٩٧؛ الخطط، ج١، ص٤٠٤؛ حسن، حسن إبراهيم، تاريخ الدولة الفاطمية، ص٣١٢؛ ماجد، عبد المنعم، نظم الفاطميين، ص١٢٦.

(٥) المقريزي، الخطط، ج٢، ص٨.

(6) Lane-Pool, Arabic Coins, P.158, 163, 164.
الصليبي، محمد، النقود في بلاد الشام في العصر العباسي، ص٣.

(7) IBN, P.174.
ماجد، عبد المنعم، نظم الفاطميين، ص١٢٦.

استمر ضرب الدينار الفاطمي في خلافة العزيز بالله (٣٦٥-٣٨٦هـ/٩٧٥-٩٩٦م)، أمّا في خلافة الحاكم (٣٨٦-٤١١هـ/٩٩٦-١٠٢٠م) فقد أصدر سنة ٣٨٦هـ/٩٩٦م دنانير تحمل على إحدى وجهيها الشهادة وعلى الوجه الآخر اسمه[١]. كما أصدر الفاطميون في عهد الحاكم بأمر الله دراهم جديدة أيضاً[٢]، لتسهيل التعامل بالنسبة للسلع قليلة الثمن، وحملت هذه الدراهم اسم "الدراهم النقرة" وكان ثلثا الدرهم من الفضة وثلثه من النحاس، وهو الدرهم الذي شاع استعماله في بلاد الشام في القرن الخامس الهجري، الحادي عشر الميلادي[٣]. وقد دفعت الأزمات والشدائد وظروف الحياة الصعبة إلى سك مثل هذه النقود.

وفي سنة ٤٢٥هـ/١٠٣٣م ضرب الفاطميون نقوداً حملت اسم الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله، وهي تشبه نقود الحاكم لكنها أكبر حجماً منها[٤]. وفي عهد المستنصر بالله (٤٢٧هـ/١٠٣٥م) ضرب الفاطميون ثلاثة أنواع من النقود بتواريخ متقاربة وبأشكال مختلفة فقد ضربت العملة الأولى في القاهرة (٤٢٨هـ/١٠٣٧م) وضربت الثانية في مدينة صور سنة (٤٤٢هـ/١٠٣٠م) أمّا العملة الثانية فقد ضربت سنة (٤٦٥هـ/١٠٧٢م) وعلى ما يبدو في الشام[٥].

طرأ تغيير على نقش النقود في العصر الفاطمي، وتأثرت هذه النقوش بالطابع الديني والسياسي للدولة الفاطمية وصارت العبارات التي تكتب على هذه النقود تتضمن أموراً ذات علاقة بالمذهب الفاطمي فقد نقش على أحد الوجهين عبارة: "لا إله إلا الله محمد رسول الله علي ولي الله" وعلى الوجه الآخر كتب اسم الخليفة

---

[١] ماجد، نظم الفاطميين، ص١٢٦.

[٢] المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص٥٨؛ الكرملي، النميات، ص٥٨-٥٩؛ سرور، محمد، الدولة الفاطمية، ص١٦٠.

[٣] المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١٨٢؛ الشيرزي، نهاية الرتبة، ص٢١٧.

[4] Lane-Pool, Arabic Coins, P.174.

[5] Lane-Pool, Arabic Coins, P.174.

الفاطمي وأحياناً اسم الوزير إلى جانبه أو اسم ولي العهد[١] كذلك كان يظهر على هذه النقود تاريخ ضربها واسم البلد التي ضربت فيه أي بلاد الشام[٢].

حصل الفاطميون على كميات كبيرة من الذهب من مصر والسودان لذلك حافظوا على مستوى عال للدينار غير أن تعرض بعض النقود للتآكل أو الغش كان يؤدي إلى ضعف قوتها الشرائية وانخفاض سعر صرفها[٣]. وقد يتدخل الخلفاء أحياناً لتغيير مقادير العملة وتحديدها[٤]، فتختلف قوتها الشرائية.

وفي حال انتشار الغش والقرض في النقود، كان الصيارفة وأكثرهم من اليهود والنصارى في بلاد الشام خلال القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي[٥]، يلجأون إلى سحب النقود الرديئة من الأسواق واستبدالها بالعملة الأجود. وقد أورد لينبول إشارات لقطع نقدية سكت بدار الضرب القريبة من الجامع الأموي في دمشق خلال العصر الفاطمي وقد حملت هذه القطع مواصفات النقود الفاطمية نفسها المضروبة في فلسطين أو القاهرة وكانت على النحو التالي:

القطعة الأولى: ضربت في خلافة الحاكم بأمر الله الفاطمي سنة ٣٩٥هـ/١٠٠٤م وتحمل المواصفات الآتية[٦]:

"وجه الدينار"

على الطوق محمد رسول الله أرسله

لا إله إلا الله وحده لاشريك له

في المركز محمد رسول الله

---

[١] السيوطي، حسن المحاضرة، ج٢، ص١١٦ و١٥٤؛ المناوي، محمد بن تاج العارفين بين علي بن زين العابدين (ت١٠٣١هـ)، النقود والمكاييل والأوزان، تحقيق رجاء محمود السامرائي، القاهرة، لا ت، ص٩٩ ؛ مجموعة المسكوكات الإسلامية، البنك العربي، ص٥٤؛ الصليبي، النقود في بلاد الشام، ص١٣؛ ماجد، عبد المنعم، نظم الفاطميين، ص١٢٧، ١٧٢.

[٢] الشوربجي، أمينة، رؤية الرحالة المسلمين، ص١٣٣؛ ماجد، عبد المنعم، نظم الفاطميين، ص١٢٧.

(3) Lane-Pool, Arabic Coins, P.164.

[٤] المقريزي ، النقوذ الإسلامية ، ص٧٤ .

[٥] المصدر نفسه ، ص٧٤ .

(6) Lane-Pool, Arabic Coins, P.164.

علي ولي الله

"ظهر الدينار"

على الطوق: بسم الله ضرب هذا الدينار بدمشق سنة خمس وتسعين وثلثمائة عبد الله ووليه المنصور أبو علي الحاكم بأمر الله.

في المركز: أمير المؤمنين.

القطعة الثانية: دينار ضرب في دمشق سنة ٤٣٧هـ/١٠٤٥م في خلافة المستنصر ويحمل المواصفات الآتية(١):

الوجه:

علي

على الطوق: لا إله الا الله وحده

لا شريك له

محمد رسول الله

ولي الله

في المركز: محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

الظهر:

على الطوق: معد

الأمام أبو

تميم المستنصر

بالله امير المؤمنين

في المركز: المكان والتاريخ، أي مكان وتاريخ ضرب العملة.

---

(1) IBN, P.177.

القطعة الثالثة: أيضاً دينار مضروب في خلافة المستنصر بالله، وضرب في دمشق سنة ٤٣٩هـ/١٠٤٧م ويحمل المواصفات نفسها في القطعة السابقة المضروبة سنة ٤٣٧هـ/١٠٤٥م[١].

الظهر:

كان كتب عليه أيضاً بدوائر ثلاث كما يأتي:

١- بسم الله ضرب هذا الدينر بدمشق سنة سبع واربعين وأربعمائة.

٢- دعا الإله معد لتوحيد الإله الصمد.

٣- المستنصر بالله امير المؤمنين.

وبهذا فإن النقود التي تعامل بها أهل دمشق طوال الحقبة الفاطمية هي النقود الفاطمية وكانت تلك النقود تتأثر بما كان يحدث للنقد في مصر من تغيير وتطور، وما كان يسك في دمشق من نقود فاطمية هي لسد حاجة أهل الشام من النقد وخصوصاً دمشق.

وكان يأتي إلى دمشق كما يأتي إلى باقي الولايات الفاطمية دنانير رباعية، وهي نقود تذكارية حملت اسم "الغرة" إضافة إلى دراهم خفاف مدورة كان يتم ضربها في العشر الأخيرة من ذي الحجة في كل عام[٢].

خامسا - النقود التذكارية للدولة الفاطمية:

لم يكن الفاطميون هم أول من ابتدعوا سك الدنانير الذهبية التي تسك عادة لأغراض تذكارية، القصد منها الأنعام بها على بعض الناس في بعض المناسبات والأعياد والمواسم، ولعل العباسيون هم أول من ضرب مثل هذه النقود لتفريقها على

---

[1][1] Lane-Pool, Arabic Coins, P.180.

[٢] ابن خلدون، المقدمة، ص٣٣؛ ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص١٦٧؛ ماجد، عبد المنعم، نظم الفاطميين، ج٢، ص٩٥؛ محاسنة، محمد حسين، تاريخ مدينة دمشق خلال الحكم الفاطمي، الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية، دمشق، ٢٠٠١، ص٢٢٥-٢٢٧.

الرعية كعطايا من الخليفة والأمراء ونثرها على الناس كما تنثر الورود في حفلات الزفاف والولادة والختان.

يذكر أن جعفر بن يحيى البرمكي وزير الخليفة الرشيد خلال إشرافه على سك النقود سنة (١٧٦-١٨٦هـ) كان قد سك دنانير ذهبية يزن الواحد منها مئة وواحد مثقال في حين ان الوزن الشرعي للدينار هو مثقال واحد ويعادل (٤.٢٥ غرام) وكانت تلك الدنانير قد استغلها البرامكة في كسب الأنصار من القادة والشعراء، وقد وصفها أحد الشعراء بقوله:

وَأَصْفَرَ مِنْ ضَربِ دَارِ الملُوكِ   يَلُوحُ عَلَى وَجهِهِ جَعْفَرْ
يَزِيدُ عَلى مَائةِ واحداً   إذَا نَالَهُ مُعْسِرٌ يُوسِرْ [١]

وضرب العباسيون دنانير سميت بدنانير الخريطة "الخزانة" للإنعام بها على المغنيين وغيرهم[٢].

أما الفاطميون فقد اقتدى بهذه السنة للدعاية لأنفسهم وكسب مودة الشعب وولائه، فقد اصطحب الكثير من الدعاة الفاطميين في أواخر عصر الدولة الأخشيدية في مصر الدنانير تلك بقصد أخذ البيعة للخليفة المعز لدين الله من كثير من رؤساء الجند الاخشيديين قبل دخول الفاطميين للبلاد سنة ٣٥٨هـ. وكانت هذه الدنانير التي عدت لهذه المناسبة ضربت عليها اسم مصر وتاريخ سنة ٣٤١هـ مع بقية العبارات التي حملت المذهب الفاطمي. وتحتفظ دار الكتب المصرية بواحدة من هذه الدنانير التذكارية النادرة التي سبقت فتح الفاطميين لمصر بسبعة عشر عاماً[٣].

وابتدع الفاطميون نوعاً من النقود التذكارية الذهبية تسمى خراريب "جمع خروبة" وهي دنانير صغيرة الحجم خفيفة الوزن يصل وزنها إلى (٠.١٩٤ غرام) لتوزع في بعض المواسم والأعياد على أفراد الشعب المصري كما في خميس العهد الذي: "يسميه أهل مصر من العامة خميس العدس ويعمله نصارى مصر قبل الفصح

---

[١] المقريزي، إغاثة الأمة بكشف الغمة، ص١٠٠.

[٢] المقريزي، النقود الإسلامية، ص١٩١-١٩٣؛ الكرملي، النميات، ص١١٧؛.

[٣] المقريزي، إغاثة الأمة، ص١١٠.

بثلاثة أيام ويتهادون فيه وكان من جملة رسوم الدولة الفاطمية في خميس العدس ضرب خمسمائة دينار ذهباً وعشرة آلاف خروبة وتفرقتها على جميع أرباب الرسوم"[١].

يحتفل الأقباط في خميس العهد في كنائسهم فيحضروا إناءً مملوءً بالماء ويرتل عليه رجال الدين ويتلون الادعية المناسبة ثم يقوم البطريرك بغسل أرجل الحاضرين في هذا الإناء. وفي اعتقادهم ان المسيح (عليه السلام) قد قام بهذا العمل مع تلاميذه في هذا اليوم، بهدف تعليمهم التواضع، ثم أخذ عليهم العهد بألا يتفرقوا وأن يتواضع بعضهم لبعض[٢].

ويذكر المقريزي أن: "الوزير المأمون البطائحي أحضر كاتب الدفتر وأمره بالكشف عما كان يضرب برسم خميس العدس (خميس العهد) من الخراريب الذهب، وهو خمسمائة دينار عن عشرين الف خروبة، واستدعى كاتب بيت المال ودفع له بإطلاق الف دينار وأمره بإحضار مشارف دار الضرب وسلمها اليه فاعتمد ذلك وضربت عشرون الف خروبة. وأحضرها فأمر بحملها إلى الخليفة، فخص المأمون منها ثلاثمائة دينار[٣].

وعلى الرغم من انتظام الخلفاء الفاطميين في العصر الفاطمي الأول على ضرب تلك الخراريب لتوزيعها يوم خميس العهد إلا أنها منذ عهد الخليفة الحافظ لدين الله في العصر الفاطمي لم تضرب إلا مرة واحدة ثم أبطل ضربها بعد ذلك[٤].

وكانت تضرب نقود تذكارية أخرى برسم التفرقة في أول كل عام وكانت العادة: "أن يحمل إلى الوزير منها ثلثمائة وستون قيراطاً والى أولاده وأخوته من كل صنف، من ذلك خمسون والى أرباب الرتب من أصحاب السيوف والأقلام من عشرة دنانير وعشرة رباعيات وعشر قراريط إلى دينار"[٥]. وأن جملة المبلغ الذي ينعم به من هذه

---

[١] المصدر نفسه، ص١١٠؛ فهمي، النقود العربية، ص٦٧.

[٢] خسرو، سفرنامة، ص١٨٠؛ الشوربجي، أمينة، رؤية الرحالة المسلمون، ص١٤٤.

[٣] إغاثة الأمة، ص١٢٠.

[٤] الشوربجي، أمينة، رؤية الرحالة المسلمون، ص١٤٥.

[٥] المقريزي، النقود الإسلامية، ص٧٨؛ فهمي، النقود العربية، ص٥٨.

الغرة أول العام ما يقارب من ثلثمائة الف دينار فيتقبلها الوزراء والأمراء وأرباب المراتب من الخليفة على سبيل التبرك.

ومهما يكن من الأمر فإن الدينار الذي ظهر في عهد أبناء الأخشيد والتي وصل منها دينار سنة (٣٤١هـ) وضرب في المغرب مسجلاً عليه اسم مصر لنشر الدعاية لسلطان الفاطميين بين المصريين وإيهام من لم يدخل في طاعتهم ان الأمور قد صارت لهم تماماً [١]. سيما وان الفاطميين كانوا يشعرون بأن استيلاءهم على مصر كان قريب الوقوع، ولم يعد تحقيقه أكثر من مسألة وقت. وهناك افتراض يعزي رجوع ظهور الدينار الفاطمي في تلك الفترة إلى قيام بعض الموالين الذين عملوا على ضربها من غير اعتبار لسلطان أنوجور، إلا أن هذا الافتراض لم يكن بصحة ما ذكرناه أعلاه وهو أن الأمور صارت للفاطميين.

سادسا- سياسة الفاطميين تجاه الأزمات المالية الاقتصادية:

اهتم المصريون منذ القدم بالزراعة لأنها تعد عصب الاقتصاد المصري، وقد نبه إلى ذلك الفاطميون منذ قدومهم وهي كانت ولا تزال المظهر البارز في حياة مصر الاقتصادية، واعتمدت الزراعة على انتظام النيل، حيث إن زيادة ماء النيل عن الحد اللازم كان ذا أثرٍ عظيم بالنسبة إلى رخاء البلاد وغنى السكان ومبلغ الإيرادات التي تحصل عليها الحكومة، وكان الفيضان المنخفض والذي لايسمح بري جميع الأراضي مما يؤدي إلى نقص المحصول وعجز الحكومة على جباية الخراج –وفي الوقت نفسه– ان ارتفاع منسوب المياه الذي يصل إلى حد الفيضان كان يؤدي إلى إغراق وإتلاف المحاصيل الزراعية فيقل بذلك الكلأ والمرعى وفي كلا الحالتين "انخفاض منسوب المياه وارتفاعه" يهدد البلاد القحط مصحوباً في الكثير من الأحيان بالوباء[٢].

---

(١) المقريزي، النقود الاسلامية ، ص٧٨؛ فهمي، النقود الاسمية ، ص٥٨.

(٢) المخزومي، المنهاج، ص٤٧؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٢٩٥؛ المقريزي، الخطط، ج١، ص٥٨–٥٩؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١، ص٥٤.

لذلك عمل المصريون على تقسيم الأرض الزراعية إلى حياض يصل اليها الماء في زمن الفيضان بواسطة شبكة واسعة من الترع والقنوات التي تسّد حتى يبلغ ارتفاع النيل حداً معيناً ، وكي يتسنى غمر هذه الحياض بالماء كان من الضروري أن يكون الفيضان عادياً ، وان تطهر الترع في فصل الجفاف[١]. وان يكون مستوى ماء الفيضان أعلى من مستوى قاع الترع التي تحمله إلى الحياض، ولهذا كانت عناية الفاطميون إلى حد ما بضرورة صيانة الجسور التي يتوقف عليها بقاء الماء فوق سطح الحياض ومنعها عن التسرب مرة أخرى إلى النهر من وراء الجسور[٢].

من ذلك كله تتوقف نجاح الزراعة في مصر على عاملين: أولهما: فيضان النيل والآخر مدى عناية الحكومات بتوفير الإمكانات اللازمة للعناية بالزراعة، وهذا يعني تحكم الطبيعة والإنسان معاً .

أما من حيث الطبيعة فذكرنا أثر فيضان النيل المنخفض والعالي وما يسببه من نتائج عكسية تلوح في نهايتها التأثير السيئ على المجتمع، أّما العامل الثاني: فقد تمثل في ضرورة عمل الحكومات المتعاقبة على تحسين الري وتعميق الترع والقنوات والمحافظة على الجسور المقامة على نهر النيل[٣]. لذلك ولكي تضمن الحكومة جباية الخراج بانتظام والحيلولة دون انقطاعه أو تذبذبه كانت صيانة الجسور يعد عملاً واجباً بل إجبارياً .

ونظراً لأن تحسين الري في مصر يرتبط بعمق القنوات والترع ارتباطاً وثيقاً والمحافظة على الجسور وإقامتها على النيل، وهنا يأتي العامل الإنساني وقيمة الواجب الملقى على عاتق الحكومة، ولم يكن هناك أي بلد مثل مصر يتوقف فيه الرفاهية والرخاء على عمل الحكومة، إذ في ظل الحكومة ومتابعتها مصالحها ومصلحة شعوبها يسود النشاط والتقدم الاقتصادي، لذا اتخذت الدولة الفاطمية كافة السبل لحفر الأقنية وتعميقها على الدوام خدمةً لهذا الهدف.

---

[١] إدريس، محمد محمود، تاريخ الحضارة الإسلامية (العصر الفاطمي)، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، ١٩٨٦م، ص٨٤-٨٥.

[٢] البراوي، راشد، حالة مصر الاقتصادية، ص٦٣.

[٣] المقريزي، الخطط، ج١، ص٨٢.

ففي أيام الوزير الأفضل ٤٨٧هـ/١٠٩٤م، فتح خليج من النيل إلى الشرقية[١]. عرف بخليج أبي المنبانسبه إلى مشارف هذه المنطقة وقد استمر حفر هذا الخليج لمدة سنتين.

– لسنا هنا– بصدد إجراء كشف حساب زراعي وما آلت اليه الزراعة في الدولة الفاطمية من اهتمام بسبب الزراعة والمحاصيل الزراعية، ولكن لمعرفة السنة الزراعية التي عادة تقسم إلى قسمين هما فصلا الزراعة الشتوية والزراعة الصيفية[٢]. وموعدهما لأهميتها في إضفاء الرفاء والازدهار المالي في مصر الفاطمية، طالما كانت الدولة تعتمد اكبر الاعتماد على الزراعة.

وعلى الرغم من اهتمام الفاطميون الكبير بالجانب الاقتصادي وبخاصة الزراعة والري، إلا أن الأزمات الاقتصادية لم تعفِ عهدهم منها ولايخلو من حالات المجاعات التي ابتلت بها الحكومة الفاطمية بسبب اعتماد الدولة اعتماداً كبيراً على وفاء النيل، وترجع الاسباب الرئيسة إلى ذلك إلى عوامل طبيعية لم يكن للمجتمع عليها من سلطان، وعوامل أخرى تعود إلى النظام الاقتصادي السائد في ذلك العصر.

ذكرنا أن الحد اللازم لوفاء النيل هو: ارتفاع منسوب المياه بحيث لا هو منخفض جداً ويسمى في هذه الحالة "الظمأ" الذي يصل انخفاض الماء فيه إلى إثنا عشر ذراعاً وبذلك يصعب على المزارعين والعاملين في ذلك المجال ري جميع الأراضي الزراعية ويسبب ذلك نقص في المحصول، وفي حالة الفيضان العالي وهو "الاستبحار"أي ارتفاع منسوب المياه إلى ثمانية عشر ذراعاً يؤدي عادةً إلى إغراق الأراضي والذي يتسبب في تلف المحاصيل الزراعية فيقل بذلك الكلأ والمراعي[٣].

---

[١] الخطط ، المصدر نفسه، ج١، ص١٠٤؛ خسرو ،سفر نامة ، ص٩١ .

[٢] المقريزي، الخطط ، ج١، ص ١٠٤؛ خسرو ، المصدر نفسه، ص٩١ .

[٣] المقريزي، الخطط، ج١، ص١٠٤؛ الحدراوي ، وسيم عبود عطية ، الحاكم بأمر الله (٣٨٦/٤١١هـ/٩٩٦–١٠٢٠م) دراسة في سياسته الداخلية والخارجية، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى كلية الآداب ، جامعة الكوفة ، ٢٠٠٤م، ص١٦٤ .

وفي كلا الحالتين "الظمأ والاستبحار"كانت الحكومة خاصةً في النصف الثاني من مدة خلافتها عاجزة عن تلافي النتائج الخطيرة المترتبة على هذه الظاهرة الطبيعية من ناحية وبسبب عدم وجود نظام ثابت للري يرتكز على قواعد علمية دقيقة من ناحية أخرى.

إن هذا التباين في وفاء النيل الذي كان يصل إلى حد الوفاء أحياناً ثم يعقب ذلك هبوط سريع ومفاجئ قبل إتمام عملية إرواء جميع الأراضي الزراعية وينعكس ذلك سلباً على النشاط الزراعي، بالإضافة إلى حالة الفيضان العالي الذي يكون خطره أشد في إغراق الأراضي وإفساد المراعي ودمار الدور وهلاك الماشية اللازمة للزراعة[١]. التي اعتمد عليها الفلاح المصري في الوقت التي كانت فيه هي العون الأكبر في الحقول ليصبح عاجزاً على مواصلة عمله.

على ضوء الحالات اعلاه قل عرض المواد الغذائية والمنتوجات الزراعية قياساً للطلب فضلاً عن ارتفاع في الأسعار إضافة إلى عدم حصول الحكومة في تلك الحالات جباية الخراج بصورة منتظمة، أمّا بالنسبة للمقطعين والمتقبلين والملاك فكثيراً ماكان تتراكم عليهم مستحقات الدولة عاماً بعد آخر حتى يصبح مبلغاً يصعب عليهم دفعه لذا تجد الحكومة نفسها مضطرة إلى التسامح معهم.

واجهت الحكومة منذ البداية أزمات بسبب تباين النيل، وفي سابقة تعد فريدة من نوعها اتبعتها الحكومة الفاطمية، فقد جرت العادة في مصر ان تذاع نتائج مقياس النيل[٢]. على الناس فيخرج المنادي إلى طرقات القاهرة وسائر مدن مصر، إلا أن المعز لدين الله أمر بكتمان أمر المقياس، لأن الناس إذا أحسوا بانخفاض النيل تسرب القلق إلى نفوسهم فأخفوا الغلات وامتنعوا عن بيعها حتى يرتفع سعرها، كذلك يعمل التجار على اختزان الغلال فيحدث الغلاء واذا أحس الناس بزيادة النيل هبطت

---

[١] المقريزي، إغاثة الأمة بكشف الغمة، ص٣٠-٣١، الجبرتي ، عبد الرحمن بن حسن (ت١١١١هـ/١٦٦٩م) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، دار الجيل، بيروت ، لات، ج٣، ص٦٣٠.

[٢] ينظر: الملحق رقم (١٣) والذي يبين فيه مقياس النيل كل سنة بالأذرع والأصابع.

الاسعار هبوطاً فاحشاً وأصيب كبار التجار بأفدح الأضرار، لذلك كان في كتمان الزيادة فائدة كبيرة وهذا الإجراء مما يدل على عناية الفاطميين بالرأي العام.

وبني في مصر مقياس منذ أن فتح العرب مصر حيث بنى عمرو بن العاص مقياساً للنيل في أسوان وآخر في وندرة، وقد ظل الحال على ذلك حتى دخلت في طاعة الأمويين فبنى عامل مصر من قبل معاوية مقياساً في أنصنا، كما بنى عبد العزيز بن مروان مقياساً بحلوان ثم بنى أسامة بن زيد والي مصر من قبل سليمان ابن عبد الملك سنة ٩٧هـ/٧١٥م مقياس الروضة، وفي خلافة المتوكل على الله العباسي تم ترميم وإصلاح المقياس القديم في ولاية يزيد بن عبد الله وقبل هذا التاريخ كان النصارى هم الذين يتولون قياس ماء النيل فعزلهم المتوكل وعين لهذه المهمة "عبد الله بن عبد السلام بن أبي الرداد" فاستقرت عملية قياس النيل حتى القرن التاسع الهجري ولهذه عرف بيتهم بـ"بيت المقياس" وصار كل من يتولى أمر المقياس يعرف بـ"ابن أبي الرداد"[١].

أمّا في الدولة الفاطمية فقد عظم أمر النيل رغم حرص الحكومة الفاطمية تقليل الأخطار الناجمة عن ذلك، فقد كان الخليفة الحاكم بأمر الله تواقاً إلى أن يقطع دابر المجاعات عن مصر، فسمع أن شخصاً في العراق أبو علي الحسن بن الهيثم، نبغ في الهندسة وأنه قال: لو كنت بمصر لعملت في نيلها عملاً يحصل به النفع في كل حالة من حالات الزيادة والنقصان، فأرسل الحاكم اليه جملة من المال وحثه على المجيء إلى مصر، فلما وصل خرج الحاكم بنفسه للقائه وأمر بإنزاله وإكرامه وسيره مع جماعة من الصناع في طول الإقليم المصري، حتى وصل إلى أسوان ولكن ابن الهيثم لم يستطع أن يفعل شيء حيال ذلك واعتذر عن عجزه، فأبقاه الحاكم عزيزاً مكرماً إلى وقت وفاته[٢].

وفي رواية، مناقضة للرواية السابقة، أن الحاكم بأمر الله استدعى من البصرة الحسن بن الهيثم العالم الطبيعي والرياضي الشهير صاحب النظرية القائلة ان

---

[١] القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٢٩٤-٢٩٥؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٢، ص١١١.

[٢] المقريزي، الخطط، ج١، ص٥٨؛ ماجد، عبد المنعم، الحاكم بأمر الله الخليفة المفترى عليه، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٩م، ص٦٤-٦٥.

الأبصار يكون بخروج شيء من البصر إلى المبصرات والذي أنهت اليه زعامة هذا العالم، والحق أن الحسن بن الهيثم تعهد للحاكم بأن يعدل فيضان النيل الذي كان أساس خصب البلاد المصرية، حتى إذا أخفق في إخراج حساباته النظرية فتحرج العمل اضطر إلى الاستخفاء فراراً من غضب الحاكم، بقية عمره وليس من شك في أن السلطات المطلقة التي تمتع بها الحاكم والتي كانت معززة بالهالة أفسدت ذلك(١).

ومهما يكن من الأمر –في اختلاف الروايتين– فإننا نرجح الرواية الأولى والتي تبين حب الحاكم لشعبه واخلاصه لهم والسعي من أجل درء الخطر عليهم وعمل ما في وسع الخلافة للحيلولة دون وقوع مخاطر أكبر فضلاً عن احترامه للكفاءات العلمية واكرامها ووهب المال لهم، خاصةً وان ما فعله ابن الهيثم محاولة للوقوف على قياس النيل.

وقد شاهد ابن جبير المقياس ووصفه بدقة فقال: "يعتبر فيه زيادة النيل عند فيضه كل سنة، واستشعار ابتدائه في شهر يونية ومعظم انتهائه في شهر أغسطس وأخره أول شهر اكتوبر وهذا المقياس عمود رخام أبيض مثمن في موضع ينحصر فيه الماء عند انسيابه وهو مفصل على اثنين وعشرين ذراعاً مقسمة على أربعة وعشرين قسماً تعرف بالأصابع فإذا انتهى الفيض عندهم إلى أن يستوفي الماء تسعة عشر ذراعاً منغمرة فيه وهي الغاية عندهم في طيب العام وربما كان الغامر منه كثيراً بعموم الفيض والمتوسط عندهم مااستوفى سبع عشر ذراعاً وهو الأحسن عندهم في الزيادة المذكورة"(٢).

ويذكر المقدسي: "أن المقياس بركة وسطها عمود طويل فيه علامات الأذرع والأصابع وعليه وكيل وأبواب محكمة يرفع إلى السلطان في كل يوم مقدار مازاد ثم ينادي المنادي زاد الله اليوم في النيل المبارك كذا كذا وكانت زيادته عام الأول في هذا اليوم كذا كذا وعلى الله التمام ولا ينادي عليه الا بعد أن يبلغ اثنى عشر ذراعاً إلا مايرفع إلى السلطان والإثنا عشر مايعم ضياع الريف فإذا بلغ أربعة عشر سقى

---

(١) بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية ،ص١٠٤، دائرة المعارف الإسلامية مادة ابن الهيثم ،ج١، ص٤١٢.

(٢) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص ١٠٩.

اسفل الإقليم فإذا بلغ سنة عشر استبشر الناس وكانت سنة مقبلة فإن جاوزها كان خصب وسعة"[١].

وهكذا نرى أن للمقياس أثر عظيم في حياة الشعب، ففي خلافة العزيز بالله (٣٦٥-٣٨٦هـ/٩٧٥-٩٩٦م) توقف النيل وأدى إلى اضطراب الأحوال واشتد الغلاء عام (٣٧٢هـ/٩٨٢م)حيث وصل ثمن الدقيق أحد عشر ديناراً[٢]. وصاحب هذا الغلاء وباء أدى إلى هلاك عدد كبير من الناس.

وفي خلافة الحاكم بأمر الله (٣٨٦-٤١١هـ/٩٩٦-١٠٢٠م) قل القمح واصبح سعر الخبز كل أربعة أرطال بدرهم[٣]، بسبب قصر النيل وتوقفه حتى كسر الخليج آخر مسرى الماء على خمسة عشر ذراعاً وسبع أصابع وانتهت الزيادة إلى ستة عشر ذراعاً، فارتفعت الأسعار وصحب ذلك ظهور أزمة نقدية سببها انخفاض سعر الدراهم الفضية ورغبة الناس عن التعامل بها[٤].

وفي سنة ٣٩٦هـ بدأت ثورة "أبي ركوة"[٥] بالاستيلاء على عدة مدن محيطة ببرقة، فاقتحمها وقتل من فيها ثم سار بعد ذلك إلى برقة نفسها، وبعد انتصار أتباع أبي ركوة ساروا إلى الفيوم فاشتد الاضطراب في مصر وانتشر الذعر في النفوس وغالباً ما كان عامل الأحداث والاضطرابات من أهم العوامل التي تؤثر في الحياة الاقتصادية فارتفعت الأسعار وتأثرت الأسواق إلى ذلك أدى إلى اتخاذ الدولة الفاطمية إجراءات حاسمة وسريعة مع التجار في مقدمتها ضرورة طرح المواد والحاجيات الضرورية للناس في الأسواق وعدم رفع الأسعار وشدد على عدم خزن

---

(١) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١٩٠ .

(٢) المقريزي، إغاثة الأمة بكشف الغمة، ص٣٠-٣١.

(٣) المقريزي، الخطط، ج١، ص١٤٠.

(٤) المقريزي، إغاثة الأمة بكشف الغمة، ص١٤.

(٥) ينحدر أبو ركوة من سلالة بني أمية أحد خلفاء الأندلس ويسمى الوليد بن هشام بن عبد الملك بن ولد المغيرة بن عبد الرحمن الداخل، غادر قرطبة فاراً فاخترق المغرب وأفريقيا وأقام بالقيروان، ثم سار إلى مصر فدرس الحديثفاتحاً مكتباً فيها يعلم الصبيان داعياً أنه ابن اخ هشام المؤيد الأموي، جامعاً لأتباعه من بني قرة الذين كانت علاقتهم بالحاكم سيئة. للمزيد عن هذه الحركة: ينظر : ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص٢٣٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١١، ص٣٣٧؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص٦٦.

المواد مما دفع الدولة الفاطمية إلى اتخاذ إجراءات شديدة مع كل المخالفين فهدأت الأحوال خصوصاً بعد وصول البشائر في ابتعاد خطر أبي ركوة وثواره[١].

أما في سنة ٣٩٧هـ/١٠٠٦م انحط سعر الدرهم ورفض الناس قبوله فارتفعت الأسعار قياساً لقيمة الدرهم، ثم قصر النيل إلى ثلاثة عشر ذراعاً، مما أدى إلى اشتداد الغلاء حتى بلغ الدقيق دينار ونصف لكل حملة، وكل عشر أرطال بصل بدرهم وكل ثمان أواق جبن بدرهم، وزيت الطعام ثمان أواق بدرهم وزيت الوقود كل رطل بدرهم وكل تليس من القمح إلى أربع دنانير والرز كل ويبة بدينار[٢].

وفي زمن الحاكم أيضاً (٣٩٨-٣٩٩هـ) بلغ النيل أربعة عشر ذراعاً وكسر الخليج سنة ٣٩٩هـ والماء على خمسة عشر ذراعاً[٣]. ونقص ماء النيل حتى أدى إلى انقطاع سير المركبات في الجهة الشرقية من تنيس والمحلة، وأدى ذلك إلى حدوث مجاعة مصحوبة بوباء أدى إلى وفاة ناسٍ كثيرة[٤].

وفي سنة ٤٠٣هـ/١٠١٢م نزع السعر وازدحم الناس على الخبز[٥] وفي سنة ٤١٤-٤١٥هـ حيث كثر نقص النيل مما أدى إلى اشتداد الغلاء وقلت البهائم حتى كان ثمن رأس البقر خمسين ديناراً، وانتشرت الأمراض حتى اضطر الناس إلى بيع ممتلكاتهم التي لمتجد سوقاً رائجاً لها.

أما في خلافة المستنصر بالله (٤٢٧-٤٨٧هـ) وفي سنة ٤٤٤هـ/١٠٥٢م ازدادت الشدائد والغلاء والوباء والفتن وكان القحط في أيامه سبع سنين[٦]. حيث يطلع النيل فيها وينزل ولايوجد من يزرع لموت الناس واختلاف الولاة والرعية فاستولى الخراب[٧]. وثارت الفتن في بني حمدان وأكابر القواد وغلت الأسعار

---

[١] الأنطاكي ، التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، ص١٩١.
[٢] المقريزي، إغاثة الأمة بكشف الغمة، ص١٥-١٧.
[٣] المصدر نفسه، ص١٧.
[٤] الأنطاكي، التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، ص١٩٤-١٩٥.
[٥] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٥، ص٣.
[٦] المصدر نفسه، ج٥، ص٣.
[٧] المصدر نفسه، ج٥، ص٥.

واضطربت الأحوال واختلفت الأعمال وحصر في قصره وطمع فيه، حتى استدعى أمير الجيوش بدراً الجمالي من عكا إلى مصر فاستولى على التدبير(١).

هذا وإذا ما أردنا أن نتتبع أسباب الغلاء "الشدة العظمى" ونتائجها على المجتمع المصري ومظاهر الحياة والعودة إلى حالة الاستقرار، برزت عوامل عديدة ساعدت على تكوينها السلطات الواسعة التي يتمتع بها الحاكم فالخليفة أو السلطان صاحب القرار النهائي دون منازع وقد لا يكون القرار يأتي بالنفع إلى الرعية أو الدولة، ولهذا نرى أن عصر الخليفة المستنصر بالله مليء بالدسائس يحيكها القواد ورجال البلاط ولم يكن بمقدور الخليفة الوقوف بحزم أمام تلك المؤامرات والفوضى العارمة التي سادت البلاد وليس أدل على تلك الفوضى إذا ما علمنا أنه خلال تسع سنوات كان قد حكم البلاد أربعون وزيراً(٢).وقد تقلد بعضهم يوماً واحداً مثل أبو عبد الله محمد بن أبي حامد(٣).

اتخذ الخليفة المستنصر لنفسه حرساً من العبيد وزاد عددهم مما هيأ أسباب الصراع بينهم وبين الجند الأتراك واستمر الصراع لعدة سنوات بصورة علنية ولم يكن للخليفة موقفاً ثابتاً للحيلولة دون قيام الفتن والاضطرابات فهو تارة يقف مع العبيد وأخرى يهادن الأتراك ثم ينقلب عليهم ثم إنه لا يستطيع أن يقف موقف الند تجاه العبيد لتنامي قوتهم، ولم يكن الخليفة يتصور أن الأحوال ستزداد سوءاً بين الأتراك والعبيد الذي وصل عددهم إلى خمسين ألفاً ثم ان الأتراك رأوا في تقرب الخليفة للعبيد واهتمام أمه بهم أضعاف مكانتهم ثم القضاء عليهم.

لذلك أصبحت البلاد مهيأة بأن تدخل مرحلة حرجة من مراحل حكم الخلفاء الفاطميين خصوصاً وان الخليفة المستنصر يعد من أطوال الخلفاء حكماً إذ دامت خلافته زهاء ستون عاماً، فمنذ سنة ٤٤٦هـ بدأت أحوال البلاد تضطرب حين ارتفع

---

(١) المصدر نفسه ، ج٥، ص٥.

(٢) حسن ، حسن إبراهيم، الفاطميون في مصر، ص٢٩١.

(٣) الصيرفي، الإشارة إلى من نال الوزارة، ص٥٤.

السعر وعم الغلاء وانتشر الوباء وبدأت أسعار المواد في ارتفاع مستمر مما أوصل البلاد إلى حالة من الفوضى مصحوبة بمنازعات بين الناس[١].

وقد وصف المقريزي حالة البلاد ومآلت اليه الحروب الأهلية من حالات ضعف واضطراب بقوله: "لم تر الدولة صلاحاً ولا استقام لها أمر وتناقضت عليها أمورها ولم يستقر لها وزير تحمد طريقته ولايرضي تدبيره وكثرت السعاية فيها فما هو إلا أن يستخدم الوزير حتى يجعلوه سوقهم ويقعوا به الظن حتى ينصرف ولم تطل مدته وخالط السلطان الناس وداخلوه بكثرة المكاتبة فكان لاينكر على أحد مكاتبته. فتقدم منهم كل سفاف وحظي عنده عدة أوغاد وكثروا حتى كانت رقاعهم ارفع من رقاع الرؤساء والجلة وتنقلوا في المكاتبة إلى كل فن حتى إنه كان يصل إلى السلطان كل يوم ثمنمائة رقعة فتشبهت علية الأمور وانتفضت الأحوال.. ووقع الاختلاف بين عبيد الدولة وضعفت قوى الوزراء... فتلاشت الأمور واضمحل الملك"[٢].

استمرت الأزمة من سنة ٤٥٧هـ إلى سنة ٤٦٤هـ ولم يكن السبب هو العامل الطبيعي المتعلق بالنيل فالأرض لم تزرع وانعدم الأمن والحروب المستمرة بين الجند "وصارت أراضي الناحية بائرة لم تزرع من عدم الرجال فكان الجندي يخرج بنفسه هو وجماعته يحرثون ويزرعون في البلاد لعدم وجود الفلاحين"[٣].

أّما ابن منجب فقد رسم صورة للحالة بقوله: "أّما العزائم فقد وهت وأسباب الفساد قد بلغت الغاية وانتهت والمراقبة قد تردت وقلت والمهابة قد تلاشت واضمحلت"[٤].

وإزاءارتفاع أسعار المواد الغذائية والحبوب ارتفاعاً كبيراً بيع رغيف الخبز بأربعة عشر ديناراً وبيع أردب القمح بمائتي دينار[١]، وقيل أن ثمن الأردب بلغ

---

[١] المقريزي، إغاثة الأمة بكشف الغمة، ص٢٢.

[٢] المقريزي، إغاثة الأمة بكشف الغمة ، ص٢١-٢٣.

[٣] ابن إياس، محمد بن أحمد الحنفي (ت٩٣٠هـ/١٥٢٤م)، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى ، النشرات الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٧٥م،ج١، ص٦١ ؛ لين بول ، ستانلي ، سيرة القاهرة ، ترجمة حسن إبراهيم حسن وآخرون، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٠م ، ص١١٦.

[٤] الإشارة إلى من نال الوزارة، ص٥٠.

إحدى وسبعين ديناراً [٢]. واشتد ارتفاع الأسعار حتى بيعت البيضة بعشرة دراهم[٣]. ومن جملة مابلغ من أمر الغلاء أن إمرأةً كان لها حلي باعت مايساوي الف دينار بثلثمائة دينار واشترت به حنطة فنهبت منها في الطريق... فحصل لها ماجاء رغيفاً واحداً [٤].

من جهة أخرى اختل الأمن وتهيأت الفرصة أمام كل من هب ودب إلى النهب والسلب وقطع الأشرار الطرق ، وانقطاع المواصلات بسبب الاعتداءات على المسافرين وحرقت أحياء بأكملها وعم الخراب بها وتعطلت التجارة والصناعة.

وهذه الظاهرة الاجتماعية عامة في الحياة العربية سواء في الدولة العباسية أو في الدولة الفاطمية فما أن تنحل الأوضاع وتفقد الدولة سيطرتها حتى تخرج العامة بكل أصنافها لتبعث في الأرض فساداً [٥].

وما أن انتهت سنوات الكساد الاقتصادي والمالي حتى انكشفت الغمة على السكان بعد أن ارتفع النيل وروى الأرض وانحل سعر من جهة واطمئنان الناس بعدم حصول حروب مجددا، لكن انفراج الوضع، ورفع الغمة عن الناس، لم يكن دونما ثمن، فقد استدعي بدر الجمال والي عكة، إلى القاهرة، فوصل البلاد، وكشف وصوله عجز الخليفة في إدارة شؤون البلاد والعباد بمحاولة إعادة بناء الاقتصاد في مصر [٦].

وكانت آثار هذه الأزمة واضحة في مختلف مدن الدولة وبخاصة الفسطاط فضلاً عن المدن الأخرى فقد ضربت القطائع في أثناء حالات الفوضى مما حدا بالوزير أن يبني حائطاً يحول دون نظر الخليفة عن الخراب إذا ما سار من القاهرة إلى الفسطاط. ويذكر لنا المقريزي عندما دخل أمير الجيوش بدر الجمالي إلى مصر

---

(١) النويري، نهاية الأرب، ج٢٦، ص٦٩.

(٢) المصدر نفسه، ج٢٦، ص٦٩.

(٣) ابن ميسر، أخبار مصر، ص١٩.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٨٥؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٨، ص١٥٠.

(٥) ابن الاثير، الكامل ، ج١٠، ص٨٥.

(٦) سيمنوفا ، تاريخ مصر الفاطمية ، ص١٤٨.

سنة ٤٦٦هـ/١٠٧٣م وكانت: "هذه المواضع خاوية على عروشها خالية من سكانها...وصارت القاهرة أيضاً يباباً داثر، فأباح للناس من العسكر والملحية والأرمن وكل من وصلت قدرته إلى عمارة أن يعمر ما شاء في القاهرة مما خلا من دور الفسطاط بموت أهلها فأخذ الناس في هدم المساكن ونحوها وعمروا بها في القاهرة"[١].

ومن نتائج الأزمة بالإضافة إلى ماسبق أن الخليفة لما تواترت عليه الرزايا كاتب أمير الجيوش بدر الجمالي وحسن ان يكون المتولي لأمر دولته فأعاد الجواب واشترط أن يستقدم معه عسكراً وألا يبقي على أحد من عسكر مصر، فأجابه إلى ذلك فاستخدم العساكر.. وسار في مائة مركب وعند وصوله مصر استولى على سائر البلاد متصرفاً منها بتفويض من الخليفة فقوي أمره لاسيما الحقبة التي أعقبت موت الخليفة المستنصر بالله[٢].

ومنذ تلك الحقبة بدأت الدولة الفاطمية مبتلية بشيء اسمه تسلط حكم الوزراء، إذ أضعف هذا الأمر السيطرة التي يتمتع بها الخليفة، ومما لاشك فيه ان ولاه الأمر في مصر –رغم تلك الأزمات– بذلوا جهداً وسياسة جديدة، وعناية كبيرة للخروج من الغمة بأقل الخسائر. لكن الأزمات استمرت ففي سنة ٤٨١هـ/١٠٨٨م هلك الزرع والغلال والمخازن من كثرة الماء[٣].

أمّا في سنة (٤٩٠هـ/١٠٩٦م) كان بمصر غلاء وجوع[٤]، واستمر ستة أشهر بسبب زيادة ماء النيل خمسة عشر ذراعاً ثم هبط بعد ذلك[٥]، وهذا يعطي تفسيراً أن

---

(١) المقريزي، الخطط، ج١، ص٥؛ الصاوي ، أحمد حسن ، أمير الحبوش بدر الجمالين مجلة الثقافة المصرية، العددان ٦٣٠ و ٦٣٢ لسنة ١٣٧٠هـ/١٩٥١م ، ص١٣-١٩ .

(٢) النويري، نهاية الأرب، ج٢٨، ص١٥١؛ الشيال ، جمال الدين ، نظام الوزارة في العصر الفاطمي، مجلة الثقافة المصرية، العدد ٦٣٨ لسنة ١٣٧٠هـ١٩٥١مـ ص١١.

(٣) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٥، ص١٢٨.

(٤) ابن ميسر، أخبار مصر، ص٣٧.

(٥) ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ص٦٣.

هبوط الماء المفاجئ لم يتيح إرواء جميع الأراضي مما يؤدي إلى قلة الغلال وبالتالي زيادة أسعار المنتوج.

وفي عهد الآمر بأحكام الله (٤٩٥هـ/١١٠١م) حيث يذكر لنا المقريزي بقوله: "إن ما حدث لانخفاض الماء السريع للنيل سبب أزمة اقتصادية حيث بيع القمح كل مائة أردب بمائة وثلاثين ديناراً"[١].

وفي خلافة الحافظ لدين الله (٥٢٤-٥٤٤هـ/١١٢٩-١١٤٩م) غلت الأسعار حيث بلغ القمح ٩٠ درهماً للأردب والشعير سبع دراهم للويبة والدقيق ١٥٠درهماً للحملة والزيت الطيب ثلاثة دراهم للرطل[٢].

استمرت زيادة النيل إلى نهاية الدولة الفاطمية، ففي سنة ٥٤٣هـ، بلغت زيادة النيل تسعة عشر ذراعاً[٣].

وفي خلافة الظاهر لأمر الله (٥٤٤-٥٤٩هـ) وكذلك في حقبة حكم الخليفة الفائز بنصر الله (٥٤٩-٥٥٥هـ) قصر ماء النيل وبلغ ثمن الأردب من القمح خمسة دنانير[٤].

أمّا في خلافة آخر الخلفاء العاضد لدين الله (٥٥٥-٥٦٧هـ) ازداد النيل وبلغ ثمانية عشر ذراعاً وثلاثة عشر اصبعاً فسقطت الجدران وغرقت البساتين وفارت الآبار[٥].

من الواضح ان تلك الأزمات التي فتكت بالبلاد على مر السنين كانت أكبر من إرادة ولاة الأمر، القائمين على شؤون البلاد، مما دفعهم إلى اتخاذ بعض الإجراءات لاحتواء تلك الأزمات. ولم يكن أمام الحكومة الفاطمية إلا أن تفرض أشد العقوبات

---

[١] ابن القطان : أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي (ت٦٢٨هـ/١٢٢٨م) ، نظم الجمان في أخبار الزمان، تحقيق محمود مكي ، الرياض ، ١٩٦٤م ،ج٩،ص٢٤ ؛المقريزي، إغاثة الأمة بكشف الغمة، ص١٦.

[٢] المقريزي، الخطط، ج١، ص٩٧.

[٣] ابن ميسر، أخبار مصر، ص٨٥.

[٤] المقريزي، إغاثة الأمة بكشف الغمة، ص٢٨.

[٥] البراوي، راشد، حالة مصر الاقتصادية، ص٨٧.

وأجداها نفعاً للحيلولة دون تفشي موجة الغلاء واستمرارها والحد من نشر القحط وذلك بتوفير الغلال اللازمة وقت الأزمة للتقليل من كاهل الناس وتيسير أمورهم، إذا ما علمنا أن النسبة الأكبر من الشعب هم من الطبقة الفقيرة قياساً مع الطبقة الأولى والثانية التي كانت هذه الطبقة لاتمتلك زمام الأمور سوى أنها تعتمد اعتماداً كلياً على بعض الحرف والصناعات أو زراعة الأرض.

وخطت الدولة خطوة أخرى لمعالجة الحالة في اتخاذ كافة الإجراءات القانونية بحق طبقة التجار والمخزنين فهم أشبه بالعامل الطبيعي إذا ما قورنت باشتداد الأزمات وعدم وضع إمكاناتهم أمام الشعب أي المصلحة العامة دون المصلحة الخاصة. وقد عدت تجار الغلال والسماسرة هم الطبقة المسؤولة عن ارتفاع الأسعار وفقدان الغلال في الكثير من الأحيان فضلاً عن عامل الطبيعة.

وكأن الدولة استرجعت ذاكرتها التاريخية زمن جوهر القائد (٣٥٩-٣٦١هـ) الذي لجأ إلى استخدام القوة على جماعة من الطحانين وأمر أن يطاف بهم في أسواق المدينة للتشهير بهم[1]، وهذا النوع من العقاب تأثيره نفسي أكثر من أن يكون عقاب بدني. إذ يسمح لباقي التجار عدم خزن الحبوب والغلال خوفاً من التشهير بهم، وصار البيع والشراء لكل قدح من القمح بإشراف المحتسب[2].

وفي خلافة الحاكم بأمر الله (٣٨٦-٤١١هـ/٩٩٦-١٠٠٢م) اتخذ نفس الإجراءات إزاء الطحانين والخبازين[3]، بل إن الخليفة لم يقف عند التشهير بل أحياناً التوعيد بضرب العنق حين توجه إليه الناس يشكون اختفاء الأقوات وقلتها أعلن انه متوجه غداً إلى جامع راشدة فإذا لم تخرج الأقوات من مخازنها تعهد بضرب عنق كل من عمد إلى خزن الغلال أو كان لديه شيء منها.

والظاهر أن -تلك الإجراءات التي اتخذها الخليفة الحاكم قد أنجزت نفعاً للناس، فالتوعد والتهديد إزاء التجار أفادت الناس حينما أسرع التجار والسماسرة إلى إخراج

---

(١) المقريزي، إغاثة الأمة بكشف الغمة، ص١٣-١٤.

(٢) المصدر نفسه، ص١٤.

(٣) ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ص٥٥.

كل ما لديهم من غلة وطرحها في السوق فهبطت الأسعار وأدت تلك إلى نهاية المحنة بسلام[١].

ولم يقتصر الأمر على ذلك بل لجأت الدولة إلى اعتماد "التسعير" وبخاصة في أوقات الشدائد والأزمات فهي تعد من الوسائل والتدابير الإدارية للدولة الفاطمية لمكافحة ارتفاع الأسعار وغلاء السلع الضرورية وأجبرت الدولة العاملين على بيعها (في أوقات الأزمات) في مكان معين تحت إشراف الدولة وكلف المحتسب ومساعديه في هذا الجانب[٢]. وكان أعوان المحتسب في العصر الفاطمي فريقين: الأول: يقوم بالطواف على أرباب الحرف والمعايش ويستخدمون كعيون (الأمن) يوصلون أخبار السوق إلى المحتسب، أما الفريق الثاني: كان يساعد المحتسب في تنفيذ الأحكام وقد استخدم بعض أعوان المحتسب السياط خاصةً في عهد الخليفة الحاكم بأمر الله في ضرب جماعة من الطحانين والخبازين والغشاشين[٣].

وفي السياق ذاته –لجأ الفاطميون إلى مصادرة الغلال وتنظيم بيعها للتخفيف عن كاهل الناس، ففي سنة ٣٩٧هـ/١٠٠٦ م صدرت الأوامر لمسعود الصقلي متولي الستر فجمع خزان الغلال والطحانين والخبازين وصادر ما في الساحل من الغلال وأمر الأتباع بوضع التسعير، فسعر كل تليس قمح بدينار إلا قيراط، والشعير عشر ويبات والحطب عشر حملات بدينار وسعر سائر الحبوب والمبيعات[٤]. وكانت مصادرة الغلال إجراءاً سليماً لا غبار عليه من أجل تيسير أمور المستهلكين وقد هدد الوزير المأمون البطائحي في خلافة الآمر بأحكام الله (٤٩٥هـ/١١٠١م) إن لم يهبط السعر إلى مائة وثلاثين أردب لكل مائة أردب[٥].

---

[١] المقريزي، إغاثة الأمة بكشف الغمة، ص١٦.

[٢] المقريزي، إغاثة الأمة بكشف الغمة ، ص١٣-١٦؛ البراوي، حالة مصر الاقتصادية، ص١٠٠-١٠١.

[٣] المقريزي، إغاثة الأمة بكشف الغمة، ص١٨-١٩؛ أبو زيد، سهام مصطفى، الحسبة في مصر الإسلامية، الهيأة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦م، ص٧٧.

[٤] المقريزي، إغاثة الأمة بكشف الغمة، ص١٥-١٦.

[٥] المصدر نفسه، ص١٦.

توضح لنا هذه الظاهرة مدى اهتمام السلطة الفاطمية بالأمور المعاشية لأنها تتعلق بحياة الناس وأفكارهم وتوجهاتهم.

أمّا في خلافة المستنصر بالله (٤٢٧هـ/١٠٣٥م) فقد أخرج الوزير اليازوري ما في الأهراء من الغلال وأمر ببيعها بسعر منخفض، مما أدى هذا الإجراء إلى هبط الأسعار في السوق.

من ناحية يمكن أن يكون هذا الإجراء حكيماً، ولكنه من الناحية العملية يجب أن يكون هناك ما يكفي من المخزون لمواجهة حالات الأزمات إذا ما حدثت بشكل طارئ، وهذا ما حدث أنه لم يكن هناك ما يكفي بالمخازن إلا جرايات ما في القصور ومطبخ السلطان أي الخليفة وحواشيه[١]. فلجأ الوزير إلى الإمبراطور "جستنيان" حيث أجرى معه اتفاق على أن يتم استيراد مليوني بوشل[٢] من القمح لمواجهة الأزمة التي استمرت حتى وفاة الإمبراطور سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م. ولكن هذا الاتفاق لم يرَ النور إذ اشترطت الإمبراطورة "تيودورا" التي خلفت الحكم إشراك مصر وبيزنطة بمعاهدة دفاعية هجومية، فرفض الوزير من أن يرتبط بهكذا عهد[٣]، يعود بالضرر إلى الدولة ويهدد مركزها رغم حاجة مصر إلى الغلال لفك أزمتها فضلاً عن ان الحكومة الفاطمية حين لجأت إلى ذلك أرادت ان تفك البلاد من أزمة مؤقتة حيث أن الوزير اليازوري قصد حل الأزمة في وزارته والتي كان سببها هبوط النيل.

من جهة انتهز التجار والسماسرة والمضاربين فرصة حدوث الأزمة بهدف زيادة الأسعار وخزن الغلال والضغط على المزارعين لبيع إنتاجهم بأقل الأسعار لما على الفلاحين والمزارعين من مستحقات مالية للديوان الفاطمي، لذلك كتب الوزير بإصدار الأوامر إلى عمال النواحي باستعراض "روزنامجات" الجهابذة وتحرير ما قام به التجار عن المتعاملين، ثم بعث المراكب لإحضار الغلال إلى مصر وخزنها في المخازن السلطانية[٤]، بعد أن صارت في البيادر وحملت إلى مخازن التجار.

---

[١] المقريزي، إغاثة الأمة بكشف الغمة، ص١٦.

[٢] البوشل يساوي (٢.٢ كيله): المازندرائي، السيد موسى الحسيني: العقد المنير في ما يتعلق بالدراهم والدنانير، مكتبة الصدوق، ١٣٨٢هـ، ج١، ص٢١.

[3] O'leary: A short history of Fatimid Caliphate, P.197.

[٤] المقريزي، إغاثة الأمة بكشف الغمة، ص٢٠-٢١.

تشير بعض المصادر إلى أن الوزير اليازوري اتخذ اجراءاً آخر لعله سابقة لتقييد الاستهلاك وتنظيم هذه العملية لضمان عدم التلاعب، حيث خصص سبعمائة تليس من القمح يومياً لمدينة مصر وثلاثمائة تليس للقاهرة[١].

ويبدو أن هذا الإجراء كان بسبب تجاربه السابقة في ضرورة الاحتياط لمواجهة حالات طوارئ مستقبلية، وبذا تمكن من التغلب على الأزمة وكان للإهراء الحكومي الأثر الكبير في معالجة أمور كهذه، إذ عمدت الدولة إلى طرح ما في مخازنها فتستقر الأمور وتهبط الأسعار وتسيطر الدولة على مجريات الأمور كما في خلافة الفائز بنصر الله (٥٤٩-٥٥٥هـ/١١٥٤-١١٦٠م) أخرجت مقادير لا تحصى من الغلال وفرقت على الطحانين ورخصت أسعارها ومنع الاحتكار[٢].

لم تكن الأزمات المالية والاقتصادية ناتجة عن سوء إدارة الفاطميين أو لعدم قدرتهم على مواجهة الأخطار الناجمة عن العوامل الطبيعية فقد عانت مصر الشيء الكثير من المجاعات في العهد الأخشيدي، مما جعل المصريين يرحبون بأي منقذ لحالهم، بل وصل الأمر إلى المكاتبات والطلب في تعجيل القدوم[٣].

ففي سنة (٣٣٨هـ/٩٤٩م) وفي عهد الأمير الأخشيدي أبو القاسم انوجور (٣٣٤-٣٤٩هـ/٩٤٥-٩٦٠م) اشتد الغلاء حتى وصل الأمر إلى إشعال الناس ثورة عليه[٤]، واستمرت الموجة الغلائية حتى بلغ سعر القمح كل ويبتين ونصف بدينار[٥]. ومن آثارها أن انعدم وجود القمح نهائياً في أيدي الناس. وأدى سوء الحال إلى اشتداد المعارك وحدوث ثورة امتدت إلى المساجد، مما أدى إلى كسر منبر الجامع بمدينة مصر، واستمر الحال إلى مجيء الفاطميين ودخولهم مصر.

---

(١) المقريزي، إغاثة الأمة بكشف الغمة ، ص٢١.

(٢) آشتور، التاريخ الاقتصادي، ص٢٥٧ .

(٣) المقريزي، إغاثة الأمة، ص١١-١٤.

(٤) المقريزي، الخطط، ج١، ص١٦٨.

(٥) المقريزي، إغاثة الأمة، ص١٤.

ونوه أحد المؤرخين في وصفه النيل بأنه: "كأنما غار على الأرض فغطاها، وأغار عليها فاستقعدها وما تخطاها فما يوجد بمصر قاطع طريق سواه، ولا مرغوب مرهوب إلا إياه"[١].

لقد ذكر هيرودتس: أن مصر هبة النيل[٢]، والعبارة في غاية الدقة، فمصر بلد زراعي، يعتمد معاش الناس فيه، على غلاته، من إنتاجه. وهذا الإنتاج يرتبط، ارتباطاً وثيقاً بمياه النيل، زيادةً ونقصاناً، الأمر الذي جعل الأزمات، وارتفاع الاسعار، وجشع التجار، ظاهرة متكررة في التاريخ المصري، مما دفع أولي الأمر.. والفاطميون منهم- على اتخاذ الاجراءات اللازمة لمعالجة الحالة، فالناس لاتسكت على أمور تتعلق بمعيشتهم.

ونستطيع أن نقول أن الفاطميين، كخط عام، نجحوا في معالجة أكثر هذه الازمات.

---

(١) المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج٢، ص١٦٠؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج٢، ص٢١٤.

(٢) هبة النيل، ص٩٥ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ،ج٥، ص٣٣٤-٣٣٩ .

سابعا: خصائص ومحتويات

الدينار الفاطمي

Fatimid Dinar

٢٩٧-٥٦٧هـ= ٩٠٩-١١٧١م

297-567AH= 909-1171AD

—

٤-المعز لدين الله ابو تميم معد.

٣٤١-٣٦٥هـ= ٩٥٢-٩٧٥م

4. Al Mu'izz Abu-Tamim Mu'ad

341-365AH= 952-975AD

رقم ٧٣١٤- لوح ١

No. 7314- Plate 1

دمشق سنة ٣٤١هـ

Dimashk year 341AH

مركز الوجه Observe area

المعز لدين الله أمير المؤمنين

النطاق Inner margin

دعا الأمام معد لتوحيد الإله الصمد

الطوق

بسم الله ضرب هذا الدينر بدمشق

مركز القفا Reverse area

لا إله إلا الله محمد رسول الله

النطاق Inner margin

وعلي أفضل الوصيين ووزير خير المرسلين

الطوق Margin

محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق

ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون

الوزن ٣.٧٦١غم، القطر ٢٠.٧مم
wt.3,761gr. Di 20,7mm
(التاريخ ٣٤١هـ) (The year 341AH)

—

رقم ٣٨٩١- لوح ١ No. 3891- Plate 1
مصر سنة ٣٥٨هـ Misr year 358AH
الوزن ٤.٠٩٣غم. القطر ٢٢.٨ مم
wt. 4,093gr. Di 22,8mm.

—

رقم ٧٨٥١- لوح ١ No. 7851- Plate 1
مصر سنة ٣٦٠هـ Misr year 360AH
بمصر في جمادي الأول سنة ستين وثلثماية
مثقوبة Pierced
الوزن ٤.١٤١غم القطر ٢٣ مم
wt. 4,141gr. Di 23 mm.

—

رقم ٧٣٠٥- لوح ١ No. 7305- Plate 1
مصر سنة ٣٦١هـ Misr year 361AH
بمصر في جمادي الأول سنة إحدى وستين وثلثماية
جميلة Beautiful
الوزن ٤.١٣٦غم. القطر ٢٢ مم
wt. 4,136gr. Di 22mm

—

رقم ٧٣١٦- لوح ١ No. 7316- Plate 1
مصر سنة ٣٦٢هـ Misr year 362AH
بمصر في المحرم سنة اثنين وستين وثلثماية
الوزن ٤.٠٩٤سغم. القطر ٢١.٥ مم
wt. 4,049gr. Di 21,5mm

—

رقم ٨١٦٩- لوح ١ No. 8169- Plate 1

مصر سنة ٣٦٢هـ Misr year 362AH

بمصر في جمادي الآخرة سنة اثنين وثلثماية

مركز القفا Reverse area

محمد circle

نطاق القفا Reverse Inner Margin

المرسلين Point

الوزن ٣.٩٩٤غم. القطر ٢١ مم

wt. 3,994gr. Di 21mm

—

رقم ٦٧٢٠- لوح ١ كرقم ٧٣١٦ No. 6720- Pl.1. as No. 7316

مصر سنة ٣٦٣هـ Misr year 363AH

بمصر سنة ثلث وستين وثلثماية

واضحة جداً Very clear

الوزن ٤.١٤٤غم. القطر ٢٠.٧ مم

wt. 4,144gr. Di 20,7mm

—

رقم ٧٣١٥- لوح ١ No. 7315- Pl.1

مصر سنة ٣٦٤هـ Misr year 364AH

بمصر سنة اربع وستين وثلثماية

الوزن ٤.١٦٧غم. القطر ٢١.٢ مم

wt. 4,167gr. Di 21,2mm

—

رقم ٧٣٠٧- لوح ١ No. 7307- Pl.1

مصر سنة ٣٦٥هـ Misr year 365AH

بمصر سنة خمس وستين وثلثماية

الوزن ٤.٠٣٠غم. القطر ٢١.٣ مم

wt. 4,030gr. Di 21,7mm

—

رقم ٧٣٠٨- لوح ١ | No. 7308- Pl.1
مصر سنة ٣٦٥هـ | Misr year 365AH
بمصر سنة خمس وستين وثلثماية
الوزن ٤.٠٥٥غم. القطر ٢١.٦ مم
wt. 4,055gr. Di 21,6mm

—

رقم ٣٨٦٩- لوح ١ | No. 3869- Pl.1
المنصورية سنة ٣٤٣هـ | Al-Mansuriyah year 343AH
بالمنصورية سنة ثلث وأربعين وثلث ماية
مثقوبة | Pierced
الوزن ٣.٨٦٤غم. القطر ٢٢.٧ مم
wt. 3.864gr. Di 22,7mm

—

رقم ٨٠٥٠- لوح ١ | No. 8050- Pl.1
المنصورية سنة ٣٦٠هـ | Al-Mansuriyah year 360AH
الوزن ٤.١٦٢غم. القطر ٢١.١ مم
wt. 4.162gr. Di 21,1mm

—

رقم ٧٣١١- لوح ١ | No. 7311- Pl.1
المنصورية سنة ٣٦٠هـ | Al-Mansuriyah year 360AH
بالمنصورية سنة ستين وثلثماية
الوزن ٤.١١٤غم. القطر ٢١ مم
wt. 4,114gr. Di 21mm

—

رقم ٢٩٠٣- لوح ١ | No. 2903- Pl.1
المنصورية سنة ٣٦١هـ | Al-Mansuriyah year 361AH
الوزن ٤.١٤١غم. القطر ٢١.٢ مم
wt. 4.141gr. Di 21,2mm

—

رقم ٢١٢٤- لوح ١ No. 2124- Pl.1

المنصورية سنة ٣٦٢هـ Al-Mansuriyah year 362AH

بالمنصورية سنة اثنتين وستين وثلثماية

الوزن ٣.٩٦٥غم. القطر ٢١.٥ مم

wt. 3.965gr. Di 21,5mm

٥-العزيز بالله أبو منصور نزار.

٣٦٥-٣٨٦هـ= ٩٧٥-٩٩٦م

5. Al- Aziz Abo-Mansur Nazar

365-386AH= 975-996AD

رقم ٣٨٧١- لوح ١

مصر سنة ٣٨٦هـ

مركز الوجه

عبد الله ووليه نزار الأمام العزيز بالله امير المؤمنين

الطوق Margin

بسم الله ضرب هذا الدينر بمصر سنة ست وثمانين وثلثماية

مركز القفا Rev. area

لا إله إلا الله محمد رسول الله علي خير صفوة الله

الطوق margin

محمد رسول الله – المشركون

الوزن ٤.٠٧٣غم، القطر ٢١.٥مم

wt.4,073gr. Di 21,5mm

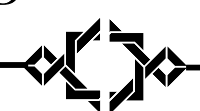
—

٦-الحاكم بأمر الله ابو علي المنصور

٣٨٦-٤١١هـ= ٩٩٦-١٠٢٠م

6- Al-Hakin biamr Allah

386-411AH= 996-1020AD



رقم ٣٨٧٢- لوح ١ No. 3872- Pl. 1

مركز الوجه Obr. Area

الحاكم بأمر الله

أمير المؤمنين

النطاق Inn. Margin

الأمام عبد الله ووليه المنصور أبو علي

الطوق Margin

بسم الله ضرب هذا الدينر بمصر سنة تسع وثمانين وثلثماية

مركز القفا Rev. Area

محمد رسول الله

علي ولي الله

النطاق Inner Margin

لا إله إلا الله وحده لا شريك له

الطوق Margin

محمد رسول الله – المشركون

الوزن ٤.١١٧غم. القطر ٢٣.٧ مم
wt. 4,177gr. Di 23,7mm.

—

رقم ٣٨٨٨- لوح ١ No. 3888- Plate 1

مصر سنة ٣٩٣هـ Misr year 393AH

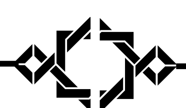
بمصر سنة ثلث وتسعين وثلثماية

الوزن ٤.٠٢٩غم القطر ٢١ مم
wt. 4,029gr. Di 21 mm.

—

رقم ٣٨٩٢- لوح ١ No. 3892- Plate 1

مصر سنة ٤٠١هـ Misr year 401AH



مركز الوجه Obr. Area

عبد الله

ووليه المنصور أبو علي

الأمام الحاكم بأمر الله

أمير المؤمنين

الطوق Margin

محمد رسول الله- المشركون

مبتورة قليلاً Clipped

الوزن ٤.١٠٦غم. القطر ٢٢.٦ مم

wt. 4,106gr. Di 22.6mm

—

رقم ٣٨٩٣- لوح ١ No.3893-PL1

مصر سنة ٤٠٥هـ Masr Year 405 AH

مركز الوجه

عبد الله ووليه

الأمام الحاكم بأمر الله أمير

. Point

المؤمنين وعد الرحمن

دار عهد المسلمين

الطوق

بسم الله ضرب هذا الدينر بمصر سنة خمس وأربعماية

. Point

مركز القفا Rev.Area

علي

لا إله إلا الله وحده لا

.: Points

شريك له محمد رسول الله

ولي الله

الطوق Margin

محمد رسول الله– المشركون

الوزن ٣.٩٩٣غم. القطر ٢٢.٥ مم

wt. 3,993gr. Di 22,5mm

—

رقم ٩٤٠٧– لوح ١ No. 9407- Pl. 1

ضرب..... سنة .... Mint…. Year…..

ثلث دينار Third Dinar

مركز الوجه Obr.Area

المنصور

أبو علي الأمام

الحاكم بأمر الله

أمير المؤمنين

مركز القفا Rev. Area

لا إله إلا الله

محمد رسول الله

علي ولي الله

محيطها مبتورة Its Margin cut off.

الوزن ٠.٩٧٥غم. القطر ١٢ مم

wt. 0,975gr. Di 12mm

—

رقم ٩٤٠٦– لوح ١ كرقم ٣٨٧٢ No. 9406- Pl.1. same as 3872

ضرب.... سنة .... Mint… year…..

ربع دينار Fourth Dinar

مركز الوجه Obr. Area

بأمر

المؤمنين

الأطواق مبتورة The margin cut off

الوزن ١.٠١٦غم. القطر ١٤ ملم

wt. 1,016gr. Di 14mm

—

٧-المستنصر بالله ابو تميم معد.

٤٢٧-٤٨٧هـ= ١٠٣٥-١٠٩٤م

7- Al-Mustansir Billah Abu-Tamim Ma'ad

427-487AH = 1035-1094AD

رقم ٢١٤٧- لوح ١ No. 2147- Pl.1

صور سنة ٤٨٧هـ Sur year 487AH

مركز الوجه Obr.Area

معد

عبد الله ووليه

الأمام أبو تميم

المستنصر بالله

أمير المؤمنين

الطوق Margin

بسم الله ضرب هذا الدينر بصور سنة سبع وثمانين وأربعماية

نطاق القفا Rev. Area

علي

لا إله إلا الله

وحده لا شريك له

محمد رسول الله

ولي الله

الطوق Margin

محمد رسول الله- المشركين

الوزن ٣.٨٥٨غم. القطر ٢٣ مم
wt. 3,858gr. Di 23mm

—

رقم ٣٨٩٤- لوح ١ No. 3894- Pl.1

بطرابلس سنة ٤٣٦هـ Tarabuls year 436AH

مركز الوجه Obr.Area

معد

الأمام أبو

تميم المستنصر

بالله أمير المؤمنين

الطوق Margin

بطرابلس سنة ست وثلاثين واربعماية

الوزن ٣.٣٧١غم. القطر ٢٣ مم
wt. 3,371gr. Di 23mm

—

رقم ٣٨٧٣- لوح ٢ No. 3873- Pl.2

طرابلس سنة ٤٣٨هـ Tarabuls year 438AH

بطرابلس سنة ثمان وثلاثين وأربعماية

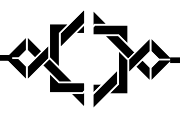
الوزن ٣.٨٧٣غم. القطر ٢٢.٧ مم
wt. 3,873gr. Di 22,7mm

—

رقم ٣٨٨٢- لوح ٢ No. 3883- Pl.2

طرابلس سنة ٤٤٣هـ Tarabuls year 443AH

مركز الوجه Obr. Area



المستنصر بالله أمير المؤمنين

. Point

النطاق Inn. Margin

بسم الله ضرب هذا الدينر بطرابلس سنة ثلث وأربعين وأربعماية

مركز القفا Rev. Area

لا إله إلا الله محمد رسول الله

النطاق Inn. Margin

وعلي أفضل الوصيين ووزير خير المرسلين

الطوق Margin

محمد رسول الله– المشركون

جميلة Beautiful

الوزن ٣.٨٦٨غم. القطر ٢٢.٢ مم
wt. 3.868gr. Di 22,2mm

—

رقم ٧٣١٨– لوح ٢ No. 7318- Pl.2

مصر سنة ٤٣٣هـ Misr year 433AH

مركز الوجه Obr. Area

الأمام معد أبو

تميم المستنصر

بالله أمير المؤمنين

الطوق Margin

بسم الله الرحمن الرحيم ضرب هذا الدينر

. Point

بمصر سنة ثلث وثلاثين واربعماية

مركز القفا Rev. Area

لا إله إلا الله

وحده لاشريك له

محمد رسول الله

علي ولي الله

الطوق Margin

محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق

. Point

ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون

جميلة Beautiful

الوزن ٤.٠٩٩غم. القطر ٢٤ مم

wt. 4.099gr. Di 24mm

—

رقم ٧٤٣٧– لوح ٢ كرقم ٣٩٩٤ No. 7437- Pl.2. Same as 3994

ضرب؟ سنة ؟؟ Mint? Year ??AH

نصف مسكوكة A half coin

الوزن ٢.٥٤٥غم. القطر ٢٢ مم

wt. 2,545gr. Di 22mm

—

رقم ٩٤٠٥– لوح ٢ No. 9405- Pl.2

ضرب.... سنة .... Mint…. Year…..

ربع دينار Fourth Dinar

مركز الوجه Obr. Area

الأمام معد

المستنصر بالله

أمير المؤمنين

مركز القفا Rev. Area

لا إله إلا الله

محمد رسول الله

علي ولي الله

محيطها مبتور — Its margin cut off

الوزن ٠.٤٦٨غم. القطر ١١ مم

wt. 0,468gr. Di 11mm

—

٨-الآمر بأحكام الله المنصور ابو علي

٤٩٥-٥٤٣هـ = ١١٠١-١١٣٠م

8- Al-Amir Abu Ali

495-524AH = 1101-1130AD

رقم ٣٨٧٤- لوح ٢ — No. 3874- Pl.2

مصر سنة ١٦هـ (٥١٦هـ) — Misr year 16AH (516AH)

مركز الوجه

الأمام

المنصور

النطاق — Inn. Margin

بوعلي ١١٥١ ب لآمر بأحكام الله المؤمنين

(أبو علي الآمر بأحكام الله أمير المؤمنين)

الطوق — Margin

بسم الله الرحيم ضرب هذا الدينر بمصر

سنة ست عشرة

مركز القفا — Rev. Area

عال

غاية

النطاق — Inn. Margin

لا إله إلا الله محمد رسول الله علي ولي الله

الطوق Margin

محمد رسول الله– المشركون

الوزن ٣.٦٩٦غم. القطر ٢١.٧ مم

wt. 3.696gr. Di 21,7mm

—

رقم ٣١٠١٦. لوح ٢ No. 31016- Pl.2

مصر بدون تاريخ Misr. No year

مركز الوجه Rev. Area

—

نقطة . Point

النطاق Margin

بوعلي لآمر بأحكام الله ١١ ب ١

[أبو علي الآمر بأحكام الله (أمير المؤمنين)]

الطوق Margin

بسم الله الرحمن الرحيم ضرب هذا الدينر (١١) بمصر

نطاق القفا Rev. Inn. Margin

لا إله إلا الله محمد رسول الله علي

مكتشفة في قرية بغامرا في مركز أربيل Boghamra-Arbeel

الوزن ٣.٨٦٧غم. القطر ٢٣.٦ مم

wt. 3.867gr. Di 23,6mm

—

رقم ٣١٠١٣. لوح ٢ No. 31013- Pl.2

مصر بدون تاريخ Misr. No year

—

نقط . Points

مكتشفة بقرية بغامرا في أربيل Boghamra-Arbeel

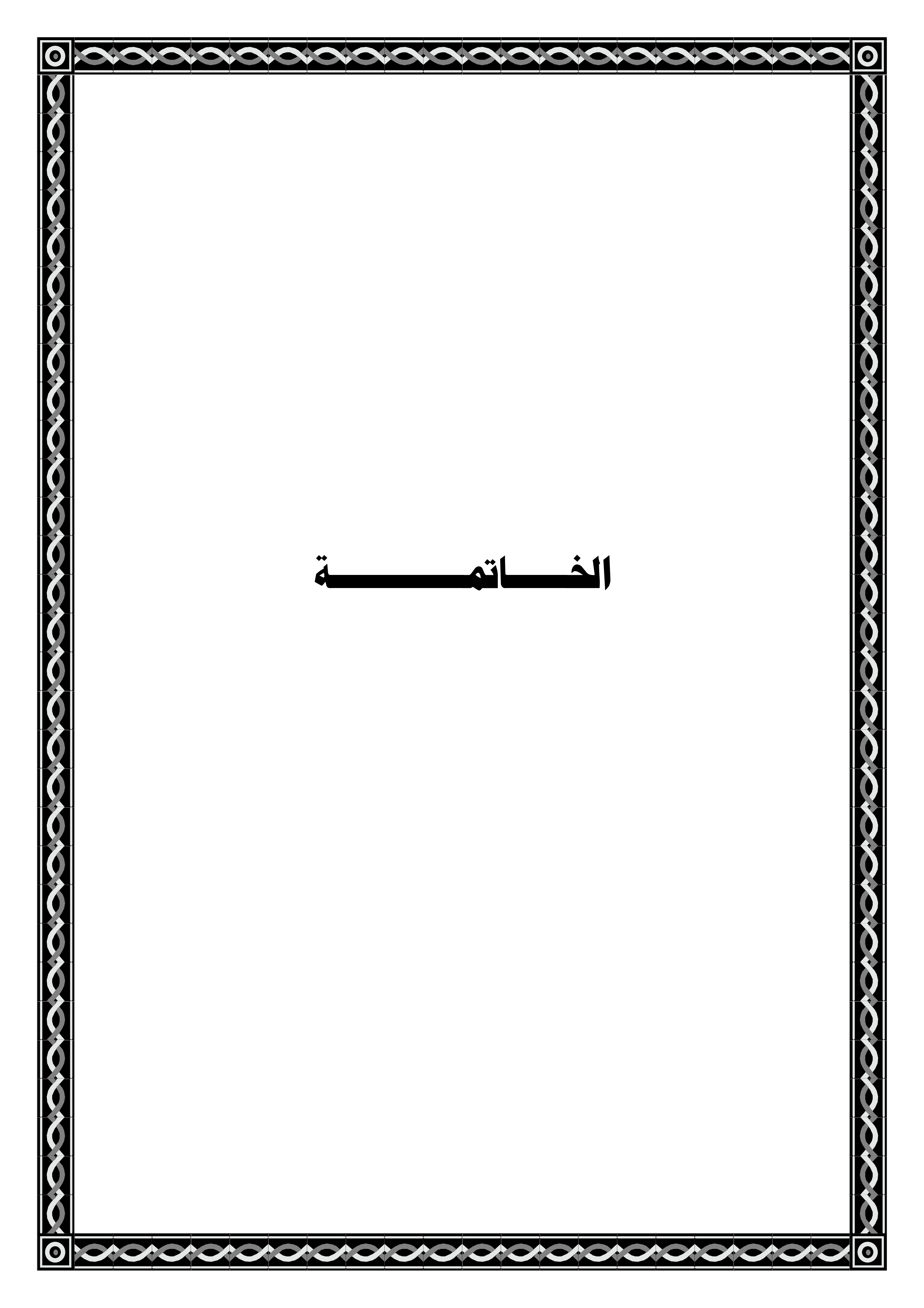
الوزن ٤.٠٤٥غم. القطر ٢٢.٦ مم

wt. 4,045gr. Di 22,6mm[١]

—

---

[١] شكري ، ساجده ، مجلة سومر ، مطبعة مديرية الآثار القديمة العامة، ج١، لسنة ١٩٥٤، ص١٣٩؛ ينظر الملحق رقم (١٤) الخاص بالدينار الفاطمي.



الخـــاتمـــــــة

شهدت مصر الفاطمية حضارة راقية ويعد عصرهم من أرقى العصور حيث ارتقى فيها العلم والأدب والإدارة والسياسة وقد ساعدت عوامل إلى جانب اهتمام الخلفاء الفاطميين بالحضارة، وقوع مصر على البحار مما جعلها مركزاً مهماً لاسيما في مجال التجارة، فضلاً عن وجود النيل حيث زاد من النشاط المتعلق بالنقل البحري.

بعد أن فرغنا من كتابة البحث -بعون من الله عز وجل- حاولنا أن نوضح النظام المالي وطرق إدارتهم للبلاد فنظموا الإدارة المالية لأول مرة بالدواوين التي أنشأوها ووضعوا لها الأنظمة والضوابط الدقيقة، فقد اختص كل ديوان بعمل خاص على الرغم من تشابه أو تداخل عمل بعض الدواوين مع بعضها البعض.

لقد أبدى الفاطميين تسامحاً كبيراً مع الرعية لاسيما مع أهل الذمة مما شجع الكثيرين منهم بالعمل ومنها مهنة الصيرفة التي يبدو أنهم انفردوا بها عن سواهم حيث لمنجد مسلماً عمل بهذا العمل وهذا ناتجاً عن السياسة الدينية والمذهبية السائدة في الدولة التي تحرم الأعمال بالربا.

بين البحث ان الفاطميين عملوا بجدية لمحاربة الفساد الإداري والمالي وحالات الاحتكار فيما إذا أصاب الدولة أزمة اقتصادية، وعملت الدولة على تسعير المواد الغذائية لاسيما الحبوب وأوقع بالعقاب لكل التجار الذين يحاولون اخفاء الغلة عن الناس.

وعدلوا نظام النقد حيث سكت نقود فاطمية جديدة تحمل صفة الدولة وشعائرها الدينية، فإن أتباع الدولة الفاطمية بالعمل على نظام المعدنين (الذهب والفضة) يعد من الأحداث الاقتصادية المهمة حيث ساعد هذا النظام على تسهيل وتنشيط العمليات التجارية داخل البلاد.

بدت على الحكومة الفاطمية مظاهر الغنى والترف فبناء القصور والمساجد وإقامة الاحتفالات جعل البعض يقولون انها حكومة مسرفة تبدد الأموال، فهي لم تكن كذلك إذا ماقسناها أمام بذخ المماليك التي أسرفت أموالها مقابل استرضاء جنودها وقوادها وأمرائها.

ولا يسعنا ونحن نختم قولنا إلا أن نقول: آن الأوان لكي تتضح الأمور وأن نسمي الأشياء بأسمائها فالفاطميين أسسوا حضارة عريقة وجعلوا من مصر أن تأخذ دورها التاريخي عبر حقبة زمنية تجاوزت القرنين من الزمن، ولا تأخذ بشيء من الإطراء غير المنطقي على حالة معينة أو حاكم معين وينسحب ذلك على بقية الخلفاء. فهم في النهاية لم يكونوا أسوأ من غيرهم لعلهم كانوا الأفضل.

ان المجتمع الإسلامي كان شديد التضامن ، وكانت كثرة الصدقات وتوزيع المواد الغذائية في المناسبات والمواسم، يخففان نسبياً من مظاهر الفاقه ولكن سنوات الخصب وانخفاض أسعار المواد الغذائية هي التي تحدث انتعاشاً فعلياً في صفوف أبناء الشعوب.



المصادر والمراجع

❖ **القرآن الكريم** .

أولاً : المخطوطات :

- القضاعي: القاضي أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر الشامي (ت٤٥٤هـ/١٠٦٢م) ، عيون المعارف وفنون أخبار الخلايف ، محفوظة بدار الكتب المصرية ، القاهرة ، تحت الرقم ١٧٧٩ ، لا ت .

ثانيا : المصادر العربية :

❖ ابن الآبار : محمد بن أبي بكر القضاعي (ت٦٥٨هـ/١٢٦٠م) .

١- الحلة السيراء ، تحقيق حسين مؤنس ، القاهرة ، لات .

❖ ابن الأثير : محمد بن عبد الكريم عبد الواحد الشيباني (ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٨م).

٢-الكامل في التأريخ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لا ت .

❖ ادريس : عماد الدين (ت٨٧٢هـ/١٤٦٧م) .

٣-عيون الأخبار وفنون الآثار في فضائل الأئمة الأطهار ، تحقيق مصطفى غالب ، دار الأندلس ، بيروت، لا ت .

٤-تاريخ الخلفاء الفاطميين في المغرب، تحقيق محمد اليعلاوي، دار المغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٨٥.

❖ الأدريسي : أبو عبد الله محمد (ت٥٦٠هـ) .

٥- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، نشرة دوزي ليدن،١٨٦٦م .

❖ ابن الأزرق : أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي بن القاسم بن مسعود الغرناطي (ت ٨٩٦هـ/١٤٠٩م) .

٦- بدائع السلك في طبائع الملك ، تحقيق وتعليق د. علي سامي النشار ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٣٩٧هـ/١٩٩٧م .

❖ الأشعري : أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت ٣٢٨هـ/٩٣٩م) .

٧- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط٢، القاهرة، ١٣٨٩هـ .

❖ ابن أبي اصيبعة : موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم الخزرجي (ت٦٨٨هـ/١٢٦٩م) .

٨-عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، دار الفكر ، بيروت، ١٩٥٧م.

❖ الأنطاكي : يحي سعيد (ت ٤٥٨هـ /١٠٦٥ م).

٩- تاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ، مطبعة الأباء اليسوعيين ، بيروت ، ١٩٠٩م .

❖ ابن أياس : محمد بن أحمد الحنفي (ت٩٣٠هـ /١٥٢٠م) .

١٠- بدائع الزهور في وقائع الدهور ، تحقيق محمد مصطفى، النشرات الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٧٥م.

❖ ابن بطوطة: محمد بن عبد الله (ت٧٧٩هـ / ١٣٧٧ م) .

١١- تحفة النظار في غرائب الأبصار وعجائب الأقطار (المعروف برحلة ابن بطوطة) ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٤م .

❖ ابن بعره : منصور الذهبي الكاملي (ت القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي) .

١٢- كشف الأسرار العلمية بدار الضرب المصرية ، تحقيق عبد الرحمن فهمي محمد ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٦٥ م .

❖ البكري : أمير عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٧٨هـ/١٠٩٧م) .

١٣-المغرب في ذكر بلاد أفريقيه والمغرب ، ط٢، باريس ، ١٩٨١م .

١٤-المسالك والممالك ، تحقيق جمال طلبة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٢م .

❖ البلاذري : أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ /٨٩٢م) .

١٥- فتوح البلدان ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٦م .

❖ الثعالبي : أبو منصور عبد المالك بن محمد بن سليمان(ت ٤٢٩هـ /١٠٣٧م) .

١٦- تحفة الوزراء ، تحقيق حبيب علي الراوي والدكتورة أبتسام الصفار ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٧٨م .

❖ ابن تغري بردي : أبو المحاسن جمال الدين يوسف (ت ٨٧٥هـ /١١٦٩م) .

١٧-النجوم الزاهر في اخبار مصر والقاهرة، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٢٩ م .

❖ ابن جبير : أبو الحسن محمد بن أحمد الكتاني الاندلسي (ت٦١٤هـ /١٢١٧م) .

١٨- رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك المعروف (برحلة ابن جبير) أشراف لجنة تحقيق التراث ، مكتبة الهلال ، بيروت ، ١٩١٨م .

❖ الجرجاني : علي بن محمد السيد الزين (ت ٨١٦هـ/١٤١٣م) .

١٩-التعريفات ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي، بيروت ، ١٩٨٧م.

❖ الجهشياري : أبو عبد الله محمد بن عبوس (ت٣٣١هـ/٩٤٢م) .

٢٠- الوزراء والكتاب ، القاهرة ، ١٩٢٦ م.

❖ ابن الجوزي : أبو الفرج عبد الرحمن بن محمد بن علي بن محمد القريشي البغدادي (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م) .

٢١- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم،القاهرة،١٣٤٠هـ/ م .

٢٢-تاريخ عمر بن الخطاب ، مطبعة التوفيق الأدبية ، القاهرة ، لا ت .

❖ الحبال : أبو اسحاق إبراهيم بن سعيد بن عبد الله (ت٤٨٢هـ/١٠٨٩م).

٢٣- وفيات المصريين في العهد الفاطمي ، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، دار صادر للطباعة ، القاهرة ، ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م .

❖ ابن حجر : شهاب الدين بن علي العسقلاني (ت٨٥٢هـ /١٤٤٩م) .

٢٤- رفع الأصر عن قضاة مصر ، تحقيق عبد المجيد ذياب، الإدارة العامة للثقافة، وزارة التربية والتعليم ، القاهرة ، ١٩٥٧م .

❖ ابن حزم الأندلسي : أبو محمد القاسم بن سعيد (٤٥٦هـ/١٠٦٣م) .

٢٥- جمهرة أنساب العرب ، تحقيق وتعليق ليبفي بروفنسال ، دار المعارف ، مصر ، ١٣٦٨هـ /١٩٤٨م .

❖ ابن حماد : أبو عبد الله محمد بن علي الصنهاجي (ت٦٢٦هـ/١١٢٨م).

٢٦-أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، تحقي جلول محمد البدوي ،الجزائر ، لات.

❖ الحمادي اليماني : محمد بن مالك بن أبي الفضل (من فقهاء القرن الخامس الهجري/ العاشر الميلادي) .

٢٧-كشف الأسرار الباطنية واخبار القرامطة ، تعليق محمد زاهد الكوثري، نشر وتصحيح عزت العطار ، مطبعة الأنوار ، القاهرة ، ١٩٣٩م.



❖ الحنبلـــي أبـــو يعلـــي الفـــراء : محمـــد بـــن الحســـن الحنبلـــي (ت٤٥٨هـ/١٠٦٦م).

٢٨- الأحكام السلطانية ، صـححه وعلـق عليـه ، محمـد حامـد الفقي ، ط٢، دار الكتب العلمية ،بيروت ،١٩٨١ .

❖ ابن حوقل : أبو القاسم محمد بن علي النصيبي (ت٣٦٧هـ/١٩٧٧م) .

٢٩- صـورة الأرض ، منشورات مكتبـة الحياة ، لبنـان ، بيروت ، ١٩٧٩م .

❖ ابن خرداذبة : أبو القاسم عبد الله (ت : في حدود سنة ٣٠٠هـ/٩١٢م).

٣٠- المسـالك والممالـك ، تحقيـق دي خويـة ، بريـل ، ليـدن، ١٨٨٩م.

❖ خسرو ، ناصر (ت ٤٨١هـ/١٠٨٨م) .

٣١- سـفر نامـة (رحلـة ناصـر خسـرو إلـى لبنـان فلسـطين ومصر والجزيرة العربية في القرن الخامس الهجري) نقله إلى العربية يحيى الخشاب، ط٢، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، ١٩٧٠م.

❖ الخطيب البغدادي : أبو بكر أحمد بن علي (ت ٤٦٣هـ /١٠٧٠م) .

٣٢- تـاريخ بغداد أو مدينـة السـلام ، المكتبـة السـلفية ، المدينـة المنورة ، لا ت .

❖ ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م) .

٣٣-تاريخ ابن خلدون المسمى (ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر) ، دار أحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٧١م.

٣٤-مقدمة ابن خلدون ، مطبعة الكشاف ، بيروت ، لا ت .

❖ ابن خلكان :أبي العباس شمس الدين أحمد بن أبي بكر (ت ٦١٨هـ/١٢٨٢م).

٣٥-وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار صادر القاهر،١٣٦٧هـ/١٩٤٨م .

❖ الداوداري : أبو بكر بن عبد الله بن أيبك (ت٧٣٦هـ/١٣٣٥م) .

٣٦-كنز الدرر وجامع الغرر (المسمى الدره المضيه في أخبار الدولة الفاطمية)، تحقيق صلاح الدين المنجد ، القاهرة ، ١٩٦١م .

❖ ابن دقمان : إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي (ت٨٠٩هـ/١٤٠٦م).

٣٧-الانتصار لواقعة عقد الأمصار (من تاريخ مصر وجغرافيتها) ، المكتب الجغرافي للطباعة والنشر، بيروت ، لا ت .

❖ الدمشقي : عبد الغني (ت) .

٣٨-اللباب في شرح الكتاب ، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، مطابع دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ١٩٦١ م.

❖ ابن أبي دينار : أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني (ت١٢٩٢هـ/١٦٨١م) .

٣٩-المؤنس في أخبار أفريقيا وتونس ، تحقيق محمد شمام، المكتبة العتيقة ، تونس ، لات.

❖ الرازي : أحمد بن أديس بن المنذر بن داود بن مهران الحنظلي (ت٢٧٥هـ/٨٨٨م) .

٤٠-الزينة في الكلمات الإسلامية ، تحقيق عبد الله سلوم السامرائي، بغداد ، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

❖ ابن أبي الربيع : شهاب الدين أحمد بن محمد (ت ٢٧٢هـ/٨٥٥م) .

٤١- سلوك الممالك في تدبير المالك ، تحقيق ناجي التكريتي، دار الأندلس ، بيروت ، ١٩٨١م.

❖ ابن رستة : أبو علي أحمد بن عمر (ت ٢٩٠هـ /٩٠٢ م) .

٤٢- الأعلاق النفسية ، ليدن ، بريل ، ١٨٩١م .

❖ الرفاعي : ابو المعالي محمد سراج الدين (ت٨٨٥هـ/١٤٨٠م) .

٤٣- صحاح الأخبار في نسب السادة الفاطميين الأخيار، مطبعة نخبة الأخيار، الهند بومباي، ١٣٠٦هـ/١٨٨٨م .

❖ الزبيدي : محب الدين أبو الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني (ت١٢٠٥هـ /١٧٩٠ م) .

٤٤- تاج العروس من جواهر القاموس ، الكويت، لات.

❖ الزركلي : خير الدين (ت ٦٨٢هـ/١٢٨٣م) .

٤٥- الاعلام ، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء العرب والمستعمرين والمستثمرين، ط٤ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٩ م .

❖ الزمخشري : جار الله محمود بن عمر (ت٥٣٨هـ / ١١٤٣م) .

٤٦- أساس البلاغة ، مطابع الشعب ، القاهرة ، ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م .

❖ سبط ابن الجوزي : شمس الدين أبو المظفر يوسف(ت٦٥٤هـ/١٢٥٦م).

٤٧- مرآة الزمان في تأريخ الأعيان ، تحقيق د. جنان الهموندي ، الدار الوطنية، بغداد ، ١٩٩٠م.

❖ ابن سعد : عبد الله بن منبع (ت ٢١٣هـ/ ٨٢٨م) .

٤٨- الطبقات الكبرى، دار صادر ،بيروت ، ١٩٥٧ م .

❖ ابن سعيد المغربي : أبو الحسن نور الدين علي بن محمد بن عبد الملك الغرناطي (ت٦٨٥هـ/١٢٨٤م) .

٤٩- النجوم الزاهرة في حضرة حلى القاهرة وهو جزء من كتاب المغرب في حلى المغرب – تحقيق ، حسين نصار ، لات.

❖ ابن سيدة : أبي الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي (ت٤٥٨هـ) .

٥٠-المخصص ، دار الفكر ، لات.

❖ السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م) .

٥١-تأريخ الخلفاء ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مكتبة الشرق الجديد ، العراق ، بغداد ، لا ت .

٥٢-حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، لبنان ، صيدا ، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م) .

❖ أبي شامة : شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الشافعي (ت٦٥٦هـ/١٢٢٧م) .

٥٣-الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق محمد حلمي ، مطبعة دار الجبل ، بيروت ، ١٩٥٦.

❖ الشهرستاني : أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م) .

٥٤- الملل والنحل ، تحقيق محمد سعيد الكيلاني ، القاهرة ، ١٣١٧هـ/١٨٩٩م.

❖ الشيرازي : المؤيد في الدين هبة الله (ت ٤٧٠هـ/١٠٧٧م) .

٥٥- المجالس المؤيدية (المئة الأولى) تلخيص حاتم بن إبراهيم الحميري اليمني ، تحقيق محمد عبد القادر عبد الناصر ، دار الثقافة ، القاهرة ، ١٩٨٤م .

❖ الشيرزي : عبد الرحمن بن نصير (ت٥٨٩هـ/١١٩٣م) .

٥٦- نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، تحقيق السيد الباز العريني ، مطبعة لجنة التأليف،القاهرة ١٩٤٦م.

❖ الصابي : هلال بن محسن (ت٤٤٨هـ/١٠٥٦م) .

٥٧- تحفة الأمراء في تأريخ الوزراء، تعليق ميخائيل عواد ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٣٦٧هـ/١٩٤١م .

❖ الصفدي : صلاح الدين خليل بن أيبك (ت٧٦٤هـ/١٣٤٥م) .

٥٨- الوافي بالوفيات ، اعتناء وداد القاضي وسي درينغ، نشر فرانز شتايلر بقيسبادن ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

❖ الصولي : أبو ببكر محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس بن محمد بن صول (ت٣٣٥هـ/٩٤٦م) .

٥٩- أدب الكاتب، نسخه وعنيَّ بصتحيحه وتعليق حواشيه محمد بهجة الأثري، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٤١هـ/١٩٢٢م .

❖ الطبري : محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/٦٢٣م) .

٦٠- تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط٤، دار المعارف، القاهرة ، ١٩٧٧م.

❖ ابن الطقطقا : محمد بن علي بن طباطبا (ت٧٠٩هـ/١٣٠٩م).

٦١-الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، دار صادر ، بيروت ، لات.

❖ ابن الطوير : أبو محمد المرتضى عبد السلام بن الحسن الفهري (ت٥١٧هـ/١١٢٠م) .

٦٢- نزهة المقلتيذن في أخبار الدولتين ، تحقيق أيمن فؤاد سيد ، النشرات الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٩٢م .

❖ ابن ظافر : جمال الدين علي (ت٦٢٣هـ/١٢٢٥م).

٦٣-أخبار الدول المنقطعة ، تحقيق أندرية فرية ، المعهد الفرنسي ، القاهرة ، ١٩٧٢م .

❖ ابن ظهيره : جار الله جمال الدين محمد بن نور الدين (ت٩٨٦هـ/١٥٧٨م) .

٦٤- الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة ، تحقيق مصطفى السقا وكامل المهندس ، مطبوعات دار الكتاب ، لبنان ، ١٩٧٩م.

❖ ابن عبد ربه : أبو عمر أحمد بن محمد الأندلسي(ت٣٢٨هـ/٩٤٠م) .

٦٥-العقد الفريد ، تحقيق أحمد أمين وإبراهيم الأبياري وعبد السلام هارون ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٩٢ م.

❖ ابن عبد الظاهر : محي الدين أبو الفضل عبد الله بن عبد الظاهر المصري (٦٩٢هـ/١٢٩٢م) .

٦٦- الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزيه القاهرة ، تحقيق وتقديم وتعليق أيمن فؤاد سيد ، أوراق شرقية ، بيروت ، ١٩٩٦م.

❖ أبو عبيد : القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ/٨٣٨م).

٦٧- كتاب الأموال ، تحقيق محمد خليل هراس ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

❖ ابن عذاري : أبو محمد بن محمد المراكشي (ت القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي).

٦٨- البيان المغرب في أخبار الأندلس المغرب ، تحقيق ج.س، كولان وليفي بروزنفال، بيروت ، ١٣٥٠هـ/١٩٥٠م.



❖ العصـــامي :عبـــد الملـــك بـــن حســـين بـــن عبـــد الملـــك المكـــي (ت١٠٤٤ هـ/١٦٣٩م).

٦٩- أخبار الأول فيمن تصرف في مصر في أرباب الدول، مكتبة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، لا ت .

❖ العلــوي : نجــم الــدين أبــو الحســن علــي بــن محمــد بــن العمــري (ت٤٩٥هـ/١٠٦٦م) .

٧٠- المجدي في أنساب الطالبيين ، تحقيق د. أحمد المهدوي الدامغاني ، مطبعة سيد الشهداء ، قم ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.

❖ ابــن العمــاد : أبــو الفــتح عبــد الحــي بــن أحمــد بــن محمــد الحنبلــي (ت ١٠٨٩هـ/١٩٧١م) .

٧١- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، المكتبة التجارية، بيروت ، لا ت .

❖ فخـر الـدين الـرازي : أبـو عبـد الله محمـد بـن عمـر بـن الحسين القرشـي (ت) .

٧٢- الشجرة المباركة في أنساب الطالبية ، تحقيق مهدي الرجاني ، قم ، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م .

❖ أبو الفدا : الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل (ت٧٣٢هـ/١٣٣١م) .

٧٣- المختصر في أخبار البشر ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، لا ت .

٧٤-تقويم البلدان، باريس ، ١٨٤٠م .

❖ ابن الفرات : ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم (ت٨٠٧هـ/١٤٠٤م).

٧٥- تاريخ ابن الفرات، تحقيق حسن الشماع ، مطبعة حداد ، البصرة ، ١٩٦٧م.

❖ ابن فضل الله العمري : أبو العباس شهاب الدين أحمد بن علي (ت٧٤٩هـ/١٣٤١م) .

٧٦- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، تحقيق أحمد زكي باشا ، دار الكتب المصرية ، مصر ، ١٩٢٤م.

❖ ابن الفقيه : أبو بكر أحمد بن محمد المهذاني (ت٣٤٠هـ/٩٥١م).

٧٧- مختصر كتاب البلدان ، تحقيق دي غويه ، بريل ، ليدن ١٣٠٢هـ/١٨٨٤م.

❖ الفيروزآبادي : محبد الدين محمد بن يعقوب (ت٨١٧هـ/١٤١٤م).

٧٨- القاموس المحيط ، دار الفكر ،بيروت ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

❖ ابن قتيبة : أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت٢٧٦هـ/٨٨٩م).

٧٩- عيون الأخبار ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣٤٣هـ/١٩٥٢م.

❖ قدامة بن جعفر :العلامة أبي الفرج الحافظ بن زياد البغدادي ، (ت٣٢٨هـ/٩٣٩م).

٨٠- الخراج وصناعة الكتابة ، شرح وتعليق ، محمد حسين الزبيدي ، دار الرشيد للنشر ، العراق ، بغداد ، ١٩٨١م.

❖ القرطبي : عريب بن سعد (ت ٣٨٠هـ/٩٩٠م) .

٨١-صلة تاريخ الطبري ، مطبعة الاستقامة ، ١٩٣٦م .

٨٢-الجامع الأحكام القرآن ، دار الفكر للطباعة ، القاهرة ، ١٩٣٥م .

❖ القريشي : عماد الدين أدريس (ت٨٧٢هـ/١٤٦٧ م) .



٨٣- عيون الأخبار وفنون الآثار في فضائل الأئمة الأطهار ، تحقيق وتقديم د. مصطفى غالب، دار الأندلس للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧٥ .

❖ ابن القطان : أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي (ت ٦٢٨هـ/١٢٢٨م) .

٨٤- نظم الجمان في أخبار الزمان ، تحقيق محمود مكي ، الرياض ، ١٩٦٤ م .

❖ ابن القلانسي : أبو يعلي حمزة بن اسد بن علي بن محمد التميمي (ت٥٥٥هـ/١١٦٠م) .

٨٥- ذيل تاريخ دمشق ، تحقيق أمدروز الاباء اليسوعيين، بيروت ، ١٩٠٨م.

❖ القلقشندي : أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ /١٤١٨م) .

٨٦- صبح الأعشى في كتابة الأنشا ، المطبعة الأميرية، القاهرة ، ١٩١٦م .

٨٧- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، عنيَّ بنشره وتصحيحه علي الخاقاني ، منشورات دار البيان ، بغداد ، ١٩٥٨م.

٨٨- مآثر الأناقة في معالم الخلافة ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، الكويت ، ١٩٤٦ م .

❖ ابن قيم الجوزية : شمس الدين عبد الله محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١هـ/١٣٥٠م) .

٨٩- أهل الذمة ، تحقيق صبحي الصالح ، مطبعة دمشق، ١٣٨١هـ/١٩٦١م.

❖ الكتبي : محمد شاكر (ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م) .

٩٠-فوات الوفيات ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر بيروت ، ١٩٧٣م.

٩١-عيون التواريخ ، تحقيق فيصل السامر ، بغداد دار الرشيد، ١٩٨٠م.

❖ ابن كثير : ابو الفدا إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م).

٩٢-البداية والنهاية ، تحقيق أحمد بن ملحم وآخرين ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٩٨٧.

❖ الكندي : ابو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب (ت٣٥٠هـ) .

٩٣-كتاب الولاة والقضاة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٠٨م.

❖ ابن المأمون : الأمير جمال الدين أبو علي موسى (ت٥٨٨هم١١٩٢م).

٩٤-أخبار مصر ، تحقيق وكاتب المقدمة، أيمن فؤاد سيد ، المعهد العالي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة ، ١٩٨٣م.

❖ الماوردي : أبو الحسن علي بن حبيب البصري (ت٤٥٠هـ/١٠٥٧م) .

٩٥- الأحكام السلطانية ، مصر ، القاهرة ، ١٢٩٨م.

❖ المخزومي : القاضي أبو الحسين علي بن أبي عمر عثمان بن يوسف (ت٥٨٥هـ/١١٨٩م)

٩٦- المنهاج في علم خراج مصر.

❖ المسبحي : الأمير المختار عز الملك محمد بن عبد الله بن أحمد (ت٤٢٠هـ/١٠٢٩م) .

٩٧- نصوص ضائعة في أخبار مصر ، اعتنى بجمعها أيمن فؤاد سيد ، القاهرة ، ١٩٦٥ م.

❖ المسعودي : أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م).

٩٨- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٩٦٤م.

❖ مسكوية ، أبو علي أحمد بن محمد (ت ٤٢١هـ/١٠٣٠م) .

٩٩- تجارب الأمم، ترجمة مرجليون ، أكسفورد، ١٩٢١م.

❖ المقدسي : شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت٣٧٥هـ/١٢٧٨م).

١٠٠- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، مطبعة بريل، ليدن ، ١٩٠٩م.

❖ المقريزي : تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م) .

١٠١- اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، تحقيق جمال الدين الشيال، لجنة أحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٩٦٧م .

١٠٢- الخطط المقريزية المسماة المواعظ والأعتبار بذكر الخطط والآثار، منشورات دار أحياء العلوم ، مطبعة الساحل الجنوبي ، لبنان الشياح، لا ت .

١٠٣- كتاب المقفى الكبير ، تحقيق علي العيلاوي ، دار المغرب الإسلامي، بيروت ، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

١٠٤-السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق مصطفى محمد زيادة ، دار الكتب المصرية ، القاهرة، ١٩٧٢م.

١٠٥-إغاثة الأمة بكشف الغمة ، تقديم سعيد عبد الفتاح عاشور ، دار الهلال، مصر ، ١٩٩٠م .

١٠٦-شذور العقود في ذكر النفوذ الإسلامية القديمة ، تحقيق السيد علي بحر العلوم ، منشورات المكتبة الحيدرية ، إيران، قم ،١٣٧٨ هـ/١٩٦٧.



١٠٧-الأوزان والأكيال الشرعية ، ١٧٩٧م.

١٠٨-البيان والإعراب عما بأرض مصر من الإعراب (مع دراسات في تأريخ العروبة في وداي النيل)، تحقيق د. عبد المجيد عابدين، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،١٩٨٩م.

❖ ابن المقفع : ساويس أسقف الأشمونيين .

١٠٩-سيرة الآباء البطاركة ، القاهرة ، ١٩٤٨م.

❖ ابو المكارم : جرجيس بن مسعود (٦٠٥هـ/١٢٠٨م) .

١١٠-تاريخ أبي صالح ألأرمني (المعروف باسم كنائس وأديرة مصر) ، تحقيق وترجمة أيفنتس (Evtts) ، طبعة اكسفورد ، ١٨٩٥م.

❖ ابن مماتي : شرف الدين أبي المكارم بن أبي سعيد (ت٦٠٦هـ/١٢٠٩م).

١١١- قوانين الدواوين ، مطبعة الوطن، مصر ، ١٢٩٩هـ/١٨٨١م.

❖ المناوي : محمد بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين (ت١٠٣١هـ).

١١٢-النقود والمكاييل والأوزان ، تحقيق رجاء محمود السامرائي ، القاهرة ، لات .

❖ ابن منجب الصيرفي : أمين الدين تاج الرياسة أبو القاسم علي (ت٥٤٢هـ/١١٤٧م).

١١٣- الإشارة إلى من نال الوزارة، تحقيق عبد الله مخلص، القاهرة ، ١٩٢٤م.

١١٤- قانون ديوان الرسائل ، تحقيق علي بهجت، مطبعة المواعظ، مصر ، ١٩٠٥م.



❖ ابن منظور : محمد بن مكرم المصري (ت٧٦١هـ/١٣١١م) .

١١٥- لسان العرب ، بولاق، ١٩٤٩م.

❖ مؤلف مجهول : .

١١٦- العيون والحدائق في أخبار الحقائق ، تحقيق نبيلة عبد المنعم، النجف الأشرف، لات.

❖ مؤلف مجهول : (من كتاب القرن السادس الهجري) .

١١٧- الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد ، دائرة الشؤون الثقافية، بغداد ، لات.

❖ ابن ميسر : تاج الدين محمد بن علي بن يوسف بن جلب (ت ٦٧٧هـ/١٢٧٨م).

١١٨- أخبار مصر ، تحقيق أيمن فؤاد سيد ، المعهد العالي الفرنسي للآثار الشرقية ، القاهرة ، ١٩٨١م.

❖ النابلسي علاء الدين أبو عمر عثمان بن إبراهيم (ت : بعد سنة ٦٣٢هـ/١٢٣٤م).

١١٩- لمع القوانين المضية في دواوين الديار المصرية ، نشره كلود كاهن ، ١٩٥٨م.

❖ النعمان : أبو حنيفة بن حيون (ت٣٦٣هـ/٩٧٤م) .

١٢٠- المجالس والمسايرات ، تحقيق الحبيب الفقي وآخرون، المطبعة الرستمية ، تونس، ١٩٧٨.

١٢١- الهمة في آداب الأئمة ، تحقيق كامل حسين ، القاهرة ، ١٩٤٧م.



١٢٢- افتتاح الدعوة ، تحقيق وداد القاضي، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧٠م.

١٢٣- دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام على أهل بيت رسول الله عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام، تحقيق آصفي بن علي أصغر فيضي ، القاهرة ، ١٩٥١م.

❖ النوبختي : أبو محمد الحسن بن موسى (ت٢٨٢هـ/٨٩٥م).

١٢٤-فرق الشيعة، تصحيح ريزر، أسطنبول ، ١٩٢١م.

❖ النويري : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت٧٣٢هـ/١٣٣٢م).

١٢٥- نهاية الأرب في فنون الأدب ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، لا ت.

❖ ابن هشام : أبو محمد بن عبد الملك (ت ٢١٨هـ/٩٣٣م).

١٢٦-السيرة النبوية ، تحقيق هشام عبد الرحيم سعيد ، مكتبة المنار الأردن ، ١٩٨٨م.

❖ ابن الوردي : زين الدين عمر بن المظفر (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م) .

١٢٧-فريدة العجائب وفريدة الغرائب،مطبعة حجر، القاهرة ، ١٢٩٨هـ/١٨٨٠م .

١٢٨-تأريخ ابن الوردي المسمى(تتمة المختصر في أخبار البشر)،ط٢، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف،١٩٦٩م.

❖ اليافعي : أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي سليمان (ت٧٦٨هـ/١٣٩٦م).

١٢٩-مرآة الجنان وعبر اليقضان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م .

❖ ياقوت : الحموي ، شهاب الدين بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي(ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م) .

١٣٠-معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٥٣م.

❖ اليعقوبي : أحمد بن إسحاق بن جعفر بن ذهب بن واضع البغدادي، (ت٢٩٢هـ/ ٩٠٤ م) .

١٣١-تاريخ اليعقوبي ، دار الاعتصام للطباعة والنشر ، ط١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م .

١٣٢-البلدان ، المطبعة الحيدرية ، النجف ، ١٩٥٧م .

❖ أبو يوسف : القاضي أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم (ت١٨٢هـ/٧٩٨م).

١٣٣- كتاب الخراج ، تحقيق أحسان عباس، مطبعة خاصة بنك الكويت الصناعي،ط١، دار الشرق ، بيروت ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

ثانيا : **المراجع الحديثة** :

❖ أ. آشتور .

١٣٤- التأريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى ، ترجمة عبد الهادي عبلة ، مراجعة غسان سباتو ، دار قتيبة للطباعة ، سوريا، دمشق، ١٩٨٥م.

❖ إبراهيم : شحاتة عيسى .

١٣٥- القاهرة (سلسلة الألف كتاب رقم ١٨٤م)، دار الهلال ، مصر ، القاهرة ، لات .

❖ أحمد الشنتاوي وآخرون .

١٣٦- دائرة المعارف الإسلامية ، مطبعة وزارة المعارف،

❖ أحمد : محمد منصور .

١٣٧- الحضارة العربية الإسلامية (الشرق الأوسط في مركب الحضارة) ، مكتبة النهضة المصرية ، الظاهرة ، ١٩٦٠م.

❖ أدريس : محمد محمود .

١٣٨- تاريخ الحضارة الإسلامية (العصر الفاطمي) مكتبة نهضة الشرق ، القاهرة، ١٩٨٦م.

❖ الأعظمي : محمد حسن .

١٣٩-عبقرية الفاطميين (أضواء على الفكر والتاريخ الفاطمي)، نشر مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٦٠م.

❖ الأميني : محمد هادي .

١٤٠-عيد الغدير في عهد الفاطميين،النجف الأشرف،١٩٦٢.

❖ الأنباري : عبد الرزاق علي .

١٤١- تأريخ الدولة العربية (العصر الراشدي والأموي) ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ، ١٩٨٥م .

١٤٢-منصب قاضي القضاة في الدولة العباسية منذ نشأته حتى نهاية العهد السلجوقي ، الدار العربية للموسوعات ، لبنان ، ١٩٨٧م.

❖ أمين : محمد محمد .

١٤٣-الأوقاف والحياة الأجتماعية في مصر (٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م) دراسة وثائقية تاريخية ، القاهرة، ١٩٨٠ .

❖ الأيوبي ، الياس .

١٤٤- الفاطميون ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، لات.

❖ الباشا : حسن .

١٤٥-الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية ، نشر دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٦م.

١٤٦–الألقاب الإسلامية في التأريخ والوثائق والآثار ، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة ، ١٩٥٧م .

❖ الباشا : حسن ومحمد عبد الرحمن فهمي وآخرون .

١٤٧– القاهرة – تأريخيها – فنونها – آثارها ، مؤسسة الأهرام ، مصر ، لات.

❖ البراوي : راشد .

١٤٨– حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين ، مكتبة النهضة المصرية ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٩٤٨م.

❖ بروكلمان : كارل .

١٤٩– تأريخ الشعوب الإسلامية ، ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، دار الملايين للطباعة ،بيروت، ١٩٧٧م.

❖ البستاني : بطرس .

١٥٠– دائرة المعارف الإسلامية ، دار المعرفة ،بيروت ، لات.

❖ بك : أحمد أبو الفتوح .

١٥١– المعاملات في الشريعة الإسلامية والقوانين المصرية، مكتبة النهضة المصرية العامة، القاهرة ، ١٩٣٢م.

❖ بك : محمد كامل مرسي.

١٥٢– الملكية العقارية في مصر وتطورها التأريخي من عهد الفراعنة إلى الآن ، القاهرة ، ١٩٣٦م.

❖ بوفيل .

١٥٣– تجارة الذهب وسكان المغرب الكبيرن نقله إلى العربية د. الهادي أبو لقمه ود. محمد عزيز ، مشنورات جامعة قاريونس، بنغاري، ١٩٨٨م.

❖ تامر : عارف .

١٥٤-الحاكم بأمر الله خليفة وإمام ومصلح ، دار الآفاق الجديد،بيروت ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

❖ ترتون (أ.س) :

١٥٥-أهل الذمة في الإسلام ، ترجمة د. حسن الحبشي، القاهرة،١٩٦٨م.

❖ جلال : إبراهيم .

١٥٦- المعز لدين الله الفاطمي وتشييده مدينة القاهرة، طبع ونشر دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٦٣م .

❖ جوتياين : س . د .

١٥٧- دراسات في التأريخ الإسلامي والنظم الإسلامية، تعريب وتحقيق د. عطية القوص، منشورات وكالة المطبوعات ، الكويت، ١٩٨٠م .

❖ الحجي : حياة ناصر .

١٥٨- أحوال العامة في حكم المماليك (دراسة في الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية) ، ط١، الكويت ،١٩٨٤م.

❖ حسن : حسن إبراهيم.

١٥٩- تأريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسوريا وبلاد العرب ،ط٣، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٤م.

١٦٠-تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، القاهرة ، ١٩٦٧م .

١٦١-الفاطميون في مصر وأعمالهم السياسية والدينية بوجه خاص ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، ١٩٣٢م.

❖ حسن : حسن إبراهيم وطه أحمد شرف .

١٦٢–المعز لدين الله إمام الشيعة الإسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية في مصر ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة،١٩٤٧م.

١٦٣–عبيد الله إمام الشيعة الإسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية في بلاد المغرب ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ، لات.

❖ حسن : إبراهيم حسن وعلي إبراهيم .

١٦٤– النظم الإسلامية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٢م.

❖ حسن : علي إبراهيم .

١٦٥– تاريخ جوهر الصقلي قائد المعز لدين الله الفاطمي ،ط١، مصر ، ١٣٢١هـ/١٩٣٣م .

❖ حسن : محمد زكي .

١٦٦– كنوز الفاطميين ، دار الرائد العربي ، لبنان، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

❖ الحسني : محمد باقر .

١٦٧– النقود العربية الإسلامية ودورها الحضاري والإعلامي، دائرة الشؤون الثقافية والنشر، بغداد ، الجمهورية العراقية،لات.

❖ حميد الله : محمد .

١٦٨– الوثائق السياسية في عهد النبي والخلافة الراشدة، القاهرة، ١٩٤١م.

❖ حسني : عبد الوهاب حسن .

١٦٩– ورقات عن الحضارة العربية بأفريقية التونسية، مكتبة المنار ، تونس ، ١٩٦٤م.

❖ الخربوطلي : علي حسن .
١٧٠- الدعوة الفاطمية دعوة الحق والحضارة ، بومباي، لات.
١٧١-الإسلام والخلافة ، دار الكتب للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٩م.
١٧٢-مصر العربية الإسلامية (السياسة والحضارة في مصر في العصر العربي الإسلامي منذ الفتح العربي إلى الفتح العثماني)، مكتبة الأنجلو المصرية ، مصر ،لات.
١٧٣-العزيز بالله الفاطمي (سلسلة اعلام العرب رقم ٧٣) ، وزارة الثقافة ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ١٩٦٨م.
❖ الخضري: محمد بك.
١٧٤- محاضرات في تأريخ الأمم الإسلامية ، الدولة العباسية ، مؤسسة المختار للتوزيع والنشر، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
❖ الدوري : عبد العزيز .
١٧٥- النظم الإسلامية ، بيت الحكمة ، بغداد ، ١٩٨٩م.
❖ دوزي : رينهارت .
١٧٦-المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، ترجمة أكرم فاضل ، سلسلة المعاجم ، وزارة الإعلام، مديرية الثقافة العامة، بغداد، ١٩٧١م.

❖ ديمومبين : موبيس غ .
١٧٧- النظم الإسلامية ، نقله عن الفرنسية ، صالح الشماع وفيصل السامر، مطبعة الزهراء، بغداد ، ١٩٥٢م.
❖ ربيع : حسنين محمد .
١٧٨- النظم المالية في مصر زمن الأيوبيين ، مطبعة جامعة القاهرة ، ١٩٦٤م.

❖ الرحيم : د. عبد الحسين مهدي .

١٧٩-العصر العباسي الأول (المؤهلات والانجازات) ، دار الكتب الوطنية ، بنغازي ، ليبيا ،٢٠٠٢م.

❖ رزق : علاء طه .

١٨٠- عامة القاهرة في عصر سلاطين المماليك،ط١، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، دمياط ، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

❖ الرمادي : جمال الدين .

١٨١- الأمن والسلام في الإسلام (سلسلة أقرأ) ، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣م.

❖ الريس : محمد ضياء الدين .

١٨٢- الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية،ط٢، مكتبة

❖ رمزي : محمد .

١٨٣- القاموس الجغرافي للبلاد المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٥م.

❖ زامباور : أدوارد فون .

١٨٤- معجم الإنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، أخرجه زكي محمد حسن وحسن أحمد محمود ، جامعة فؤاد الأول، مصر ، ١٩٥١م.

١٨٥-الأنجلو المصرية ، القاهرة، ١٩٦١م.

❖ زيدان : جرجي.

١٨٦-تاريخ التمدن الإسلامي ، تعليق د. حسين مؤنس، دار الهلال للطباعة ، القاهرة، لات.

١٨٧-تاريخ مصر الحديث ، قدم له وفهرسه تطهير عبود، دار الجبل ، لبنان ، ١٩٨٤م.

❖ زكي : عبد الرحمن .

١٨٨-الأزهر وما حوله في الآثار ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة ، ١٩٧٠م.

١٨٩-موسوعة مدينة القاهرة في ألف عام ، مكتبة الأنجلو المصرية ، مصر ،١٩٦٩م.

١٩٠-هذه هي القاهرة ،ط١، مصر ،١٣٩٢هـ/١٩٤٣م.

١٩١-القاهرة ، تاريخيها وآثارها (٩٦٩هـ/١٨٢٥م) من جوهر القائد إلى الجبرتي المؤرخ ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة، ١٣٨٦هـ/١٩١٦م.

❖ أبو زيد : سهام مصطفى .

١٩٢- الحسيه في مصر الإسلامية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، ١٩٨٦م.

❖ سالم : السيد عبد العزيز.

١٩٣- المغرب الكبير ، الدار القومية ، الإسكندرية، مصر ، ١٩٦٦م .

١٩٤-المآذن المصرية (نظرة عامة عن اصلها وتطورها منذ الفتح العربي العثماني) ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٩٥٩م.

❖ سامح : كمال الدين.

١٩٥- العمارة الإسلامية في مصر (سلسلة الألف كتاب رقم٢٥٣) ، مكتبة النهضة المصرية ، مصر ، لات.

❖ السبحاني : جعفر .

١٩٦- المذاهب الإسلامية، ط١، مؤسسة الإمام الصادق،١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢ م.

١٩٧-المآذن المصرية. (نظرة عامة عن أصلها وتطورها منذ الفتح العربي حتى الفتح العثماني). الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، القاهرة، ١٩٥٩م.

❖ السجلات المستنصرية :

١٩٨-سجلات وتوقيعات وكتب لمولانا المستنصر بالله إلى دعاة اليمن وغيرهم قدس الله أرواح جميع المؤمنين ، تحقيق عبد المنعم ماجد، القاهرة ، دار الفكر العربي، ١٩٩٤م.

❖ سرور : محمد جمال الدين .

١٩٩-الدولة الفاطمية في مصر ، سياستها ومظاهرها الحضارة في عهد الدولة الفاطمية ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، لات.

٢٠٠-مصر في عهد الدولة الفاطمية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة، لات.

٢٠١-النفوذ الفاطمي في مصر والشام خلال القرنين الرابع والخامس بعد الهجرة ،ط٣، دار الفكر العربي ، بيروت ، ١٩٦٤م.

❖ سعد : أحمد صادق .

٢٠٢- تاريخ مصر الاجتماعي والاقتصادي (مصر الفرعونية- الهيلينية- الأمبراطورية الإسلامية الفاطمية في المغرب إلى مصر- المماليك) ،ط١، دار ابن خلدون ، بيروت ،١٩٧٩م.

❖ سليمان : أحمد السعيد.

٢٠٣- تأريخ الدولة الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة، دار المعارف، مصر ، ١٩٦٩م.

❖ سيمنوفا : ل . أ.

٢٠٤- تاريخ مصر الفاطمية (أبحاث ودراسات) ، ترجمة وتحقيق حسن بيومي ، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ،٢٠٠١م.

❖ سيد : أيمن فؤاد.

٢٠٥- تأريخ الدولة الفاطمية، تفسير جديد، الدار المصرية اللبنانية، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٢م.

٢٠٦-تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن حتى نهاية القرن السادس الهجري ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة، ١٩٨٨.

❖ شلبي : أحمد .

٢٠٧- موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، القاهرة ، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م .

❖ الشيال : جمال الدين.

٢٠٨-تاريخ مصر الإسلامية ، دار المعارف، ط٢، مصر ، ١٩٦٧م.

٢٠٩-دراسات في التاريخ الإسلامي ، دار الثقافة، بيروت ، لات.

٢١٠-مجموعة الوثائق الفاطمية، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، القاهرة ،١٩٦٥م.

❖ الشيرازي : محمد الموسوي .

٢١١- الفرقة الناجية ، تعريب وتحقيق فاضل الفراتي، ط٢، دار الأمين للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان ، بيروت، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

❖ الشوربجي : أمينه أحمد إمام .

٢١٢-رؤية الرحالة المسلمين للأحوال المالية والاقتتصادية لمصر في العصر الفاطمي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤م.

❖ الصالح : صبحي.

٢١٣- النظم الإسلامية نشأتها وتطورها ، دار العلم للملايين، ط٤، بيروت ، ١٩٧٨.

❖ الصليبي : محمد .

٢١٤- النفوذ في بلاد الشام في العصر العباسي .

❖ طوسون : عمر .

٢١٥-مالية مصر منذ عهد الفراعنة إلى الآن ، الإسكندرية ،١٩٣١م.

٢١٦-جغرافية مصر ، الهيأة العامة للكتاب، لات.

❖ عامر : د. فاطمة مصطفى .

٢١٧- تاريخ أهل الذمة في مصر الإسلامية (من الفتح العربي إلى نهاية العصر الفاطمي) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر ،٢٠٠٠م.

❖ العاملي : محسن عبد الكريم .

٢١٨- أعيان الشيعة ، تحقيق وإخراج حسن الأميني ، دار التعارف للمطبوعات . لات.

❖ العبادي : أحمد المختار .

٢١٩- في التاريخ العباسي والفاطمي ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، لات.

❖ عبد الله : صفي علي محمد .

٢٢٠- مدن مصر الصناعية في العصر الإسلامي إلى نهاية عصر الفاطميين ، سلسلة تاريخ المصريين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب رقم ١٩٦٩ ، القاهرة ، ٢٠٠٠م .

❖ عبد الوهاب : حسن .

٢٢١- تاريخ المساجد الأثرية ، القاهرة ، ١٩٤٦م .

❖ عفيفي : محمد إبراهيم عبد الله .

٢٢٢-مظاهر الحضارة في بلاد المغرب والقاهرة، القاهرة ، ١٩٨٠م.

❖ العقاد : عباس محمود .

٢٢٣- فاطمة الزهراء والفاطميون ، دار الهلال ، مصر ، لات.

❖ علي : إبراهيم .

٢٢٤- مصر في العصور الوسطى من الفتح العربي إلى الفتح العثماني ، مصر ، ١٣٩٧هـ/١٩٤٧م.

❖ عمارة : محمد .

٢٢٥- عندما أصبحت مصر عربية ، دراسة عن المجتمع المصري في العصر الفاطمي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧٤م.

❖ عنان : محمد عبد الله .

٢٢٦-الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية،ط٢، مطبعة لجنة التأليف، القاهرة، ١٩٥٩م.

٢٢٧-مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ، ١٣٥٠هـ/١٩٣١م.

❖ العلي : صالح أحمد .

٢٢٨- التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٦٩م.

٢٢٩-الخراج في العراق ، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٩٠م .

❖ غالب ، مصطفى .

٢٣٠-اعلام الإسماعيلية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٦٤.

❖ فايد : حامد عاشور .

٢٣١- العلاقات السياسية بين المماليك والمغول، دار المعارف، القاهرة ، ١٩٦٤م.

❖ فرج : فؤاد .

٢٣٢- المدن المصرية وتطورها مع العصور ، دار المعارف ، القاهرة، ١٩٤٦م.

❖ الفقي : عصام الدين عبد الرؤوف .

٢٣٣- معالم تأريخ الإسلام ، مكتبة الفلاح للتوزيع والنشر، الكويت ، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

❖ فكري : أحمد .

٢٣٤- مساجد القاهرة ومدارسها، العصر الفاطمي ، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٥م.

❖ فلوتن : فان.

٢٣٥- السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمية ، ترجمة من الفرنسية حسن إبراهيم حسن ومحمد زكي ،ط٢، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٥م.

❖ فهمي : عبد الرحمن محمد :

٢٣٦-فجر السكة العربية، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٦٥م.
٢٣٧-النقود العربية ماضيها وحاضرها ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للطباعة، ١٩٦٤م.
❖ قراعة : سنيه .
٢٣٨- تاريخ الأزهر في ألف عام ، مكتبة الصحافة الدولية ، القاهرة ، ١٩٦٨ م.
❖ القوصي : عطية .
٢٣٩- الحضارة الإسلامية ، دار الثقافة العربية ، القاهرة ، ١٩٥٨م.
❖ القيسي : ناهض عبد الرزاق .
٢٤٠-النقود في العراق ، مراجعة أ.د. عيسى سلمان ، منشورات بيت الحكمة ، بغداد ، ٢٠٠٢م.
٢٤١-موسوعة النقود العربية الإسلامية، دار أسامة للتوزيع والنشر، الأردن ، عمان ٢٠٠١م.
❖ كاهن : كلود .
٢٤٢-تاريخ العرب والشعوب الإسلامية منذ ظهور الإسلام حتى بداية الإمبراطورية العثمانية ، نقله إلى العربية د. بدر الدين القاسم ،ط٣، مطبعة الحقيقة،بيروت ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
❖ الكبيسي : حمدان .
٢٤٣- أصول النظام النقدي في الدولة الإسلامية، سلسلة الموسوعة التأريخية الميسرة،ط١، العراق،بغداد ، ١٩٨٨م.
❖ الكرملي : الأب انتستاس ماري .

٢٤٤- النقود العربية وعلم النيمات ، المطبعة العصرية ، القاهرة ، لات.

❖ الليثي : سميره مختار.

٢٤٥- جهاد الشيعة في العصر العباسي الأول ، دار الدجيل ، لبنان ،بيروت ،ط١٩٧٨،٢م.

❖ لين بول : ستانلي .

٢٤٦- سيرة القاهرة ، ترجمة حسن إبراهيم حسن وآخرون، مكتبة النهضة المصرية، مصر ، ١٩٥٠م.

❖ لويس، برناند .

٢٤٧- أصول الإسماعيلية والفاطمية والقرمطية، ترجمة أحمد جلو وآخرون ، دار الكتاب العربي ، مصر ، ١٩٤٧م.

❖ ماجد ، عبد المنعم .

٢٤٨-تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٣م.

٢٤٩-ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها في مصر (التأريخ السياسي) ، دار المعارف ، الإسكندرية ،١٩٦٨م.

٢٥٠-الحاكم بأمر الله الخليفة المفترى عليه ، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٩م .

٢٥١-نظم الفاطميين ورسومهم في مصر ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة، ١٩٥٣م .

❖ المازندرائي : السيد موسى الحسيني .

٢٥٢- العقد المنير فيما يتعلق بالدراهم والدنانير، مكتبة الصدوق ، ١٣٨٢هـ /١٩٦٢م .

❖ مايسه : محمد محمود.

٢٥٣- المسكوكات الفاطمية، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٩١م.

❖ مبارك : علي باشا .

٢٥٤- الخطط التوفيقية الجديد لمصر (القاهرة ومدنها وبلادها المشهورة) ، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق،ط١، مصر، ١٣٠٤هـ/١٩٢٨م.

❖ متز ، آدم .

٢٥٥- تاريخ الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ترجمة عبد الهادي أبو ريده، الدار التونسية للنشر ،تونس ، ١٩٨٦م.

❖ محاسنه : محمد حسين .

٢٥٦- تاريخ مدينة دمشق خلال الحكم الفاطمي ، الأوائل للنشر التوزيع والخدمات الطباعة، دمشق ، ٢٠٠١ م .

❖ محمد : سوادي عبد .

٢٥٧- دراسات في تاريخ المغرب في القرن الثالث الهجري حتى القرن العاشر ، الهجري، بغداد ، ١٩٨٩م.

❖ مرزوق : محمد عبد العزيز .

٢٥٨- مساجد القاهرة قبل المماليك ، مطبعة العطايا، مصر ، القاهرة ، ١٩٤٢م.

❖ مشرفة: مصطفى عطية .

٢٥٩- نظم الحكم بمصر في عهد الفاطميين (٣٥٨-٥٦٧هـ/٩٦٨-١١٧١م) ، دار الفكر العربي ،بيروت ، ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م.

❖ المعاضيدي : خاشع .

٢٦٠-الحياة السياسية في بلاد الشام خلال العصر الفاطمي ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٦م

❖ مغنية : محمد جواد .

٢٦١- فقه الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) (عرض واستدلال) ، مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر، إيران، ٢٠٠٠م.

٢٦٢-الشيعة في الميزان ، مؤسسة دار الكتاب الإسلامية. ٢٠٠٥م.

❖ منيمنه : حسن.

٢٦٣- دراسات في التاريخ العباسي (تاريخ الدولة البويهية السياسي والاقتصادي والثقافي) ، الدار الجامعة ، القاهرة، ١٤٧٠هـ/١٩٨٧م.

❖ موسى : لقبال محمد .

٢٦٤- دور قبيلة كتامة في تاريخ الدولة الفاطمية ، القاهرة، مطبعة الجامعة ، ١٩٧٤م .

❖ المناوي : محمد حمدي .

٢٦٥-الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي، دار المعارف ، مصر ، لات.

٢٦٦-النقود والمكابيل والأوزان.

❖ مؤنس : حسين .

٢٦٧-المساجد ، عالم المعرفة ، الكويت ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٢٦٨-أطلس الإسلام ، مصر ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

❖ ناجي : عبد الجبار .

٢٦٩- دراسات في المدن العربية الإسلامية ، مطبعة جامعة البصرة ، البصرة ، ١٩٨٦م.

❖ النخيلي : درويش .

٢٧٠- السفن الإسلامية على حروف المعجم ، مطبعة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٧٤م.

❖ هوبكنز : ج ف ب .

٢٧١- النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى، تعريب أمين توفيق الطيبي ، الشركة الجديدة للطباعة والصحافة والنشر، ١٩٨٠م.

❖ وجدي : محمد فريد .

٢٧٢-دائرة معارف القرن العشرين ، دار الفكر . لات.

ثالثا : **الرسائل الجامعية** :

❖ أحمد : أميرة إبراهيم .

١- الأوضاع الإدارية والاقتصادية في الدولتين الفاطمية والأيوبية ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، القاهرة، كلية الآداب، ١٩٩٥م.

❖ الحدراوي : وسيم عبود عطية .

٢- الحاكم بأمر الله (٣٨٦-٤١١هـ/٩٩٦-١٠٢٠م) ، دراسة في سياسته الداخلية والخارجية ، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة إلى كلية الإدارة ، جامعة الكوفة ، ٢٠٠٤م .

❖ السعدي : امل عبد الحسين .

٣-الصيرفة والجهبذ في العراق في القرن الثاني إلى نهاية القرن الرابع الهجري ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة بغداد،١٩٨٥م.

❖ الطيار : هيفاء عاصم محمد .

٤- مدينة القاهرة خلال عصر الخلافة الفاطمية (٣٥٨-٥٦٧هـ/٩٨٦-١١٧١م) دراسة في النظم السياسية والمعالم الحضارية ،أطروحة دكتوراه غير منشورة ، الجامعة المستنصرية، المعهد العالي ، ٢٠٠٥م .

❖ الفاضلي : خولة عيسى صالح .

٥-الرقابة الإدارية والمالية للدولة العربية الإسلامية، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٩٨٥م .

❖ محمد أمين : وسن سمين.

٦- الحياة السياسة في الحجاز خلال العصر الفاطمي (٣٥٨-٥٦٧هـ/٩٦٨-١١٧١م) ، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية التربية /ابن الرشد ، ٢٠٠٦م .

❖ مال الله : حيدر لفتة سعيد .

٧- المعز لدين الله الفاطمي وأثره في المغرب ومصر (٣٤١هـ-٣٦٥هـ/ ٩٥١-٩٧٥م) رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الكوفة، كلية الآداب، ٢٠٠٥م .

رابعا: **الدوريات** (**الأبحاث المنشورة**) :

❖ الجنحاني : حبيب .

١- عالم المعرفة ، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت، مجلة المجتمع الإسلامي، الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، العدد ٣١٩ لسنة ١٩٩٠م.

❖ الخشاب : يحيى السيد الباز العريني .

٢- ضبط وتحقيق الألفاظ الاصطلاحية- التاريخية الواردة في كتاب مفاتيح العلوم الخوارزمي ، (المجلة التاريخية المصرية) لسنة١٩٥٨ .

❖ عبد الرزاق ، ناهض.

٣- دوافع وأسباب تعريب المسكوكات،مجلة المسكوكات ، إصدار وزارة الثقافة والإعلام العراقية ، العددان ١٠ و ١١ لسنة ١٩٧٩ – ١٩٨٠ م.

❖ زكي : عبد الرحمن .

٤- نشأة القاهرة وامتدادها في أيام الأيوبيين (القاهرة في أيام الفاطميين -٩٦٩/١١٧١م) ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الثامن عشر ، لات.

❖ الشيال : جمال الدين .

٥- أول أستاذ لأول مدرسة في الإسكندرية الإسلامية، مجلة كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية.

❖ القزاز : وداد .

٦- الدرهم العباسي في زمن الخليفتين المهدي والهادي ، مجلة سومر ، العدد ١٠ ، لسنة ١٩٦٤م.

❖ حسن : علي إبراهيم .

٧- عظمة الفاطميين ، مجلة الكتاب صادرة عن دار المعارف بمصر ، المجلد ٣ ، لسنة ١٣٦٩هـ/١٩٤٩م.

❖ الشيال : جمال الدين .

٨- نظام الوزارة في العصر الفاطمي ، مجلة الثقافة المصرية ، العدد ٦٣٨ ، لسنة ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م .

❖ عاشور : سعيد عبد الفتاح.

٩- المنصور الفاطمي ، مجلة البيان، العددان (٤٢-٤٣) ، النجف الأشرف، لسنة ١٩٤٨م.

❖ عبد الوهاب : حسن .

١٠- العمارة الإسلامية في العصر الفاطمي ، مجلة المعارف المصرية ، العدد ٦٠٠ ، لسنة ١٩٤٠م.

❖ عنان : محمد عبد الله .

١١- الوزير ابن كلس واضع الحجر الأول في صرح الجامعة الأزهرية، مجلة الرسالة المصرية ، العدد ١٣٦، لسنة ١٩٣٦م.

❖ لقبال : موسى .

١٢- دور قبيلة كتامة في الدولة الفاطمية، مجلة الثقافة الجزائرية ، العدد ١٢ ، لسنة ١٩٧٣م.

❖ الصاوي : أحمد حسن .

١٣- أمير الجيوش بدر الجمالي ، مجلة الثقافة المصرية العددان ٦٣٠ و ٦٣٢ ، لسنة ١٣٧٠هـ/١٩٥١م .

❖ العابد : صالح .

١٤- الحروب الصليبية دوافعها وبواعثها الممهدة ، مجلة المورد العراقية ، المجلد ١٦ ، العدد ٤ ، بغداد ، لسنة ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.

❖ نصر الله : محمد علي .

١٥- قيام الدولة الفاطمية وبرنامجها السياسي،مجلة البلاغ ، صادرة عن الجمعية الإسلامية للخدمات الثقافية،العدد ٥، العراق، لسنة ١٩٧١م .

❖ عماره : محمد .

١٦- القاهرة ، في العصر الفاطمي ، مجلة الطليعة ، القاهرة، العدد ٢ لسنة ١٩٦٩ .

❖ مجلة أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة ، لسنة ١٩٦٩م ، إصدار وزارة الثقافة والإعلام ، مطبعة دار الكتب ١٩٦٩م .

خامسا: **المصادر الأجنبية** :

❖ W. lavnow .

1- The Organization of the Fatimid Propagate, Vol.15, JBBRAS, 1939.

❖ Dozy, R.

2- Supplement aux dictionannairesm Leyden, Vol,1, 1881.

❖ Khen , G .

3- Arabic Legal and Administrative in the Cambridge , Genize Collections .

❖ R.L. Devonshirs .

4- L'Egypte Muslmane at Les Fondeteurs de ses Monuments .

❖ Cahen , CI .

5- L'administration Financiere de L'atimide Fatimide BdI-II Leiden, 1943 .

❖ R.Grasshoff, Die .

6- Suftaga und Hawala der Araber dur . Dissert Konigsberg,1899.

❖ Goitein , S. D .A. Meditranean Society.

7- The Jewish Communities of the Arab World as Portrayed in the Douments of the Cairo Geniza.

❖ Henri Lavoix .

8- Catalogue des Monnaies Muslmanes Egupte Syrie, Paris ,1896.

❖ Lamce – Pool (Staniey) .

9- Arabic Coins.

10- History of Egypt in the Middle Agues, London, 1936.

❖ O'Leary .

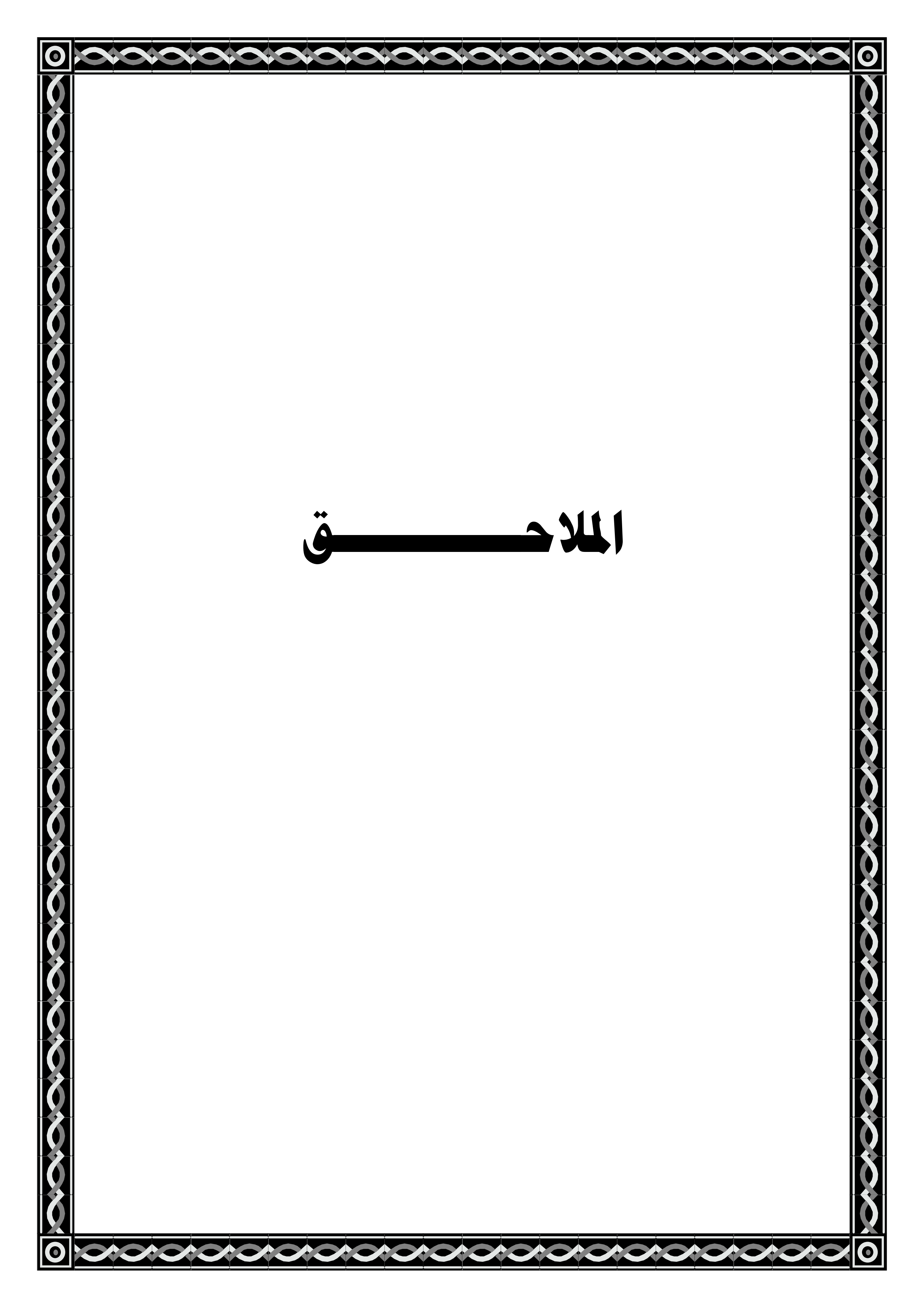
11- A Short History of the Fatimid Caliphate London, 1933 .

❖ Chamder (Albert).

12- Encyclopedia of Islam, New Edition, Vol.11, Leiden,1960.

❖ Zambaur.

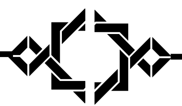
13- Maunl de Genealogic Chronologie pour Ihistoito de I'Islam (Hanover1927) .



الملاحــــــــــــق

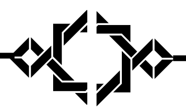
ملحق رقم (١)

نقلا عن : مؤنس ، حسين ، اطلس الاسلام



تابع ملحق رقم (١)

نقلاً عن : مؤنس ، حسين ، اطلس الاسلام



ملحق رقم (٢)

الخاص بضريبة المحاصيل

اسم المحصول	الضريبة على الفدان بالأردب	الضريبة بالدينار
القمح والشعير	٣	
الفول	٣-٢.٥	
الحمص والجلبان والعدس	٢.٥	
قطيعة الكتان		٥-٣
الفرط		١
البصل والثوم		٢
قطيعة الترمس		١.٢٥
البطيخ الأصفر والأخضر		١-٢
اللوبياء		٣
السمسم		١
القطن		١
قصب السكر (إن كان رأساً) (ان كان خلقه)		٥ ٥.٢٠ قراريط
القلقاس		٤
الباذنجان		٣
السمسم النيلي	١-٥	
النيلة		٣
الفجل		٢
اللفت		١
الخس		٢
الكرمب		٢
البصل		٢
الشجر والكرم		٣
القصب الناري		٣

ملحق رقم (٣)

الأمان الذي قطعه ، جوهر لأهل مصر

نورد نص العهد الذي قطعه جوهر على نفسه لأنه يمدنا بوصف تام لحالة العالم الإسلامي وقت الفتح الفاطمي، حيث يرسم لنا صورة واضحة للسياسة التي عول عليها الفاطميون على الأخذ بها من الوجهة السياسية والدينية في مصر خاصة والشرق عامة. ولأن الأمان اشتمل على عدد من القضايا وحدد العديد من الحالات ومنها المالية لذا وجدنا من المناسب ورده ليتسنى لنا الوقوف على السياسة العامة للفاطميين حيال المصريين.

"بسم الله الرحمن الرحيم: -هذا كتاب من جوهر الكاتب عبد أمير المؤمنين المعز لدين الله، لجماعة أهل مصر الساكنين بها (من أهلها) ومن غيرهم، أنه قد ورد من سألتموه التوسل والاجتماع معي، وهم: أبو جعفر مسلم الشريف أطال الله بقائه، وأبو إسماعيل الرسي أيده الله، وأبو الطيب الهاشمي أيده الله، وأبو جعفر بن نصر أعزه الله، والقاضي أعزه الله: وذكروا عنكم انكم التمستم كتاباً يشتمل على أمانكم في أنفسكم وأموالكم وبلادكم وجميع أحوالكم. فعرفتم ماتقدم به أمر مولانا وسيدنا أمير المؤمنين صلوات الله عليه. وحسن نظره لكم، فلتحمدوا الله على مأولاكم وتشكروه على ماحماكم، وتدأبوا فيما يلزمكم، وتسارعوا إلى طاعته العاصمة لكم العايدة بالسعادة عليكم وبالسلامة لكم. وهو أنه لم يكن إخراجه للعساكر المنصورة والجيوش المظفرة إلا لما فيه إعزازكم وحمايتكم والجهاد عنكم.

إذ قد تخطفتكم الأيدي واستطال عليكم المبتذل وأطعمته نفسه بالاقتدار على بلدكم في هذه السنة والتغلب عليه وأسر من فيه والأضواء على نعمكم وأموالكم حسب مافعله في غيركم من أهل بلدان الشرق وتأكد عزمه واشتد فعاجله مولانا وسيدنا أمير المؤمنين بإخراج العساكر المنصورة، وبادره بإنقاذ الجيوش المظفرة دونكم ومجاهدته عنكم وعن كافة المسلمين ببلدان الشرق الذين عنهم الخزي وشملتهم الذلة واكتنفتم المصايب وتتابعت الرزايا واتصل عندهم الخوف وكثرت استغاثتهم وعظم ضجيجهم وعلا صراخهم، فلم يغثهم إلا من أرمضه أمرهم ومضه حالهم وأبكى عينه ما نالهم. وأسهرها ماحل بهم. وهو مولانا وسيدنا أمير المؤمنين، فرجا

بفضل الله عليه وإحسانه لديه، وما عوده وأرجاه عليه، استنقاذ من أصبح منهم في ذل مقيم وعذاب أليم.

وان يؤمن من استولى عليه المهل ويفرغ ورع من لم يزل في خوف ووجل. وآثر إقامة الحج الذي تعطل وأهمل العباد فروضه حقوقه لخوف المستولى عليهم، إذا لايؤمنون على أنفسهم ولا على أموالهم، واذ قد أوقع بهم مرة بعد أخرى، فسفكت دماؤهم وابتزت أموالهم مع اعتماد ماجرت به عادته من إصلاح الطرقات وقطع عبث العابثين فيها، ليطرق الناس آمنين ويسيروا مطمئنين ويتحفوا بالأطعمة والأقوات، إذ كان قد انتهى اليه انقطاع طرقاتها لخوف مارتها، إذ لا زاجر للمعتدين ولا دافع للظالمين.

ثم تجويد السكة وصرفها إلى العيار الذي عليه السكة الميمونة المنصورية المباركة وقطع الغش منها.

إذ كانت هذه الثلاث خصال هي التي لايتسع لمن ينظر في أمور المسلمين الا إصلاحها واستفراغ الوسع فيما يلزمه منها، وما أوعز به سيدنا ومولانا أمير المؤمنين إلى عبده من نشر العدل وبسط الحق وحسم الظلم وقطع العدوان ونفي الأذى ورفع المؤن والقيام في الحق، وإعانة المظلوم مع الشفقة والإحسان، وجميل النظر وكرم الصحبة ولطف العشرة واقتفاء الأموال وحياطة أهل البلد في ليلهم ونهارهم وحين تصرفهم في أوان ابتغاء معاشهم حتى لاتجري أمورهم إلا على ما لم شعثهم وأقام أودهم وجمع قلوبهم وألف كلمتهم على طاعة "وليه" مولانا وسيدنا أمير المؤمنين بإثباتها عليكم.

وإن أجبركم في المواريث على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، واضع ماكان يؤخذ من تركات موتاكم لبيت المال من غير وصية من المتوفي بها، فلا استحقاق لمصيرها لبيت المال، وان أتقدم في رمم مساجدكم وتزيينها بالفرش والإيقاد، وان أعطي مؤذنيها وقومتها ومن يؤم الناس فيها أرزاقهم، وأدرها عليهم ولاأقطعها عنهم ولا أدفعها إلا من بيت المال، لا بإحالة على من يفيض منهم، وغيرها ماذكرها مولانا وسيدنا أمير المؤمنين، مما ضمنه كتابه هذا من ترسل عنكم أيدهم الله وصانكم أجمعين بطاعة مولانا وسيدنا أمير المؤمنين.

من أنكم ذكرتم وجوهاً التمستم ذكرها في كتاب أمانكم فذكرتها إجابة لكن وتطميناً لأنفسكم فلن يكن في ذكرها معنى ولا في نشرها فائدة، إذ كان الإسلام سنة واحدة وشريعة متبعة وهي إقامتكم على مذهبكم وأن تتركوا على ماكنتم عليه من أداء المفروض في العلم والاجتماع عليه في جوامعكم ومساجدكم وثباتكم على ماكان عليه سلف الأمة من الصحابة "رض" والتابعين بعدهم. وفقهاء الأمصار الذين جرت الأحكام بمذاهبهم وفتواهم، وان يجري الأذان والصلاة وصيام شهر رمضان وفطرة وقيام لياليه والزكاة والحج والجهاد على مأمر الله في كتابه ونصه نبيه (صلى الله عليه وآله في سنته) وأجرى أهل الذمة على ماكانوا عليه، ولكم على أمان الله التام العام الدائم المتصل الشامل الكامل المتجدد المتأكد على الأيام وكرور الأعوام في أنفسكم وأموالكم وأهليكم ونعمتكم وضياعكم ورباعكم وقليلكم وكثيركم.

وعلى انه لايعترض عليكم معترض ولايتجنى عليكم متجنٍ ولا يتعقب عليكم متعقب، وعلى انكم تصانون وتحفظون وتحرسون ويذب عنكم ويمنع منكم فلا يتعرض أذاكم ولا يسارع أحد في الاعتداء عليكم ولا في الاستطالة على قويكم فضلاً عن ضعيفكم.

وعلى ألا أزال مجتهداً فيما يعمكم صلاحه ويشملكم نفعه، ويصل إليكم خيره وتتعرفون ببركته وتغتبطون معه بطاعة مولانا وسيدنا أمير المؤمنين.

ولكم على الوفاء بما التزمته واعطيتكم إياه، عهد الله وغليظ ميثاقه وذمته وذمة أنبيائه ورسله وذمة الأئمة موالينا أمراء المؤمنين وذمة مولانا وسيدنا أمير المؤمنين المعز لدين الله، فتصرحون بها وتعلنون بالإنصراف اليها، وتخرجون إليّ وتسلمون عليّ وتكونون بين يدي إلى أن أعبر الجسر وأنزل في المناخ المبارك، وتحفظون وتحافظون من بعد على الطاعة وتثابرون عليها وتسارعون إلى فروضها، ولاتخذلون ولياً لمولانا وسيدنا أمير المؤمنين، وتلتزمون ما أمرتم به، وفقكم الله وأرشدكم أجمعين"[١].

ملحق رقم (٤)

---

[١] المقريزي، اتعاظ الحنفا، ص٦٧-٧٠.

الخاص بسجل الوقف الذي وقف بمقتضاه الحاكم بأمر الله بعض أملاكه بمصر والقاهرة ، على الجامع الأزهر ودار الحكمة وبعض المساجد الأخرى

((هذا كتاب اشهد قاضي القضاة مالك بن سعيد بن مالك الفارقي على جميع ما نسب إليه مما ذكر ووصف فيه من حضر من الشهود ، في مجلس حكمه وقضائه بفسطاط مصر في شهر رمضان سنة أربعمائة ، أشهدهم وهو يومئذ قاضي عبد الله ووليه المنصور أبي على الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين بن الإمام العزيز بالله صلوات الله عليهما، على القاهرة المغرية ومصر الإسكندرية والحرمين حرسهما الله واجناد الشام والرقة ونواحي المغرب وسائر أعمالهن وما فتحه الله ويفتحه لأمير المؤمنين ، من بلاد الشرق والغرب، بمحضر رجل متكلم، أن صحت عنده معرفة المواقع الكاملة والحصص الشائعة، التي يذكر جميع ذلك ويحدد هذا الكتاب، وإنها كانت من أملاك الحاكم إلى أن حبسها على الجامع الأزهر بالقاهرة المحروسة والجامع براشده والجامع بالمقس اللذين أمر بأنشائهما وتأسيس بنائهما ، وعلى دار الحكمة بالقاهرة المحروسة ، مشاعاً جميع ذلك غير مقسوم ومنها ما يخص الجامع بالمقس على شرائط يجري ذكرها ، فمن ذلك ما تصدق به على الجامع الأزهر بالقاهرة المحروسة والجامع براشده ودار الحكمة بالقاهرة المحروسة، جميع الدار المعروفة بدار الضرب وجميع القيسارية المعروفة بقيسارية الصوف وجميع الدار المعروفة بدار الخرق الجديدة ، الذي كله بفسطاط مصر بالراية، في جانب الغرب من الدار المعروفة كانت بدار الخرق، وهاتان الداران المعروفتان بدار الخرق في الموقع المعروف بحمام الفار، ومن ذلك جميع الحصص الشائعة من أربعة الحوانيت المتلاصقة التي بفسطاط مصر بالراية أيضاً بالموضع المعروف بحمام الفار وتعرف هذه الحوانيت بحصص القيس ، بحدود ذلك كله وأرضه وبنائه وسفله وعلوه وغرفه ومرتفعاته وحوانيته وساحاته وطرقه وممراته ومجاري مياهه وكل حق له هو له داخل فيه وخارج عنه ، وجعل ذلك كله صدقة موقوفة محرمة محبسة بته لا يجوز بيعها ولا هبتها ولا تمليكها ، باقية على شروطها جارية على سبلها المعروضة في هذا الكتاب ، ولا يوهنها تقادم السنين ولا تغير بحدوث حدث ، ولا يستثنى فيها ولا يتأول

ولا يستفتى يتجدد تحييسها مدى الأوقات ، وتستمر شروطها على اختلاف الحالات ، حتى يرث الله الأرض والسماوات ، على أن يؤجر ذلك في كل عصر من ينتهي إليه ولايتها ويرجع إليه أمرها ، بعد مراقبة الله واجتلاب ما يوفر منفعتها ، من أشهدها عند ذوي الرغبة في إجارة أمثالها ، فيبتدئ من ذلك بعمارة ذلك على حسب المصلحة وبقاء العين وحرقته من غير إجحاف بمن حبس ذلك عليه ، وما فضل كان مقسوماً على ستين سهماً ، فمن ذلك لجامع الأزهر بالقاهرة المحروسة المذكور في هذا الاستشهاد الخمس والثمن ونصف السدس ونصف التسع ، يصرف ذلك فيما فيه عمارة له ومصلحة وهو من العين المعزي الوازن ألف ألف دينار واحدة وسبع وستون دينار ونصف دينار وثمن دينار ، من ذلك للخطيب بهذا الجامع أربعة وثمانون دينار دون ذلك لثمن ألف ذراع حصر عبدانية تكون عده له بحيث لا ينقطع من حصره عند الحاجة إلى ذلك لثمن ثلاثة عشر ألف ذراع حصر مظفوره لكسوة هذا الجامع في كل سنة عند الحاجة إليها مائة دينار واحدة وثمانية دنانير ، ومن ذلك لثمن ثلاثة قناطير زجاج وفراضها أثنا عشر ديناراً ونصف وربع دينار، ومن ذلك لثمن عود هندي للبخور في شهر رمضان وأيام الجمع مع ثمن الكافور والمسك وأجرة الصانع خمسة عشر ديناراً ، ومن ذلك لنصف قنطار شمع بالفلفلي سبعة دنانير ، ومن ذلك لكنس هذا الجامع ونقل التراب وخياطة الحصر وثمن الخيط وإبرة الخياطة خمسة دنانير ، ومن ذلك لثمن مشاقة لسرج القناديل عن خمسة وعشرين رطلاً بالرطل الفلفلي دينار واحد، ومن ذلك الثمن فحم للبخور عن قنطار ولحد بالفلفلي نصف دينار ، ومن ذلك لثمن إردبين ملحاً للقناديل ربع دينار ، ومن ذلك ما قدر لمؤنة الناس والسلاسل والتتانير والقباب التي فوق سطح الجامع أربعة وعشرون ديناراً ، ومن ذلك لثمن سلب ليف وأربعة أحبل وست دلاء ادم نصف دينار ، ومن ذلك لثمن قنطارين خرقاً لمسح القناديل نصف دينار، ومن ذلك لثمن عشر خفاف للخدمة وعشرة أرطال قنب لتعليق القناديل ولثمن مائتي مكنسة لكنس هذا الجامع دينار واحد وربع دينار ، ومن ذلك لثمن أزيار فخار تنصب على المصنع ويصب فيها الماء مع أجرة حملها ثلاثة دنانير، ومن ذلك لثمن زيت وقود هذا الجامع راتب السنة ألف رطل ومائتا رطل مع أجرة الحمل سبعة وثلاثون ديناراً

ونصف ومن ذلك لأرزاق المصلين يعني الأئمة وهم ثلاثة وأربعة قومة وخمسة عشر مؤذناً وخمسمائة دينار وستة وخمسون دينار ونصف ، منها للمصلين ولكل رجل منهم ديناران وثلثا دينار في كل شهر من شهور السنة ، والمؤذنين والقومه لكل رجل منهم ديناران في كل شهر ، ومن ذلك للمشرف على هذا الجامع في كل سنة أربعة وعشرون ديناراً ومن ذلك لكنس المصنع بهذا الجامع ونقل ما يخرج منه من الطين والوسخ دينار واحد، ومن ذلك لمرمه ما يحتاج إليه في هذا الجامع من سطحه واترابه وحياطنه وغير ذلك مما قدر لكل سنة ستون ديناراً ، ومن ذلك لثمن مائة وثمانين حمل تبن ونصف حمل جارية لعلف رأسي بقر للمصنع الذي لهذا الجامع ثمانية دنانير ونصف وحمل تبن ونصف حمل ذلك لتبن المخزن يوضع فيه بالقاهرة أربعة دنانير ، من ذلك لثمن فدانين قرط لتربيع رأسي البقر المذكورين في السنة سبعة دنانير ، ومن ذلك لأجرة متولي العلف وأجرة السقا والحبال والقواويس وما يجري مجرى ذلك خمسة عشر ديناراً ونصف، ومن ذلك لأجرة قيم الميخاة إن عملت بهذا الجامع أثنا عشر ديناراً ، وإلى هذا أنقضى حديث الجامع الأزهر ، وأخذ في ذكر جامع راشدة ودار العلم وجامع المقس ثم ذكر أن تناثر الفضة ثلاثة تتانير وتسعة وثلاثين قنديلاً ، ومنها لجامع راشدة تنور وأثنا عشر قتديلاً ، وشرط أن تتعلق في شهر رمضان وتعاد إلى مكان جرت عادتها أن تحفظ به ، وشرط شروطاً كثرة في الأوقاف منها إذا فضل شيء اجتمع يشتري به ملك فإذا عاز واستهدم ولم يف الربع بعمارنه بيع وعمر ن وأشياء كثيرة ، وحبس ابظاء عدة أدر وقياسر لا فائدة من ذكرها فأنها مما ضربت بمصر)) [1]

ملحق رقم (٥)
الخاص برسم المكس

الرسم (المكس)	مقدار الحصيلة بالدينار (العمولة)

[1] المقريزي ، الخطط ، ج٢ ، ص٢٣٠ -٢٣٢ .

مقدار الحصيلة بالدينار (العمولة)	الرسم (المكس)
٣٣.٣٦٤	-البهار
٩.٣٥٠	-البضائع والقوافل
٥.١٩٣	-منفلت الصناعة عن البز الوارد اليها
٦.٦٦٦	-منفلت الصناعة عن البز الصادر منها
٣.١٠٨	-الأسواق المختلفة (سوق الغنم والدواب والسمك والرقيق)
٠.٦٧٦	-رسم الخشب الطويل والملح
٠.١٠٠	-رسم الفلت المنسوبة إلى بلبيس والبوري
٢.٢٠٠	-فندق القطن
٣.٣١١	-سوق الغنم بالقاهرة ومصر والجيزة
١.٢٠٠	-عبور الأغنام والكتان والأبقار بالقنطرة
٠.٢٠٠	-الكتان الحطب الوارد للصناعة
٦.٠٠٠	-رسم واجب الغلات كالحبوب الواردة إلى الصناعة والمقس والمنية والجسر والتبانين ومقالت جزيرة الذهب وطموية ومنية السيرح
٠.٣٦	-مايرد إلى الصناعة من الأغنام
٠.١٢	-الأغنام البيتونية
١.٩٠	-العرصة والسرسناوي والجيزة ومكس الأغنام
٤.١٦٠	-منفلت الفيوم عما يرد من الكتان من القبلة ومن البضائع الواردة
٠.٢٠٠	-الورق إلى الصناعة
٠.٧٦٨	-رسم التفتيش بساحل الغلة والأقوات والرسائل
٠.٢٠٠	-منفلت العريف بالبضاعة الصادرة
١.٧٠	-دار التفاح والرطب بمصر والعرصة بالقاهرة
٠.٢٠٠	-رسم ابن المليجي
٠.٢٤٠	-مشارفة الجزارين
١.٠٠٠	-وارد الجبن
١.١٦١	-منفلت الصعيد
١.٠٢٠	-الحلي الواردة من الوجه البحري
٠.٢٠٠	-مكس الصوف
١.٥٠٠	-خاتم الشرب والديبقي
٠.٣٥٠	-دكة السمسار
٠.١٤	-نصف المورود بساحل المكس
٠.١٢٥	-الحلفاء الواردة من القبلة (الحصر)
٠.١٦	-منفلت التعريف بالصناعة وحملة البهار
٠.٦٠	-رسوم الصفراء والحمراء ورسوم دار الكتان
٠.٣٥	-الوتد الشرقية والطعم بدار التفاح ومنفلت القبلة بالنباين والجسر

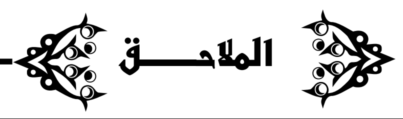
الرسم (المكس)	مقدار الحصيلة بالدينار (العمولة)
-الحناء	٠.٨٠٠
-حماية الغلات بدار المقس ودار الجبن	٠.١٤٠
-الحلفاء الواردة على الجسر معدية المقياس	٠.١٠٠
-خمس البونية بالجزيرة	٠.٢٠
-تل التعريف بالبضاعة	٠.٢٨
-منفلت الغلات بمعدية جزيرة الذهب	٠.١٠
-رسم الحمام بساحل الغلة	٠.٥٣٤
-واجب الحلفاء والقضاب	٠.٦٣
-مكس مايرد من البضائع إلى المنية	٠.١٨٤
-مساحة شطانوف البرانية	٠.٢٠٠
-سوق السكرين	٠.٥٠
-الخل الحامض	٠.٤٠٥
-رسوم شبه الجعلي بالشارع وسوق وردان	٠.١٩
-بيوت الغزل	٠.٣٥٠
-معدية الجسر بالجيزة	٠.١٢٠
-زريبة الذبيحة	٠.٧٠٠
-سمة البقرى	٠.٤٠
-السمة بدار الدباغ	٠.١٩
-الفاخوريات بالقاهرة ومصر	٠.٢٣٦
-سمسرة الحبس الجيوش	٠.٣١٢
-دكان الدهن ومعصرة السيرج والخل بالقاهرة	٠.٥٠٠
-بيوت الغزل والمسطبة	٠.٣٥٠
-رسوم الدلالة	٠.٣٠٠
-سوق السمك بالقاهرة ومصر	١.٢٠٠
-ذبائح الأبقار	١.٠٠٠
-سمسرة الكتان	٠.٣٠٠
-رسوم صحابة الصناعيين	٠.٤٠٠
-مربعة العسل	٠.٢٣٢
-خاتم الشمع بالقاهرة	٠.٣٦٠
-مكس دكة الديباغ	٠.٨٠٠
-سوق الرقيق	٠.٥٠٠
-معمل الطبرى	٠.٢٤
-سوق منبويه	٠.٨٦٤
-ذبائح الضأن بالجيزة ورسوم ساحل السنط	٠.١٠
-شخ السمك	٠.٥

الرسم (المكس)	مقدار الحصيلة بالدينار (العمولة)
-تنور الشوف	٠.٢٠٠
-نصف الرطل من بطائح السكر	٠.١٣٥
-خاتم الحلي	٠.١٢٠
-سوق الدواب بالقاهرة ومصر	٠.٤٠٠
-سوق الجمال	٠.٢٥٠
-قبالة الحناء	٠.٣٠
-واجب طاقات	٠.٣٦
-منفلت الخام بالفشاشين	٠.٣٣
-أنسولة القصار	٠.٤٠
-أعوان المراكب المنشأة والخضر	٠.٣٦
-بيوت الفروج	٠.٣٠
-الشعر والطارات	٠.٤
-رسم الضيع والحرير	٠.٣٣٤
-وزن الطفل	٠.١٤٠
-معمل الموز	٠.٨٤

* –المقريزي ، الخط ، ج ١، ص ١٠٤ – ١٠٥

ملحق رقم (٦)

أدناه جدولاً مفصلاً عن الوزراء في عهد الخلفاء الفاطميين مثبتين أزاء كل واحد منهم مدة حكمهم:–



*الخليفة العزيز بالله ٣٦٥-٣٨٦/٩٧٦-٩٩٦م	
١-يعقوب بن كلس	أول محرم ٣٦٧- شوال ٣٧٣هـ
٢-جبر بن القاسم	شوال ٣٧٣- محرم ٣٧٤هـ
٣-يعقوب بن كلس	محرم ٣٧٤- ذي الحجة ٣٨٠هـ
٤-علي بن عمر العداس	ذي الحجة ٣٨٠- محرم ٣٨٢هـ
٥-جعفر بن الفضل بن الفرات	٣٨٢- ٣٨٣هـ
٦-عيسى بن نسطورس	رمضان ٣٨٣- ٣٨٦هـ
*الخليفة الحاكم بأمر الله ٣٨٦-٤١١هـ/٩٩٦-١٠٢٠م	
٧-الحسن بن عمار	٣ شوال ٣٨٦-٢٧ شعبان ٣٨٧هـ
٨-أبو الفتوح برجوان	٢٧ شعبان ٣٨٧- ٢٦ ربيع الآخر ٣٩٠هـ
٩-الحسين بن جوهر	٣٠ جمادي الاولى ٣٩٠- ٧ شعبان ٣٩٣هـ
١٠-فهد بن إبراهيم (كان يعاون الوزير السابق)	٣ جمادي الأولى ٣٩٠-٨ جمادي الآخرة ٣٩٣هـ
١١-علي بن عمر الحداسي	٨ جمادي الآخرة ٣٩٣- رجب ٣٩٣هـ
١٢-صالح بن علي الروزياري	٧ شعبان ٣٩٨-١١ صفر ٤٠٠هـ
١٣-منصور بن عبدون	١١ صفر ٤٠٠-٤ محرم ٤٠١هـ
١٤-أحمد بن محمد الفشيري	٤ محرم ٤٠١-١٤ محرم ٤٠١هـ
١٥-زرعة بن عيسى بن نسطروس	محرم ٤٠١- صفر ٤٠٣هـ
١٦-الحسين بن طاهر الوزان	١٩ ربيع الأول ٤٠٣-جمادي الآخرة ٤١١هـ
١٧-الحسين وعبد الرحمن (أبناء أبي السيد)	شعبان ٤٠٥-١٥ شوال ٤٠٥هـ
١٨-الفضل بن جعفر بن الفرات	٢ ذي القعدة ٤٠٥-٦ ذي القعدة ٤٠٥هـ
١٩-علي بن جعفر بن فلاح	شوال ٤٠٦- ٤٠٩هـ
٢٠-صاعد بن عيسى بن نسطورس	شوال ٤٠٩- ذي الحجة ٤٠٩هـ
٢١-مسعود بن طاهر الوزان	ذي الحجة ٤٠٩-جمادي الآخرة ٤١١هـ
٢٢-عمار بن محمد	جمادي الآخرة ٤١١-واستمر إلى خلافة الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله
*الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله ٤١١-٤٢٧هـ/١٠٢٠-١٠٣٥م	

٢٣-عمار بن محمد	مستمر إلى ذي الحجة ٤١٢هـ
٢٤-موسى بن الحسين	محرم ٤١٣- ٢٠ شوال ٤١٣هـ
٢٥-المسعود بن طاهر الوزان	محرم ٤١٤-ذي الحجة ٤١٥هـ
٢٦-الحسن بن صالح الروزياري	٤١٦-٤١٨هـ
٢٧-علي بن أحمد الجرجرائي	١٢ ذي الحجة ٤١٨- واستمر حتى خلافة المستنصر بالله
*الخليفة المستنصر بالله ٤٢٧-٤٨٧هـ/١٠٣٦-١٠٩٤م	
٢٨-علي بن أحمد الجرجرائي	مستمر إلى ٦ رمضان ٤٣٦هـ
٢٩-الحسن بن علي الابناري	٦ رمضان ٤٣٦هـ-١٠ رمضان ٤٣٦هـ
٣٠-صدقة بن يوسف الفلاحي	١١ رمضان ٤٣٦-٤٣٩هـ
٣١-الحسين بن عماد الدولة الجرجرائي	٤٣٩- ١٥ شعبان ٤٤١هـ
٣٢-صاعد بن مسعود	شوال ٤٤١-٦ محرم ٤٤٢هـ
٣٣-الحسن بن علي اليازوري	٧ محرم ٤٢- ١ محرم ٤٥٠هـ
٣٤-عبد الله بن محمد البابلي	محرم ٤٥٠- ربيع الاول ٤٥٠هـ
٣٥-محمد بن جعفر بن الحسين الغربي	٢٥ ربيع الأول ٤٥٠- ٩ رمضان ٤٥٢هـ
٣٦-عبد الله بن محمد البابلي (ثانية)	٩ رمضان ٤٥٠-محرم ٤٥٣هـ
٣٧-عبد الله يحيى بن المدير	٣ محرم ٤٥٣- رمضان ٤٥٣هـ
٣٨-عبد الكريم بن سعيد الفارقي	رمضان ٤٥٣- محرم ٤٥٤هـ
٣٩-أحمد بن عبد الحاكم بن سعيد الفارقي	محرم ٤٥٤- ربيع الأول ٤٥٤هـ
٤٠- الحسين بن علي الماشلي	ربيع الأول ٤٥٤- ٢ شعبان ٤٥٤هـ
٤١-عبد الله البابلي (ثالثة)	شعبان ٤٥٤ – محرم ٤٥٥هـ
٤٢-أحمد بن عبد الكريم الفارقي	٤٥٥- ١٧ صفر ٤٥٥هـ
٤٣-عبد يحيى بن المدير (ثانية)	صفر ٤٥٥-١٩ جمادي الأولى ٤٥٥هـ
٤٤-عبد الظاهر بن العجمي	١٩ جمادي الاولى ٤٥٥- ٢٧ شعبان ٤٥٥هـ
٤٥-مجلي بن أسد بن كدينه	شعبان ٤٥٥- ٥ ذي الحجة ٤٥٥هـ
٤٦-أحمد بن عبد الكريم الفارقي (ثانية)	٥ ذي الحجة ٤٥٥- ٢٣ محرم ٤٥٦هـ
٤٧-المشرق بن أسعد بن عقيل	١٣ محرم ٤٥٦-٢٧ ربيع الآخر ٤٥٦هـ
٤٨-عبد الظاهر العجمي (ثانية٩	٢٧ ربيع الآخر ٤٥٦- رجب ٤٥٦هـ
٤٩-الحسين بن عماد الدولة الجرجرائي	رجب ٤٥٦- ٢٠ رمضان ٤٥٦هـ

(ثانية)	
٥٠-ابن كدينه (ثانية)	آخر رمضان ٤٥٦- ٤ ذي الحجة ٤٥٦هـ
٥١-الحسن بن إبراهيم التستري	٤ ذي الحجة ٤٥٦- منتصف محرم ٤٥٧هـ
٥٢-محمد بن محمد بن علي بن خلف	١٦ محرم ٤٥٧- ١٧ محرم ٤٥٧هـ
٥٣-ابن كدينة (ثالثة)	١٧ محرم ٤٥٧- ٢١ محرم ٤٥٧هـ
٥٤-محمد بن خلف (ثانية)	٢١ محرم ٤٥٧- منتصف ربيع الاول ٤٥٧هـ
٥٥-هبة الله محمد الرعياني	منتصف ربيع الأول ٤٥٧-آخر ربيع الاول ٤٥٧هـ
٥٦-ابن كدينه (رابعة)	ربيع الآخر ٤٥٧- منتصف رجب ٤٥٧هـ
٥٧-المشرق بن أسعد بن عقيل (ثانية)	منتصف رجب ٤٥٧-٢٠ شوال ٤٥٧هـ
٥٨-أبو الحسن علي بن الانباري	ذي القعدة ٤٥٧-ذي الحجة ٤٥٧هـ
٥٩-ابن كدينه (خامسة)	ذي الحجة ٤٥٧-٢٦ صفر ٤٥٨هـ
٦٠-هبة الله محمد الرعياني (ثانية)	٩ ربيع الآخر ٤٥٨- ١٦ ربيع الآخر ٤٥٨هـ
٦١-أحمد بن عبد الكريم الفارقي (الثالثة)	٤ جمادي الآخرة ٤٥٨-جمادي الآخرة عدة أيام
٦٢-الحسن بن علي محمد الماشلي	٤٥٨-٤٥٨هـ عدة أيام
٦٣-محمد بن علي بن خلف (ثالثة)	٤٥٨-٤٥٨هـ عدة أيام
٦٤-طاهر بن وزير	٤٥٨-٤٥٨هـ عدة أيام
٦٥-محمد بن حامد التنيسي	٤٥٨-٤٥٨هـ يوم واحد
٦٦-منصور بن مكرواه بن زنبور	٤٥٨-٤٥٨هـ عدة أيام
٦٧-ابن كدينه (سادسة)	٤٥٩-٤٥٩هـ عدة أشهر
٦٨-عبد الحاكم المليجي	٨ محرم ٤٥٩-٧ جمادي الآخرة ٤٥٩هـ
٦٩-ابن كدينة (سابعة)	٤٥٩-٤٥٩ عدة أيام
٧٠-عبد الحاكم المليجي (ثانية)	٤٥٩-٤٥٩ عدة أيام
٧١-ابن كدينه (ثامنة)	٤٥٩-٢٨ ذي القعدة ٤٥٩هـ
٧٢-أحمد عبد الكريم الفارقي (رابعة)	٢٨ ذي القعدة ٤٥٩-٤٥٩هـ عدة أشهر
٧٣-ابن كدينه (تاسعة)	محرم ٤٦٠- صفر ٤٦٠هـ
٧٤-عبد الحاكم المليجي (ثالثة)	صفر ٤٦٠-صفر ٤٦٠هـ خمسة أيام
٧٥-ابن كدينه (عاشرة)	ربيع الأول ٤٦٠-جمادي الأولى ٤٦٠هـ
٧٦-أحمد بن عبد الكريم الفارقي (خامسة)	جمادي الأولى ٤٦٠-ذي الحجة ٤٦٠هـ
٧٧-ابن كدينه (حادية عشر)	١٠ ذي الحجة ٤٦٠-٢٣ صفر ٤٦١هـ

٧٨-خطير الملك محمد بن اليازوري	صفر ٤٦١-٤٦١هـ عدة أيام
٧٩-محمد بن جعفر المغربي (ثانية)	٤٦١- رمضان ٤٦١هـ عدة أيام
٨٠-أحمد بن عبد الكريم الفارقي (سادسة)	٤٦١- رمضان ٤٦١هـ عدة أيام
٨١-خطير الملك اليازوري (ثانية)	رمضان ٤٦١- شوال ٤٦١هـ
٨٢-ابن كدينه (ثانية عشرة)	شوال ٤٦١- ذي القعدة ٤٦١هـ
٨٣-عبد الحاكم المليجي (رابعة)	ذي القعدة ٤٦١-٤٦٤هـ
٨٤-ابن كدينه (ثالث عشرة)	ربيع الأول ٤٦٤- إلى آخر ٤٦٤هـ
٨٥-ابن العجمي (ثالثة)	٤٦٥- رجب ٤٦٥هـ
٨٦-ابن كدينه (رابع عشرة)	ربيع الأول ٤٦٦- جمادي الأولى ٤٦٦هـ
٨٧-بدر الجمالي	٢٨ جمادي الأولى ٤٦٦- ربيع الآخر ٤٨٧هـ
٨٨-الأفضل بن بدر الجمالي	ربيع الأول ٤٨٧- مستمر
*الخليفة المستعلي بالله ٤٨٧-٤٩٥هـ/١٠٩٤-١١٠٢م	
٨٩-الأفضل الجمالي	مستمر
*الخليفة الآمر بأحكام الله ٤٩٥-٥٢٤هـ/١١٠٢-١١٣٠م	
٩٠-الأفضل الجمالي	مستمر
٩١-المأمون البطائحي	شوال ٥١٥- ٤ رمضان ٥١٩هـ
*الخليفة الآمر بأحكام الله بدون وزراء حتى وفاته	
*الخليفة الحافظ لدين الله ٥٢٤-٥٤٤هـ/١١٣٠-١١٤٩م	
٩٢-أبو علي أحمد بن الأفضل	١٥ ذي القعدة ٥٢٤-١٦ ذي الحجة ٥٢٦هـ
٩٣-أبو الفتح ياشي الأرمني	١٦ محرم ٥٢٦-٢٦ ذي الحجة ٥٢٦هـ
*الخليفة الحافظ لدين الله بدون وزارة حتى سنة ٥٢٩هـ	
*الخليفة الظافر بالله ٥٤٤-٥٤٩هـ/١١٤٩-١١٥٤م	
٩٤-سليم بن مصال اللكي (وزير سيف)	جمادي الآخرة ٥٤٤- ١٤ شعبان ٥٤٤هـ
٩٥-علي بن اسحق بن سلار	١٥ شعبان ٥٤٤-٦ محرم ٥٤٨هـ
٩٦-عباس بن باديس الصنهاجي	١٢ محرم ٥٤٨هـ- مستمر
*الخليفة الفائز بنصر الله ٥٤٩-٥٥٥هـ/١١٥٤-١١٦٠م	
٩٧-عباس بن باديس الصنهاجي	مستمر-١٩ ربيع الأول ٥٤٩هـ

٩٨-طلائع بن رزيك	١٩ ربيع الأول ٥٤٩هـ- مستمر
*الخليفة العاضد لدين الله ٥٥٥-٥٦٧هـ/١١٦٠-١١٧٢م	
٩٩-طلائع بن رزيك	مستمر- ١٩ رمضان ٥٥٦هـ
١٠٠-رزيك بن طلائع	١٩ رمضان ٥٥٦- ٢٢ محرم ٥٥٨هـ
١٠١-شاور بن مجبر السعدي	٢٢ محرم ٥٥٨- رمضان ٥٥٨هـ
١٠٢-ضرغام بن عامر اللخمي	رمضان ٥٥٨- آخر جمادي الآخرة ٥٦٤هـ
١٠٣-أسد الدين شيركوه	١٧ ربيع الآخر ٥٦٤-٢٣ جمادي الآخرة ٥٦٤هـ
١٠٤-صلاح الدين يوسف بن أيوب	٢٥ جمادي الآخرة ٥٦٤- محرم ٥٦٧هـ استمر سنتان ونصف كوزير ثم استقل بالسلطة بسقوطها

*- المناوي ، الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي ، ج١ ، ملحق ٣ .

تابع الملحق رقم (٧)

الوجه القبلي

الكورة أو المديرية	عدد نواحيها	عدد كفورها	المجموع
ـالجيزية	٧٠	٢٧	٩٧
ـالإطفحية	١٣	٤	١٧
ـالبوصيرية	١٣	١	١٤
ـالفيومية	٥٥	١١	٦٦
ـالأشمونيين	٨٤	٢١	١٠٥
ـالبهنسارية	٥٤	٥٧	١١١

-الأسيوطية	٢٢	٣٢	٥٤
المجموع	٣١١	١٥٣	٤٦٤

النواحي والقرى بالوجهين	عدد النواحي	عدد القرى	المجموع
الوجه البحري	٩١١	٦٨١	١٥٩٢
الوجه القبلي	٣١١	١٥٣	٤٦٤
المجموع	١٢٢٢	٨٣٤	٢٠٥٦[١]

[١] عمر طوسون، مالية مصر، ص٢٢٤، ٢٢٧.

تابع ملحق رقم (٧)

الوجه البحري

الكورة أو المديرية	عدد نواحيها	عدد كفورها	المجموع
-الشرقيه	٢٩٤	١٥٨	٤٥٢
-المرتاحيه	٤٨	٤١	٨٩
-الدهلقيه	٣٩	٣١	٧٠
-جزيرة فويسنا	٦٨	٦	٧٤
-الغربيه	١٤٩	١٦٥	٣١٤
-السمنوديه	٩٧	٣٢	١٢٩
-المنوفيتين	٦٩	٣٢	١٠١
-نوع والمزاحمتين	١٠	٣	١٣
-التستراديه	٦	-	٦
-رشيد والجدرية وأدكو	٣	-	٣
-حزيرة بني نصر	٤١	٢٣	٦٤
-البحيره	٨٧	٨٩	١٧٦
-حوف رمسيس	-	١٠١	١٠١
المجموع	٩١١	٦٨١	١٥٩٢

*- طوسون ، مالية مصر ، ص٢٢٤ – ٢٢٧ .

ملحق رقم (٨)

الخاص بأهم الدواوين في مصر فضلاً عن الدواوين التي أنشأها الخلفاء الفاطميين لأغراض خاصة

١- ديوان النظر .

٢- ديوان المجلس .

٣- ديوان التحقيق .

٤- ديوان الرواتب .

٥- ديوان الصعيد .

٦- ديوان الخاص .

٧- ديوان الخراج .

٨- ديوان الجوالي .

٩- ديوان المفرد .

١٠- ديوان المستغلات .

١١- ديوان الأحباس .

١٢- ديوان التراث .

١٣- ديوان الهلالي .

١٤- ديوان الثغور .

١٥- ديوان الإنشاء .

١٦- ديوان الاقطاع .

١٧- ديوان الحبس .

١٨- ديوان الكراع .

١٩- ديوان الترتيب .

٢٠- ديوان الجهاد والعمائر .

٢١- ديوان البريد .

٢٢- ديوان أسفل الأرض.

٢٣- ديوان خزائن الكسوة .

أما الدواوين الخاصة والتي تخدم أغراض المعية فهي :

١- ديوان العزيزة .

٢- ديوان السيدة .

٣- ديوان الخليفة المستنصر بالله .

٤- ديوان الكتاميين .

٥- ديوان الشام ودمشق .

*- نقلا عن القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ١٠ ، ص ٣٥٧ - ٣٥٩ .

ملحق رقم (٩)

سجل أصدره الخليفة الحاكم بأمر الله لحماية أهل الذمة على أنفسهم وأموالهم وممتلكاتهم

((بسم الله الرحمن الرحيم : هذا كتاب من عبد الله ووليه المنصور أبي علي الإمام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين ابن الإمام العزيز بالله أمير المؤمنين ، لجماعة النصارى بمصر، عندما أنهوا إليه الخوف الذي لحقهم والجزع الذي هالهم فأقلقهم واستذراهم بظل الدولة ، وتحرمهم بحضور الحضرة، بما رأه وأمر به من تكميل النعمة عليهم بتوخيه ذمة الإسلام وشرعه ، من تصيرهم تحت كنفه بحيث تصفوا لهم موارد الطمأنينة ، وتضفوا عليهم ملابس السكون والدعة واجابتهم إلى ما سألوا فيه من كتب امان لهم يخلد حكمه على الأحقاب ، ويتوارثه الأخلاق منهم والأعقاب، فأنتم جميعاً آمنون بأمان الله عز وجل وأمان نبيه محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين صلعهم وعلى آله الطاهرين، وأمان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب سلام الله عليهن وأمان الأئمة من أباء أمير المؤمنين سلام الله عليهم، هذا على نفوسكم ودمائكم وأولادكم وأموالكم وأخوانكم وأملاككم ، وما تحويه أيديكم ن أماناً صريحاً ثابتاً وعقداً صحيحاً باقياً ، فثقفوا به ، واسكنوا إليه وتحققوا أن لكم جميل رأي أمير المؤمنين وعاطفته، وعصرته تحميكم ، وعصمته تقيكم ، ولا يقدم عليكم بسوء أحد ، ولا تتطاول إليكم بمفره يد إلا كانت زواجر أمير المؤمنين مقصره من باعة . وعظم انكاره مضيقاً فيه من ذراعة ، والله عون أمير المؤمنين على ما تعتقدونه من صلاح وإصلاح لسكان أقطار مملكته ، ومن له وسيلة الثواء في كنف دولته وإياه يستشهد على ما أمضى من أمانه لكم ، وعهده الذي يشرفه طرفكم ، وكفى بالله شهيداً ، وليقرر في أيديهم حجة بما أسبغ من النعم عليهم إن شاء الله تعالى))[1].

ملحق رقم (١٠)

---

[1] الأنطاكي ، يحيى بن سعيد ، التاريخ المجموع ، ص٣٥٦ – ٣٥٧ .

النقد الفاطمي

شكل رقم (١)
نقود المعز لدين الله ضربت سنة ٣٦٣هـ

شكل رقم (٢)
صورة نقود العزيز بالله ضربت سنة ٣٧٦هـ

شكل رقم (٣)
صورة نقود الحاكم بامر الله

شكل رقم (٤)
صورة نقود الظاهر لاعزاز دين الله

شكل رقم (٥)
صورة نقود الظاهر لاعزاز دين الله ضربت في القاهرة سنة ٤٢٥هـ

شكل رقم (٣)
صورة نقود المستنصر بالله ضربت سنة ٤٣٨هـ

شكل رقم (٧)
صورة نقود المستنصر بالله ضربت سنة ٤٤٣هـ

شكل رقم (٨)
صورة نقود المستنصر بالله ضربت سنة ٤٦٥هـ

شكل رقم (٩)
صورة نقود الامر باحكام الله ضربت في الاسكندرية سنة ٥١٢هـ

شكل رقم (١٠)
صورة نقود الحافظ لدين الله ضربت سنة ٥٤٤هـ

شكل رقم (١١)
صورة نقود الظافر بالله

شكل رقم (١٢)
نقود زجاجية مضروبة على عهد الدولة الفاطمية

- زيدان : جرجي ، تاريخ مصر الحديث ، قدم له وفهرسه نظير عبود ، مج٩ ، دار الجبل ، لبنان، ١٤٠٢هـ /١٩٨٤م.

ملحق رقم (١١)

وزن الدينار بالغرام

اسم الخليفة	السنة	وزن الدينار بالغرام	اسم الخليفة	السنة	وزن الدينار بالغرام
المعز لدين الله	٣٤٣	١.٠٤	الحاكم بأمر الله	٣٩٠	٤.٢٠
	٣٤٤	١.٠٤		٣.٩١	٤.٢٠
	٣٥١	٤.١٠		٣٩٢	٤.١٥
	٣٥٣	٤.١٠		٣٩٤	٤.١٢
	٣٥٩	٤.٢٠		٣٩٥	٤.٠
	٣٦٠	٤.٣٠		٣٩٦	٤.١٢
	٣٦١	٤.١٥		٤٠٠	٤.١٥
	٣٦٢	٤.١٨		٤٠١	٤.٢٠
	٣٦٣	٣.٩٥		٤٠٤	٣.٨٢
	٣٦٥	٤.٣٠		٤١١	٤.٢٥
العزيز بالله	٣٦٥	٤.٢٠	الظاهر لإعزاز دين الله	٤١٤	٣.٧٢
	٣٦٦	٣.٧٥		٤١٥	٤.٠
	٣٦٧	٤.١٨		٤١٦	٣.٩٥
	٣٦٨	٤.١٨		٤٢٠	٤.٠
	٣٧٢	٤.٠	المستنصر بالله	٤٢٨	٤.١٢
	٣٧٣	٤.١٢		٤٢٩	٢.٩٠
	٣٧٥	٤.١٥		٤٣٠	٣.٩٠
	٣٧٩	٤.١٠		٤٣٢	٤.١٤
	٣٨٠	٤.١٠		٤٣٥	٤.٣٠
	٣٨١	٤.١٢		٤٣٦	٤.٠
	٣٨٦	٤.٢٠		٤٣٧	٤.٠
الحاكم بأمر الله	٣٨٧	٤.٢٠		٤٣٨	٤.١٠
	٣٨٨	٤.٢٠		٤٤٠	٤.٠٨
	٣٨٩	٤.٢٠		٤٤٢	٤.١٠
المستنصر بالله	٤٤٣	٤.٠	الأمر	٥٠٢	٤.٢٠
	٤٤٥	٣.٨٨		٥٠٣	٤.٣٥
	٤٤٦	٤.٣٠		٥٠٤	٤.٢٥
	٤٤٧	٤.٢٨		٥٠٥	٤.١٥
	٤٤٨	٤.١٥		٥٠٧	٤.٢٢

اسم الخليفة	السنة	وزن الدينار بالغرام	اسم الخليفة	السنة	وزن الدينار بالغرام
	٤٥١	٤.٣٩		٥١٠	٤.٠
	٤٥٢	٤.٢٠		٥١٥	٤.١٠
	٤٥٤	٤.٢٢		٥١٦	٣.٨٥
	٤٥٦	٣.٩٤		٥١٨	٤.٠
	٤٦١	٤.٠٣		٥١٩	٣.٥٠
	٤٦٢	٤.٠٥	الحافظ لدين الله	٥٣٨	٣.٦٨
	٤٦٩	٤.٠٥		٥٤١	٤.٢٠
	٤٧٣	٤.١١		٥٤٢	٤.٠
	٤٧٤	٤.٢٥		٥٤٤	٤.٤٠
	٤٧٥	٣.٩٤	الظافر بأمر الله	٥٤٥	٤.١١
	٤٧٨	٤.٣٨		٥٥٢	٤.٠٢
	٤٨١	٤.٢٥		٥٥٣	٤.٨٣
	٤٨٣	٤.٢٣		٥٥٥	٣.٥٠
	٤٨٤	٤.٠٣	العاضد لدين الله	٥٥٨	٥.٠
المتعلي بالله	٤٨٨	٤.٠		٥٦٤	٤.٦٣[١]
	٤٩٥	١.٠٣			
الآمر بأحكام الله	٤٩٥	٤.٠٨			
	٤٩٨	٤.٠٢			

---

[١] أشتور، التاريخ الاقتصادي، ص٢٤٤.

- Laroix, Catalogue des Monnraies Musulmanes, Egypte Syrie (Paris, 1896), PP.88-89.

ملحق رقم (١٢)

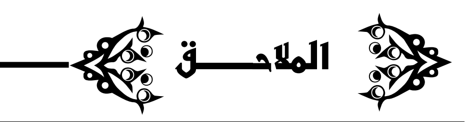
دور الضرب

دار الضرب Place of Unit	الإقليم	السنة التي بدأت فيها السكة	نهاية السكة	الملاحظات
الاسكندرية	مصر	٤٦٩هـ	٥٥٥هـ	
أيله	فلسطين	٥١٤هـ	-	
تيماء	فلسطين	٥١٤هـ	-	
حلب	الشام	٤٢٩هـ	٤٤٤هـ	
دمشق	الشام	٣٦٨هـ	٤٤٦هـ	
زويله	إفريقية	٤١٤هـ	-	
صقلية	صقلية	٣٤٣هـ	٤٥٦هـ	
صور	الشام	٤٣٠هـ	٤٨٤هـ	
طبرية	الشام	٣٩٥هـ	٤٦٠هـ	
طرابلس	الشام	٣٦٧هـ	٤٧٥هـ	
عسقلان	الشام	٥٠٧هـ	-	
عكا	فلسطين	٤٦٢هـ	٤٩٥هـ	
فلسطين	فلسطين	٣٥٩هـ	٣٦٤هـ	
القيروان	إفريقية	٣٠٣هـ	٣٣٥هـ	
مصر (الفسطاط)	مصر	٣٦١هـ	٥٦٤هـ	
المنصورية	إفريقية	٣٤١هـ	٤٥٤هـ	
المهدية	إفريقية	٣١٥هـ	٤٢٠هـ(١)	

(1) Henri Laroix, Catalogue des Monnaies Musulmane, PP.517-531.

ملحق (١٣)
الخاص بمقياس النيل بالأذرع والأصابع

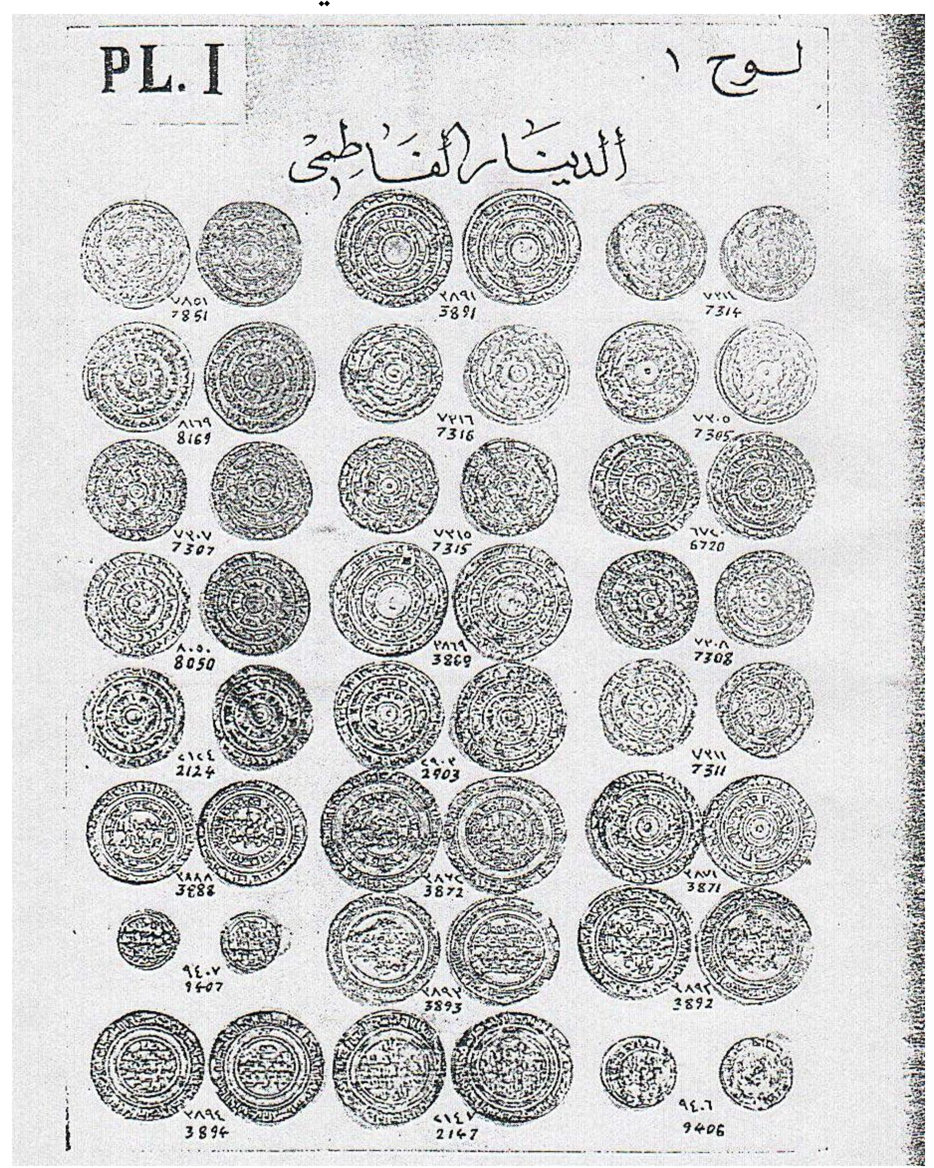
السنة	المقياس	السنة	المقياس	السنة	المقياس	السنة	المقياس
٣٥٩هـ	١٧.١٩	٣٨٤ هـ	١٦.٧	٤٠٩ هـ	١٦.٢٣	٤٣٤ هـ	١٧.١٦
٣٦٠ هـ	١٧.٢١	٣٨٥ هـ	١٦.٧	٤١٠ هـ	١٩.٨	٤٣٥ هـ	١٨.١٦
٣٦١ هـ	١٧.١٤	٣٨٦ هـ	–	٤١١ هـ	–	٤٣٦ هـ	١٧.٢٠
٣٦٢ هـ	١٧.٢	٣٨٧ هـ	١٦.٧	٤١٢ هـ	١٦.٣	٤٣٧ هـ	١٧.٢٠
٣٦٣ هـ	١٦.١٤	٣٨٨ هـ	١٦.٧	٤١٣ هـ	١٦.١٨	٤٣٨ هـ	١٧.١٩
٣٦٤ هـ	١٦.١٢	٣٨٩ هـ	١٦.٧	٤١٤ هـ	١٤.٤	٤٣٩ هـ	١٦.١٧
٣٦٥ هـ	–	٣٩٠ هـ	١٦.٢	٤١٥ هـ	١٦.٠٠	٤٤٠ هـ	١٧.١٧
٣٦٦ هـ	١٦.٤	٣٩١ هـ	١٦.٢	٤١٦ هـ	١٦.٤	٤٤١ هـ	١٧.١٩
٣٦٧ هـ	١٦.٤	٣٩٢ هـ	١٧.١٠	٤١٧ هـ	١٦.٧	٤٤٢ هـ	١٧.١٦
٣٦٨ هـ	١٧.١	٣٩٣ هـ	١٦.١٥	٤١٨ هـ	١٦.١٣	٤٤٣ هـ	١٧.١٢
٣٦٩ هـ	١٧.٠٠	٣٩٤ هـ	١٧.٥	٤١٩ هـ	١٧.٤	٤٤٤ هـ	١٧.٥
٣٧٠ هـ	١٥.٤	٣٩٥ هـ	١٦.١٣	٤٢٠ هـ	١٦.٠٠	٤٤٥ هـ	١٧.١
٣٧١ هـ	١٥.٢	٣٩٦ هـ	١٦.١٦	٤٢١ هـ	١٦.٦	٤٤٦ هـ	١٧.٤
٣٧٢ هـ	١٧.٤	٣٩٧ هـ	١٤.٦	٤٢٢ هـ	١٧.٦	٤٤٧ هـ	١٧.٤
٣٧٣ هـ	١٦.٢	٣٩٨ هـ	١٤.٩	٤٢٣ هـ	١٦.٤	٤٤٨ هـ	١٧.١٣
٣٧٤ هـ	١٦.٤٠	٣٩٩ هـ	١٦.٢٣	٤٢٤ هـ	١٦.٢	٤٤٩ هـ	١٧.٣
٣٧٥ هـ	١٦.١٠	٤٠٠ هـ	١٦.٢٣	٤٢٥ هـ	١٦.٢	٤٥٠ هـ	١٦.٢٣
٣٧٦ هـ	١٧.٢١	٤٠١ هـ	١٦.٢٣	٤٢٦ هـ	١٦.١٥	٤٥١ هـ	١٥.٢٣
٣٧٧ هـ	١٧.١٠	٤٠٢ هـ	١٦.١٨	٤٢٧ هـ	١٦.١٥	٤٥٢ هـ	١٦.٩
٣٧٨ هـ	١٧.١٢	٤٠٣ هـ	١٦.١٠	٤٢٨ هـ	١٦.٩	٤٥٣ هـ	١٦.١٨
٣٧٩ هـ	١٥.١٩	٤٠٤ هـ	١٧.١٢	٤٢٩ هـ	١٥.٢٠	٤٥٤ هـ	١٧.٠٠
٣٨٠ هـ	١٦.٢٠	٤٠٥ هـ	١٧.٠٠	٤٣٠ هـ	١٧.٢٠	٤٥٥ هـ	١٧.١٢
٣٨١ هـ	١٦.٢٣	٤٠٦ هـ	١٦.٢	٤٣١ هـ	١٧.١٠	٤٥٦ هـ	١٦.٣
٣٨٢ هـ	١٦.١٨	٤٠٧ هـ	١٧.٤	٤٣٢ هـ	١٧.٢٠	٤٥٧ هـ	١٦.١
٣٨٣ هـ	١٧.٢١	٤٠٨ هـ	١٦.١٦	٤٣٣ هـ	١٧.١٧	٤٥٨ هـ	١٦.١٧



السنة	المقياس	السنة	المقياس	السنة	المقياس	السنة	المقياس
٤٥٩ هـ	١٦.١٧	٤٨٩ هـ	١٧.١٧	٥١٩ هـ	١٨.٤	٥٤٩ هـ	١٧.٢٠
٤٦٠ هـ	١٥.٦	٤٩٠ هـ	١٧.١	٥٢٠ هـ	١٨.١	٥٥٠ هـ	١٧.١٧
٤٦١ هـ	١٧.١٨	٤٩١ هـ	١٨.١٦	٥٢١ هـ	١٧.١	٥٥١ هـ	١٨.١٨
٤٦٢ هـ	١٦.٠٠	٤٩٢ هـ	١٦.١٤	٥٢٢ هـ	١٨.٣	٥٥٢ هـ	١٨.١
٤٦٣ هـ	١٧.١٣	٤٩٣ هـ	١٨.١٥	٥٢٣ هـ	١٨.٥	٥٥٣ هـ	١٥.١
٤٦٤ هـ	١٦.١٠	٤٩٤ هـ	١٨.١٧	٥٢٤ هـ	١٧.٤	٥٥٤ هـ	١٥.١
٤٦٥ هـ	١٦.٧	٤٩٥ هـ	١٧.١٣	٥٢٥ هـ	١٦.١٨	٥٥٥ هـ	١٨.١٠
٤٦٦ هـ	١٦.٣	٤٩٦ هـ	١٧.١	٥٢٦ هـ	١٧.١٠	٥٥٦ هـ	١٧.١٧
٤٦٧ هـ	١٧.٧	٤٩٧ هـ	١٣.٠٠	٥٢٧ هـ	١٧.١٥	٥٥٧ هـ	١٧.١٧
٤٦٨ هـ	١٦.١٤	٤٩٨ هـ	١٦.١٢	٥٢٨ هـ	١٧.٢٣	٥٥٨ هـ	١٨.٨
٤٦٩ هـ	١٧.١٣	٤٩٩ هـ	١٦.١٢	٥٢٩ هـ	١٨.٣	٥٥٩ هـ	١٨.١٠
٤٧٠ هـ	١٧.١٠	٥٠٠ هـ	١٩.١	٥٣٠ هـ	١٧.٧	٥٦٠ هـ	١٧.١٨
٤٧١ هـ	١٧.٢٠	٥٠١ هـ	١٧.١٨	٥٣١ هـ	١٧.١٦	٥٦١ هـ	١٧.٢٣
٤٧٢ هـ	١٥.١٨	٥٠٢ هـ	١٧.١٦	٥٣٢ هـ	١٨.١٢	٥٦٢ هـ	١٦.٢٣
٤٧٣ هـ	١٦.١٥	٥٠٣ هـ	١٧.٥	٥٣٣ هـ	١٨.٥	٥٦٣ هـ	١٧.٢٣
٤٧٤ هـ	١٨.١٢	٥٠٤ هـ	١٧.٤	٥٣٤ هـ	١٦.١٧	٥٦٤ هـ	١٦.١٢
٤٧٥ هـ	١٥.١٠	٥٠٥ هـ	١٧.٤	٥٣٥ هـ	١٧.١٢	٥٦٥هـ	١٧.١٤
٤٧٦ هـ	١٧.١٩	٥٠٦ هـ	١٨.٢	٥٣٦ هـ	١٦.١١	٥٦٦ هـ	١٧.٢٠
٤٧٧ هـ	١٧.١٣	٥٠٧ هـ	١٨.٢	٥٣٧ هـ	١٨.٠٠	٥٦٧هـ	١٧.٢٠
٤٧٨ هـ	١٥.٥	٥٠٨ هـ	١٧.١٠	٥٣٨ هـ	١٦.٥		
٤٧٩ هـ	١٧.١٥	٥٠٩ هـ	١٨.٠٠	٥٣٩ هـ	١٨.٤		
٤٨٠ هـ	١٧.٧	٥١٠ هـ	١٧.٦	٥٤٠ هـ	١٨.٠٠		
٤٨١ هـ	١٨.٤	٥١١ هـ	١٧.١٩	٥٤١ هـ	١٦.٥		
٤٨٢ هـ	١٦.٩	٥١٢ هـ	١٨.٤	٥٤٢ هـ	١٨.٣		
٤٨٣ هـ	١٨.٠٠	٥١٣ هـ	١٨.٧	٥٤٣ هـ	١٨.٣		
٤٨٤ هـ	١٦.٢٢	٥١٤ هـ	١٨.١	٥٤٤ هـ	١٧.١٨		
٤٨٥ هـ	١٦.١١	٥١٥ هـ	١٧.١٠	٥٤٥ هـ	١٧.١٣		
٤٨٦ هـ	١٦.٣٣	٥١٦ هـ	١٨.٣	٥٤٦ هـ	١٨.٤		
٤٨٧ هـ	١٦.٢١	٥١٧ هـ	١٨.١٠	٥٤٧ هـ	١٨.٤		
٤٨٨هـ	١٦.١٢	٥١٨ هـ	١٨.١٤	٥٤٨ هـ	١٧.٦		

ملحق رقم (١٤)

الدينار الفاطمي



- شكري : ساجدة ، مجلة سومر ، المجلد العاشر ، مطبعة مديرية الآثار القديمة العامة ،ج١، لسنة ١٩٥٤ ، ص١٣٩ .

Abstract

Fatimians Egypt had witnessed prestigious civilization. Their age is considered to be the most educated one. Knowledge, literature, management and policy were of high ranking. In this age there were some factors those supported this culture. Beside the fatimians Caliphs great attention to the civilization, Egypt is shown on the seas. This led to make it an important centre specially in the trading fields. The Nile river took part greatly in improving naval transport activities.

After finishing writing the research, by Allah's support indeed, we have tried to explain the financial system. As well as the Fatimians ways of administrating the state. They arranged the financial management, for the first time, in records. They established those records and enact them. Every record was specialized with a specific work despite the similarity of the works of some records. Fatimians started a great overlook with the citizens and in particular with free non-Muslims enjoying Muslims protection. Many of those non – Muslims were supported to work as exchangers. The job that they were incomparable. However, Muslims did not work with this job. This was a result of religious and denominative policy at that time. The policy which prevented working by charging usury. The research clarified that Fatimians worked hard to prevent corruption as well as monopolistic cases, if the state endured economical crisis. The state imposed prices on the foodstuffs and the seeds in particular. Moreover, those merchants who try to hide the materials would be punished indeed. They adjusted the cash system by minting a new Fatimians' coins those represented the state's features and religious logos. Using the two types of coins (golden or silver) by the Fatimians was a very important economical event that help inside the state to make the trading procedures easy and active. The Fatimians state appeared to be rich and luxurious. Building the palaces, mosques and preparing

celebrations made people saying that the state was spending lavishly. It was not so, as compared to the Mamluks lavishness. The Mamluks spent lavishly so as to acquire the agreement of their soldiers and leaders.

Finally, I would like to say that ' it is time to make all matters clear. We have to name things with its real names. Fatimians established the ancient civilization and they made Egypt to take part historically during a period of time over two centuries. We should not mention illogical matters in a specific case or ruler this is due to the other caliphs. Fatimians, at the end , were not worse than others. They might be better.